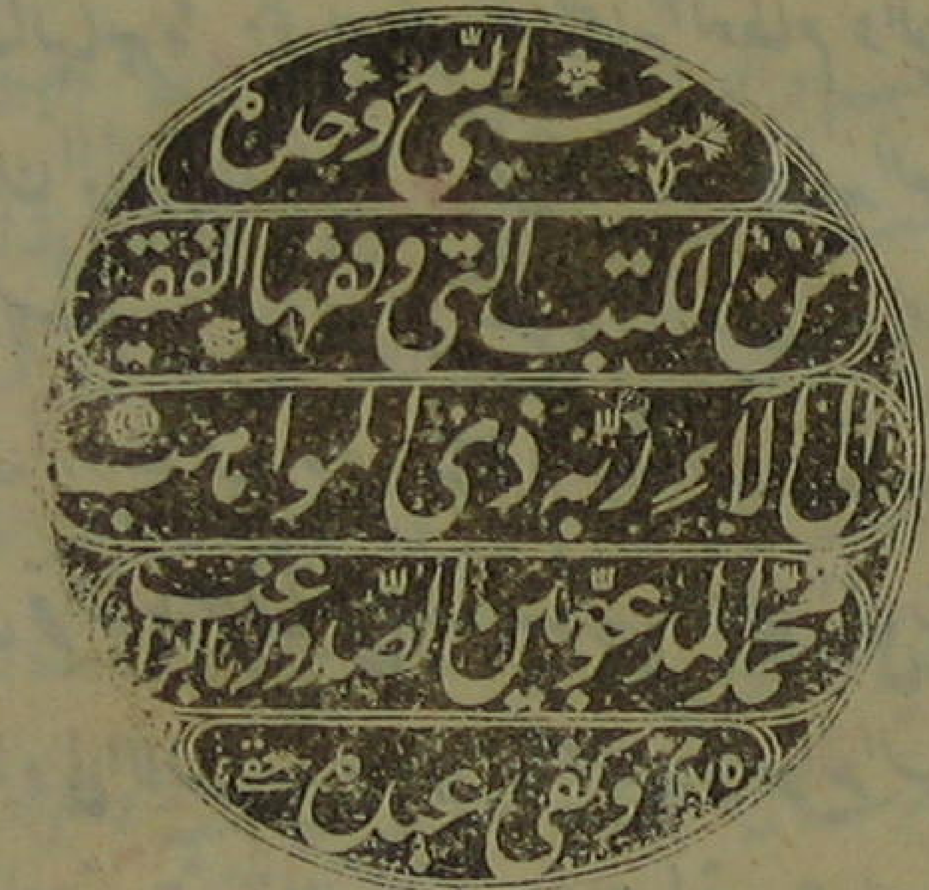
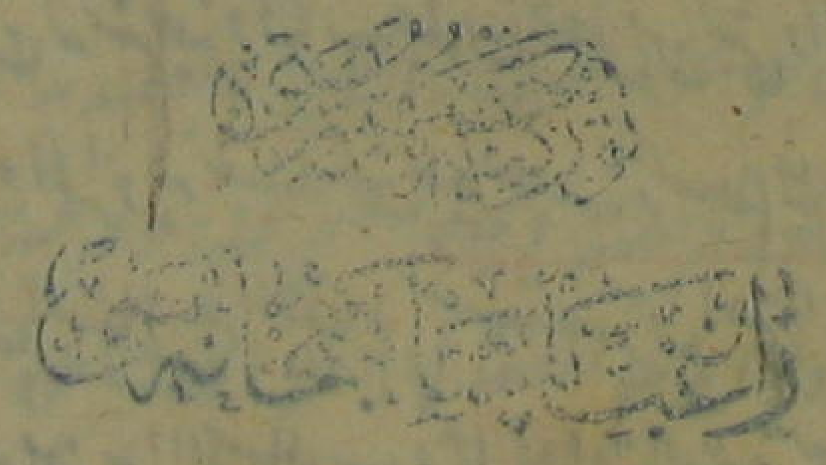


٢٣

الفوائد السنية في شرح العقائد العضدية
للعبد الضعيف المحتاج الى رحمة ربه اللطيف
سليمان بن احمد القسطنطيني غفر الله له ولوالديه
ولجميع المومنين امين









بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك على ما علمتنا من قواعد العقايد الدينية وخولتنا من عوارف
المعارف اليقينية ونصلي على نبيك المبعوث بالمعجزات الظاهرة
والايات الباهرة وعلى اله الكرام واصحابه العظام والذين اتبعوهم
باحسان الى يوم القيام وبعد فلما كانت العقايد العضدية جامعة
للقواعد الاسلامية مع غاية من التنقيح والتهذيب ونهاية من حسن التنظيم
والترتيب اردت ان اشرحها شرحا وافيا بكشف مقاصدها كافيا
في تحقيق قواعدها معرضا عن الاطناب الممل والايجاز المخل تبصرة للطلاب
وتذكرة لاولي الالباب ناويا ان اسميه بالفوائد السنية في شرح
العقايد العضدية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة انك انت الوهاب قال المص قال النبي صلى الله
عليه وسلم النبي انسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما اوحي اليه وكذا الرسول
وقد يخص بمن له شريعة وكتاب فيكون اخص من النبي واللام في النبي
للعهد الخارجي والمراد به نبينا محمد عليه الصلوة والسلام على ما يتسابق
اليه الذهن في امثال هذا المقام ستفترق امتي اي امة الاجابة
كما هو الظاهر من هذا الاسلوب وحمل على امة الدعوة بعيد جدا بثلث
وسبعين فرقة هذا من معجزاته عليه السلام حيث وقع ما اخبر به
قال الامدي كان المسلمون عند وفاة النبي عم على عقيدة واحدة وطريقة واحدة
الا من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق ثم نشأ الخلاف فيما بينهم

اولا في امور اجتهادية لا يوجب ايمانا ولا كفرا وكان غرضهم منها
اقامة مراسم الدين وادامة مناهج الشرع القويم وكان الخلاف يتدرج
ويترقى شيئا فشيئا الى اواخر ايام الصحابة حتى ظهر معبد الجهني
وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري وخالفوا في القدر
واسناد جميع الاشياء الى تقدير الله تعالى ولم يزل الخلاف
يتشعب والاراء تتفرق حتى تفرق اهل الاسلام وارباب المقالات
الى ثلث وسبعين فرقة وقد ذكرها المص في الموافق
فمن اراد معرفتها فليرجع اليه كلها في النار من حيث الاعتقاد
الا واحدة قيل ومن هم اي الفرقة الناجية قال الذين هم على ما
انا عليه واصحابي رواه الترمذي وهذه اشارة الى مقاصد
هذه الرسالة عقايد الفرقة الناجية والمراد بالعقايد ما يقصد
به نفس الاعتقاد دون العمل فان الاحكام الماخوذة من الشرع نفس صح
قسمان احدهما ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا الله تعالى عالم
قادر سميع بصير وهذه تسمى اعتقادية واصلية وعقايد وقد
دون علم الكلام لحفظها والثاني ما يقصد به العمل كقولنا الوتر واجب
والزكوة فريضة وهذه تسمى عملية وفرعية واحكاما ظاهرية
وقد دون علم الفقه لها وهم الاشاعرة ومن تحذو حذوهم
اعني الماتريدية فالاشاعرة اصحاب ابي الحسن علي بن اسمعيل
بن اسحق بن سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن بلال بن ابي بردة بن
ابي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من
خالف ابا علي الجبائي ورجع عن مذهبه الى السنة اي طريقة النبي

والجماعة اى طريقة الصحابة رضى الله عنهم اجمعين وللماتريدية اصحاب
ابى منصور الماتريدى تلميذ ابى نصر العياضى تلميذ ابى بكر الجوزجانى صاحب
ابى سليمان الجوزجانى تلميذ محمد بن الحسن الشيبانى رحمهم الله تعالى وماتريد
قرية من قرى سمرقند والمشهور من اهل السنة فى ديار خراسان والعراق
والشام واكثر الاقطار هم الاشاعرة وفى ديار ماوراء النهر
الماتريدية وبين الطائفتين فى بعض الاصول اختلاف كمسئلة
التكوين ومسئلة الاستثناء فى الايمان ومسئلة ايمان المقلد و
غير ذلك والمحققون من الفريقين لاينسب احدهما الى البدعة
والضلالة خلافا للمبطلين المتعصبين حتى ربما جعلوا الاختلاف
فى الفروع ايضا بدعة وضلالة كالقول بحل متروك التسمية عمدا
وعدم نقض الوضوء بالخارج من غير السبيلين وبجواز النكاح بدون
الولى والصلوة بدون الفاتحة ولايعرفون ان البدعة المذمومة
هو المحدث فى الدين من غير ان يكون فى عهد الصحابة والتابعين ولا
دل عليه الدليل الشرعى ومن الجهلة من يجعل كل امر لم يكن فى زمن الصحابة
بدعة مذمومة وان لم يقم دليل على قبحه تمسكا بقوله عم اياكم
ومحدثات الامور ولايعلمون ان المراد بذلك هو ان يجعل
فى الدين ماليس منه كذا ذكره العلامة التفتازانى فى شرح
المقاصد اجمع السلف من المحدثين وائمة المسلمين واهل
السنة والجماعة على ان العالم اى ماسوى الله تعالى من الموجودات
مما يعلم به الصانع يقال عالم الاجسام وعالم الاعراض وعالم
النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك فيخرج صفات الله تعالى لانها

ليست

ليست غير الذات كما انها ليست عينها حادث بمعنى انه كان بقدرة
الله بعد ان لم يكن اى وجد بعد العدم خلافا للفلاسفة حيث ذهبوا
الى قدم السموات والارض بموادها وصورها واشكالها وقدم العناصر
بموادها وصورها لكن بالنوع بمعنى انها لم تخل قط عن صورة نعم اطلقوا
القول بحدوث ماسوى الله تعالى لكن بمعنى الاحتياج الى الغير لا
بمعنى سبق العدم عليه والمشهور عند حادث فى الاستدلال على حدوث
العالم انه اعيان واعراض لانه ان قام بذاته فعين والا فعرض
والاعيان اجسام وجواهر لانها ان كانت مركبة فاجسام والا
فجواهر وهى الاجزاء التى لاتتجزى والكل حادث اما الاعراض
فبعضها بالمشاهدة كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة و
السواد بعد البياض وبعضها بالدليل وهو طريان العدم كما
فى اضداد ذلك فان القدم ينافى العدم لان القديم ان كان
واجبا لذاته فظاهر والا لزم استناده اليه بطريق الايجاب
اذ الصادر عن الشئ بالقصد والاختيار يكون حادثا بالضرورة
والمستند الى الموجب القديم قديم ضرورة امتناع تخلف المعلول
عن العلة واما الاعيان فلانها لاتخلوا عن الحوادث وكل ما لايخلو
عن الحوادث فهو حادث اما المقدمة الاولى فلانها لاتخلو عن
الحركة والسكون وهما حادثان اما عدم الخلو فلان الجسم والجوهر
لايخلو عن الكون فى حيز فان كان مسبوقا بكون آخر فى ذلك الحيز بعينه
فهو ساكن وان لم يكن مسبوقا بكون آخر فى ذلك الحيز بل فى حيز آخر
فمتحرك وهذا معنى قولهم الحركة كونان فى آنين فى مكانين والسكون

كونان في آنين في مكان واحد فان قيل يجوز ان لا يكون مسبوقا بكون
اخر اصلا كما في ان الحدوث فلا يكون متحركا كما لا يكون ساكنا قلنا هذا
المنع لا يضرنا لما فيه من تسليم المدعى على ان الكلام في الاجسام التي
تعددت فيها الاكوان وتجددت عليها الاعصار والازمان واما
حدوثهما فلانهما من الاعراض وهي غير باقية ولان ماهية الحركة لما
فيها من الانتقال من حال الى حال تقتضي المسبوقية بالغير والازلية
تنافيها ولان كل حركة فهي على التقضي وعدم الاستقرار وكل سكون
فهو جائز الزوال لان كل جسم فهو قابل للحركة بالضرورة وقد عرفت
ان ما يجوز عدمه يمتنع قدمه واما المقدمة الثانية فلان ما لا يخلو
عن الحوادث لو ثبت في الازل لزم ثبوت الحادث في الازل
وهو محال وههنا ابحاث الاول انه لا دليل على انحصار الاعيان
في الجواهر والاجسام وانه يمتنع وجود ممكن يقوم بذاته ولا يكون
متحيزا اصلا كالعقول والنفوس المجردة التي يقول بها الفلاسفة
والجواب ان المدعى حدوث ما ثبت وجوده من الممكنات
وهو الاعيان المتحيزة والاعراض لان ادلة وجود المجردات
غير تامة على ما بين في المطولات الثاني ان ما ذكر لا يدل على
حدوث جميع الاعراض اذ منها ما لم تدرك بالمشاهدة حدوثه
ولا حدوث اضداده كالاعراض القائمة بالسماويات من الاشكال
والامتدادات والاضواء والجواب ان هذا غير مخل بالغرض لان
حدوث الاعيان يستدعي حدوث الاعراض ضرورة انها لا تقوم
الا بها الثالث انه لو كان كل جسم في حيز لزم عدم تناهي الاجسام

لان

لان الحيز هو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من
المحوي والجواب ان الحيز عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي
يشغله الجسم وتنفذ فيه ابعاده الرابع ان الازل ليس عبارة
عن حالة مخصوصة حتى يلزم من وجود الجسم فيها وجود الحوادث
فيها بل هو عبارة عن عدم الاولية او عن استمرار الوجود في ازمنة
مقدرة غير متناهية في جانب الماضي ومعنى ازلية الحركات الحادثة
انه ما من حركة الا وقبلها حركة اخرى لا الى بداية وهذا هو مذهب الفلاسفة
وهم يسلمون انه لا شيء من جزئيات الحركة بقديم وانما الكلام في الحركة
المطلقة والجواب ان تعاقب الحوادث الغير المتناهية محال
لوجهين احدهما طريق التطبيق وهو ان يفرض جملة من الحوادث
المتعاقبة من الان واخرى من يوم الطوفان فان كل منهما لا الى نهاية
ثم نطبق بينهما بحسب فرض العقل اجمالا بان يقابل الاول
من هذه بالاول من تلك وهكذا فاما ان يتطابقا فيتساوى
الكل والجزء او لا فينقطع الطوفانية ويلزم انتهاء الانية
لانها لا تزيد عليها الا بقدر متناه وثانيهما طريق التضايف وهو
انا نفرض سلسلة من الحادث المعين الذي هو مسبوق بحادث
وهو ليس سابقا على حادث اخر بمنزلة المعلول الاخير فلضرورة
تضايف السابقية والمسبوقية وتكافؤ المتضايفين
في الوجود لزم ان تشتمل السلسلة على سابق غير مسبوق و
هو المنتهى واما الجواب بانه لا وجود للمطلق الا في ضمن الجزئي
فلا يتصور قدم المطلق مع حدوث كل من الجزئيات فهو مردود بان

بان المطلق كما يوجد فى ضمن كل جزئى له بداية فيأخذ من تلك الحيثية
حكمه كذلك يوجد فى جميع الجزئيات التى لا بداية لها فيأخذ ايضا
حكمها ولا استحالة فى اتصاف المطلق بالمتقابلات بحسب الحيثيات
وبانه لو صح لزم ان لا يوصف نعيم الجنان بعدم التناهى فالصواب
ما قدمناه من الجواب (وعلى ان العالم قابل للفناء) اى العدم الطارى رى
على الوجود وهو فرع الحدوث فمن قال انه قديم قال لا يجوز عدمه
لما تقدم واما من قال انه حادث فقد قال بجواز فنائه لكون ماهيته
من حيث هى قابلة للعدم حيث كانت متصفة به والعدم قبل
الوجود كالعدم بعده لا تمايز بينهما ولا اختلاف فيهما فاجاز على الآخر
ولم يخالف فى ذلك احد الا الكرامية فانهم مع اعترافهم بحدوث احدهما جاز عليه صح
الاجسام قالوا انها ابدية يمتنع فناؤها (وعلى ان النظر) اى الفكر
فى معرفة الله تعالى اى لاجل حصولها (واجب) لقوله تعالى قل انظروا
ماذا فى السموات والارض فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى
الارض بعد موتها والامر للوجوب ولقوله تعالى حين نزل ان فى
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولى الالباب ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها
فقد اوعد بترك التفكر فى دلائل المعرفة فهو واجب اذ لا وعيد على
ترك غير الواجب والمعتمد فى اثبات وجوب النظر ان معرفة الله تعالى
واجبة اجماعا وهى لا تتم الا بالنظر وما لا يتم الواجب المطلق
الا به فهو واجب (وبه) اى بالنظر الصحيح (تحصيل المعرفة) خلافا
للسمنية حيث ينكرون افادة النظر العلم اصلا وبعض الفلاسفة

حيث

٥

حيث ينكرون افادته العلم فى الالهيات بناء على كثرة الاختلاف
وتناقض الآراء والجواب ان ذلك لفساد النظر فلا ينافى كون
النظر الصحيح علما ان ما ذكرتم استدلال بالنظر ففيه اثبات ما نفيتم
فيتناقض فان زعموا انه معارضة بالفاسد صح قلنا اما ان يفيد شيئا
فلا يكون فاسدا او لا يفيد فلا يكون معارضة فان قيل كون النظر
مفيدا للعلم ان كان ضروريا لم يقع فيه خلاف كما فى قولنا الواحد نصف
الاثنين وان كان نظريا يلزم اثبات النظر بالنظر وانه دور قلنا
الضرورى قد يقع فيه خلاف اما لعناد او لقصور فى الادراك
فان العقول متفاوتة بحسب الفطرة باتفاق من العقلاء و
الاستدلال من الآثار وشهادة من الاخبار والنظرى قد يثبت بنظر
مخصوص لا يعبر عنه بالنظر كما يقال العالم متغير وكل متغير حادث
يفيد العلم بحدوث العالم بالضرورة وليس ذلك لخصوصية هذا
النظر بل لكونه صحيحا مقرونا بشرائطه فيكون كل نظر صحيح مقرون
بشرائطه مفيدا للعلم ولا حاجة الى المعلم ضرورة ان من علم ان
العالم محدث وكل محدث فله مؤثر علم ان العالم له مؤثر سواء كان
هناك معلم او لا وذهب الملاحدة الى ان معرفة الله تعالى لا تحصل
بدون المعلم وهذا باطل لما ذكرنا (وعلى ان للعالم صانعا قديما لم
يزل ولا يزال) لان العالم حادث لما مر وكل حادث فله محدث
بالضرورة فاما ان يتسلسل او يدور او ينتهى الى محدث قديم
والاولان باطلان فتعين الثالث واجبا وجوده لذاته ممتنعا
عدمه بالنظر الى ذاته اذ لو كان جائز الوجود لكان من جملة العالم فلم

من العقل مفيد العلم صح

فلم يصلح محدثا للعالم ومبدا له مع ان العالم اسم لجميع ما يصلح علما
على وجود مبدا له وقريب من هذا ما يقال ان مبدا الممكنات باسرها
لابد ان يكون واجبا اذ لو كان ممكنا لكان من جملة الممكنات فلم يكن مبدأ
لها لا خالق سواه جوهرا كان المخلوق او عرضا للنصوص الدالة
عليه كقوله تعالى لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهل من خالق غير
الله وخلق كل شيء قال امام الحرمين في الارشاد واتفق ائمة
السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله تعالى
ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى
من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العباد به وبين ما لا يتعلق
فان تعلق الصفة بشيء لا يلزم ان يستلزم تاثيرها فيه كالعلم
بالمعلوم والارادة بفعل الغير فالقدرة الحادثة لا تؤثر
في مقدورها اصلا واتفقت المعتزلة ومن تابعهم من اهل
البدع على ان العباد موجدون لافعالهم مخترعون لها بقدرهم
ثم المتقدمون منهم كانوا يمتنعون من تسمية العبد
خالقا لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لا خالق
الا الله واجترا المتاخرون فسموا العبد خالقا على
الحقيقة وقال الامام حجة الاسلام لما بطل الجبر المحض بالضرورة
وكون العبد خالقا لافعاله بالدليل وجب الاقتصاد
في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا
وبقدرة العبد على وجه اخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب
وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون على وجه

الاختراع

الاختراع اذ قدرة الله تعالى في الازل متعلقة بالعالم من غير اختراع
ثم يتعلق به عند الاختراع نوعا اخر من التعلق فحركة العبد باعتبار
نسبتها الى قدرته يسمى كسبا له وباعتبار نسبتها الى قدرة الله تعالى
خلقا فهو خلق للرب ووصف للعبد وكسب له وقدرته خلق
للرب ووصف للعبد وليس بكسب له متصف بجميع صفات
الكمال منزه عن جميع سمات النقص باجماع العقلاء على ذلك
فهو عالم لان فعله تعالى متقن وكل من فعله متقن فهو عالم اما الاول
فظاهر لمن نظر في الافاق والانفس وتامل ارتباط العلويات
بالسفليات سيما في الحيوانات وما هديت اليه من مصالحها و
اعطيت من الالات المناسبة لها ويعين على ذلك علم التشريح
ومنافع خلقة الانسان واعضائه التي قد كسرت عليها المجلدات
واما الثاني فضروري وينبه عليه ان من راى خطا حسنا يتضمن
الفاظا عذبة رشيقة تدل على معاني دقيقة مونقة علم بالضرورة
ان كاتبه عالم وكذلك من سمع خطابا منتظما مناسبا للمقام
من شخص يضطر الى ان يجزم بانه عالم فان قيل المتقن ان اردت
به الموافق للمصلحة من جميع الوجوه فلا شيء من موجودات العالم ومركباته
الا ويشتمل على مفسدة ويمكن تصوره على وجه اكمل او الموافق للمصلحة
من بعض الوجوه فلا يدل على العلم اذ ما من اثر الا ويمكن ان ينتفع به
منتفع سواء كان موثره عالما او لا كاحراق النار وتبريد الماء
او امر اخر ان جئت لنا ما هو وكيف يدل على علم الفاعل ونقول ايضا
انه منقوض بفعل النحل لتلك البيوت المسدسة المتساوية بلا فرجار

وسطه واختيار ها المسدس لانه اوسع من المثلث والمربع و
المخمس ولا يقع بينها فرج كما يقع بين المدورات وما سواها
من المضلعات وهذا لا يعرفه الا الحذاق من اهل الهندسة
وكذلك العنكبوت ينسج تلك البيوت ويجعل لها سدى ولحمة
على تناسب هندسي بلا آلة مع انه لا علم لهما بما يصدر عنهما وما يتضمنه
من الحكم والجواب عن الاول ان المراد بالمتقن ما تشاهده من الصنع
الغريب والترتيب العجيب الذي يتحير فيه العقول ولا تهتدي الى
كمال ما فيه من المصالح والمنافع ولا شك في دلالته على علم الصانع
ويوضحه ما ذكرنا في مثال الكتابة والخطاب اذ لا يشترط في الدلالة
على العلم خلوه عن كل خلل واشتماله على كل كمال حتى لو امكن ان يكتب
احسن منه ويتكلم بافصح منه لم يدل على علم و عن الثاني
انا لا نم عدم علم النحل والعنكبوت بما يفعله لجواز ان يخلق الله تعالى
فيهما علما بذلك الفعل الصادر عنهما او يلهمهما حالا فحالا ما هو
مبدأ لذلك الفعل بجميع المعلومات الممكنة والواجبة والممتنعة
لان الموجب للعلم ذاته المقتضي للمعلومية ذوات المعلومات
ومفهوماتها ونسبة الذات الى الكل سواء فاذا كان عالما
ببعضها كان عالما بكلها قادر اي يصح منه ايجاد العالم وتركه
فليس شيء منهما لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه عنه والى
هذا ذهب المليون كلهم واما الفلاسفة فانهم قالوا ايجاده العالم
على النظام الواقع من لوازم ذاته فيمتنع خلوه عنه فانكروا القدرة
بالمعنى المذكور لاعتقادهم انه نقصان واثبتوا له الايجاب زعما منهم

انه

انه الكمال التام واما كونه قادرا بمعنى ان شاء فعل وان لم يشاء
لم يفعل فمتفق عليه بين الفريقين الا ان الحكماء ذهبوا الى ان
مشية الفعل الذي هو الفيض والجود لازمة لذاته كلزوم العلم
وساير الصفات الكمالية فيستحيل الانفكاك بينهما فمقدم
الشرطية الاولى واجب صدقه ومقدم الثانية ممتنع الصدق
وكلتا الشرطيتين صادقتان في حق الله تعالى والدليل على كونه
قادرا بالمعنى الاول انه ان لم يكن قادرا بل موجبا بالذات
لزم احد الامور الاربعة اما نفي الحادث بالكلية او عدم استناده
الى المؤثر او التسلسل او تخلف الاثر عن المؤثر الموجب التام
وبطلان هذه اللوازم كلها دليل على بطلان الملزوم اما بيان
الملازمة فهو انه على تقدير كونه تعالى موجبا اما ان لا يوجد حادث
او يوجد فان لم يوجد فهو الاول وان وجد فاما ان
لا يستند ذلك الحادث الموجود الى مؤثر موجد او يستند فان
لم يستند فهو الثاني وان استند فاما ان لا ينتهي الى
قديم او ينتهي فان لم ينته فهو الثالث وان انتهى فلا بد
هناك من قديم يوجب حادثا بلا واسطة الحوادث دفعا
للتسلسل فيلزم الرابع على جميع الممكنات لمثل ما في العلم
وهو ان المقتضي للقدرة هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان
لا الوجوب بل هو اظهار المعجزة على وفق دعواه فانه يدل
على صدقه ثبت الكلام ام لم يثبت وسيجيء تحقيق كلام الله تعالى
حي سميع بصير لدلالة النصوص القاطعة واجماع الانبياء

الانه تعالى خالق لها بقدرته بل بحقيقة جميع الكائنات
بالاختيار لا ينافي الاختيار
وسلب الاختيار لانا نقول وجوب الشيء
ذلك الوجه ويمتنع الاخر فيلزم الايجاب
فيجب ذلك الجانب في ذلك الوقت على
جانبي الفعل في وقت معين على وجه مخصوص
لا يقال اذا تعلقت الارادة لذاتها باحد
لذاتها المخصوصة فلا حاجة الى صفة اخرى
صفة تعلقها باحدهما ووقوعه في وقت معين
فيها ويلزم الته قلنا لا نم ذلك بل هي الكلام
في وقت يجوز ارادة وقوعه في وقت اخر فيعود
بالضد الاخر وكما يجوز ارادة وقوع واحد منهما
اذ كما يجوز تعلقها بهذا الضد يجوز تعلقها
نسبتها الى الضدين والى الاوقات سواء
وهو المط فان قيل الارادة من حيث هي ارادة
تبعا له والا لزم الدور فاذن هو امر ثالث
كما عرفت ولا العلم لانه تبع الوقوع
القدرة لاستواء نسبتها اليهما والى الاوقات كلها
بلا مرجح هف وليس ذلك المخصص هو
والا لزم ترجيح احد المتساويين على الاخر
ساير الاوقات من ثبوت مخصص يقتضيه
والتخصيص وقوعه بوقته المعين دون
قبله وبعده فلا بد لتخصيصه بالوقوع دون ضده
ان يقع في وقته الذي وقع فيه يمكن ان يقع
الى الاوقات المعينة كلها سواء فكما يمكن
وكل واحد منهما فرض وقوعه بها فان نسبته بها
ذلك الضد من غير فرق بينهما في امكان الوقوع
ان يقع بها بهذا الضد يمكن ان يقع بها
نسبتهما الى القدرة سواء اذ كما يمكن
بالوقوع والدليل على ثبوتها ان الضدين
على السواء فاذا ثبت قدرته على بعضها ثبت على كلها مويد الارادة صفة ثالثة مغايرة للعلم والقدرة توجب تخصيص احد المقدورين

بل جميع العقلاء على ذلك وهو منزه عن جميع صفات النقص
لما سبق من اجماع العقلاء على ذلك فلا شبه له اى لا يشبهه
شئ فى الصفات فان صفاته من العلم والقدرة وغير ذلك
اجل واعلى من معانى المخلوقات بحيث لا مناسبة بينهما ولا ند له
ولا مثل له الند هو المثل المناوى والمثل هو المشارك فى
تمام الماهية والدليل على نفيهما انه لو شاركه غيره فى الذات
والحقيقة لخالفه بتعين ضرورة الاثنينية فان المتشاركين
فى تمام الماهية لابد ان يتخالفا بتعين وتشخص حتى يمتاز به هويتهما
ويتعددا ولا شك ان ما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم
التركيب فى هوية كل منهما وهو ينافى الوجوب الذاتى ولا شريك له
للادلة السمعية كاجماع الانبياء على الدعوة الى التوحيد ونفى الشريك
وكالنصوص القطعية من كتاب الله تعالى على ذلك والمشهور
فى ذلك بين المتكلمين برهان التمانع المشار اليه بقوله تعالى لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وتقريره انه لو امكن الهان
لامكن بينهما تمانع بان يريد احدهما حركة زيد والآخر سكونه
لان كلا منهما فى نفسه امر ممكن وكذا التعلق الارادة بكل منهما اذ
لا تضاد بين الارادتين بل بين المرادين وح اما ان يحصل
الامران فيجتمع الضدان او لا فيلزم عجز احدهما وهو امارة
الحدوث والامكان لما فيه من شائبة الاحتياج فالتعدد
مستلزم لامكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا وهذا تفصيل
ما يقال ان احدهما ان لم يقدر على مخالفة الآخر لزم عجزه وان قدر

لزم

لزم عجز الآخر وبما ذكرنا يندفع ما يقال انه يجوز ان يتفقا من
غير تمانع او ان يكون الممانعة والمخالفة غير ممكنة لاستلزامها
المح او ان يمتنع اجتماع الارادتين كارادة الواحد حركة زيد
وسكونه معا ولا ظهير له اى لا معين له ولا يحل فى غيره لان الحال
فى الشئ يفتقر اليه فى الجملة سواء كان حلول جسم فى مكان او عرض
فى جوهر او صورة فى مادة كما هو رأى الفلاسفة او صفة فى
موصوف كصفات المجردات والافتقار الى الغير ينافى
الوجوب فان قيل قد يكون حلول امتزاج كالماء فى الورد
قلنا ذلك من خواص الاجسام ومفضى الى الانقسام و
عائد الى حلول الجسم فى المكان ولا يقوم بذاته حادث
اى موجود بعد العدم لان صفاته كلها صفات كمال
فخلوه عنها نقص والنقص عليه محال اجماعا فلا يكون
شئ من صفاته حادثا والا كان خاليا عنه قبل حدوثه
واما الاضافات والسلوب الحاصلة بعد ما لم يكن
ككونه تعالى موجودا مع كل حادث بعد ما لم يكن معه وزوال هذه
المعية عنه اذا عدم الحادث فيجوز قيامها بذاته تعالى ولا يتحد بغيره لامتناع
اتحاد الاثنين ضرورة ولانه يلزم كون الواجب هو الممكن والممكن هو
الواجب وذلك مح بالضرورة ليس بجوهر اما عندنا فلانه
اسم للجزء الذى لا يتجزى وهو متحيز وجزء من الجسم والله تعالى متعال
عن ذلك واما عند الفلاسفة فلانهم وان جعلوه اسما للموجود
لا فى موضوع مجردا كان او متحيزا لكنهم جعلوه من اقسام الممكن و

واراد وا به الماهية الممكنة التي اذا وجدت كانت لا في موضوع
ولا عرض لانه لا يقوم بذاته بل يفتقر الى محل يقومه فيكون ممكنا ولا جسم
لانه متركب ومتحيز وذلك امارة الحدوث ولا في حيز ولا في جهة لانهما
من خواص الاجسام والجسمانيات ولا يشار اليه بهنا وهناك
ولا يصح عليه الحركة والانتقال ولا الجهل ولا الكذب لانهما
نقص والنقص عليه تعـ محال وهو تعـ مرئي للمؤمنين يوم القيامة
للادلة السمعية اما الكتاب فقوله تعـ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة واما السنة فقوله عم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة
البدر وهو مشهور رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة رضي الله عنهم
واما الاجماع فهو ان الامة كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الاخرة
وان الايات الواردة في ذلك محمولة على ظواهرها ثم ظهرت
مقالة المخالفين وشاعت شبههم وتاويلاتهم واقوى شبههم ان
الرؤية مشروطة بكون المرئي في مقابلة وجهة من الرائي وذلك
مح والجواب منع هذا الاشتراط واليه اشار بقوله من غير موازاة
ومقابلة وجهة وقياس الغائب على الشاهد فاسد فان قيل لو كان
جائز الرؤية والحاسة سليمة لوجب ان يرى في الدنيا والا لجاز
ان يكون بحضرتنا جبال شاهقة لا نراها وانه سفسطة قلنا مم
فان الرؤية عندنا بخلق الله تعـ لا تجب عند اجتماع الشرائط
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن هذا مروي عن النبي عم وقد
تلقته الامة بالقبول وفي الاول دليل على انه تعـ غير مريد لما لا يكون
وذلك لانه ينعكس بعكس النقيض الى قولنا كل ما لم يكن لم يشأ الله

وفي الثاني دليل على انه مريد لجميع الكائنات لانعكاسه بذلك الطريق
الى قولنا كل ما كان فقد شاءه الله تعـ فالكفر والمعاصي بخلقه و
ارادته لما مر غير مرة خلافا للمعتزلة وقد سبق تمسكهم مع رده
ولا برضاه لقوله تعـ ولا يرضى لعباده الكفر غني لا يحتاج الى شيء
في ذاته وصفاته لان الاحتياج الى الغير ينافي الوجوب ولا حاكم
عليه بل هو الحاكم على الاطلاق لقوله تعـ له الحكم ولا يجب عليه شيء اذ
لا حاكم عليه ولانه لو وجب عليه شيء فان لم يستوجب الذم بتركه
لم يتحقق الوجوب وان استوجب كان ناقصا لذاته مستكملا
بفعله وهو محال كاللطف وهو فعل يقرب العبد الى الطاعة
ويبعده عن المعصية لا الى حد الالجاء ويسمى اللطف المقرب او
يحصل الطاعة ويسمى المحصل وذلك كالارزاق والاجال والقوى
والالات واكمال العقل ونصب الادلة وما يشبه ذلك و
المعتزلة اوجبوه عليه تعـ واستدلوا على الوجوب بان منع
اللطف نقض لغرضه الذي هو الاتيان بالمامور به ونقض
الغرض قبيح يجب تركه ورد بمنع المقدمتين لجواز ان لا يكون
المامور به مرادا وغرضا ويتعلق بنقضه حكم ومصالح والاصلح
ذهب البغداديون من المعتزلة الى انه يجب على الله تعـ ما هو
اصلح لعباده في الدين والدنيا وقال البصريون بل في الدين
فقط ويعنون بالاصلح الانفع والبغداديون الاصلح في الحكمة
والتدبير ويرد عليهما ان الاصلح للكافر الفقير المعذب في الدنيا
والاخرة ان لا يخلق مع انه مخلوق فلم يراع في حقه ما كان اصلح

له فلا يكون الاصلح واجبا عليه والعوض على الالام وذهب المعتزلة
الى وجوبه عليه تعالى مستدلين بان تركه قبيح لكونه ظلما فيجب فعله ورد
بان القبح العقلي منتف والشرعي لا تعلق له بافعاله تعالى ولا يجب
عليه الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية خلافا للمعتزلة
ان اثاب على الطاعة فبفضله من غير وجوب عليه ولا استحقاق من العبد
لان طاعات العبد وان كثرت لا تفي بشكر بعض ما انعم الله عليه
فكيف يتصور استحقاق عوض عليها وان عاقب على المعصية
فبعدله لان الكل ملكه فله ان يتصرف فيه كيف يشاء ولا قبيح منه
لكون ذلك بالشرع ولا يتصور في افعاله ولا ينسب فيما يفعل او يحكم
الى جور وظلم لما مر ان الكل ملكه فله التصرف فيه كيف يشاء و
يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بحكمته لا مانع لمشيته ولا راد
لحكمه لا غرض لفعله لانه لو كان لفعله غرض لكان هو ناقصا بذاته
مستكملا بتحصيل ذلك الغرض لانه لا يصلح غرضا للفاعل الا ما هو اصلح
له من عدمه وهو معنى الكمال فان قيل لا نم الملازمة لان الغرض
قد يكون عائدا الى غيره فليس كل من يفعل لغرض يفعل لغرض نفسه
قلنا نفع غيره ان كان اولى بالنسبة اليه تعالى من عدمه جاء الالزام
والا لم يصلح ان يكون غرضا له والمعتزلة اثبتوا لفعله غرضا واحتجوا
بان الفعل الخالي عن الغرض عبث وانه قبيح يجب تنزيه الله تعالى عنه
ورد بان العبث ما كان خاليا عن الفوائد والمنافع وافعاله تعالى
محكمة متقنة مشتملة على حكم ومصالح لا تحصى راجعة الى المخلوقات
الله تعالى لكنها ليست اسبابا باعثة على اقدامه وعللا مقتضية

لفاعلية

لفاعلية فلا يكون اغراضا له ولا عللا غائية لافعاله حتى يلزم
استكماله بها بل يكون غايات ومنافع لافعاله وآثارا مترتبة
عليها كما يشير اليه قوله راعى الحكمة فيما خلق وامر واودع فيهما
الفوائد والمنافع ولكن لا شيء منها باعث له تعالى على الفعل
وان كانت معلومة له تعالى وما ورد من الظواهر الدالة على تعليل
افعاله فهو محمول على الغاية والمنفعة دون الغرض والعلة الغائية
تفضلا ورحمة لا وجوبا ولا حاكم سواه هذا اجمال علم فيما سبق فليس
للعقل حكم في حسن الاشياء وقبحها وكون الفعل سببا للثواب
والعقاب فالحسن ما حسنه الشرع اي لم ينه عنه نهي تحريم
او تنزيه كالواجب والمندوب والمباح فان المباح عند
اكثر الاشاعرة من قبيل الحسن وكفعل الله سبحانه فانه حسن ابدا
بالاتفاق واما فعل البهائم فقد قيل انه لا يوصف بحسن ولا قبح
باتفاق الخصوم وفعل الصبي مختلف فيه كذا في شرح المواقف والقبيح
ما قبحه الشرع اي نهى عنه نهي تحريم او تنزيه وليس للفعل صفة
حقيقية او اعتبارية باعتبارها حسن او قبح كما قال به بعض
المعتزلة كما سيأتي ولو عكس الشرع الامر فقبح ما حسنه
وحسن ما قبحه لكان الامر بالعكس فصار الحسن قبيحا والقبيح حسنا صح
كما في النسخ من الوجوب الى الحرمة ومن الحرمة الى الوجوب قالت
المعتزلة بل الحاكم بالحسن والقبح هو العقل والفعل حسن او
قبيح في نفسه والشرع كاشف ومبين وليس له ان يعكس الامر
ولا بد اولا من تحرير محل النزاع فنقول الحسن والقبح يقال لمعان

ثلثة الاول صفة الكمال والنقص يقال العلم حسن والجهل
قبيح ولا نزاع في ان مدركه العقل الثاني ملايمة الغرض ومنافرته
وقد يعبر عنهما بالمصلحة والمفسدة وذلك ايضا عقلي ويختلف
بالاعتبار فان قتل زيد مصلحة لاعدائه مفسدة لاوليائه الثالث
تعلق المدح والثواب او الذم والعقاب وهذا هو محل النزاع
فهو عند الاشاعرة شرعي وعند المعتزلة عقلي فانهم قالوا للفعل في
نفسه مع قطع النظر عن الشرع جهة محسنة او مقبحة ثم انها قد تدرك
بالضرورة كحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار وقد تدرك
بالنظر كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع مثلا وقد لا تدرك
بالعقل ولكن اذا ورد به الشرع علم ان ثمة جهة محسنة كما في صوم اخر
يوم من رمضان او مقبحة كصوم اول يوم من شوال ثم انهم اختلفوا فذهب
الاوائل منهم الى ان حسن الافعال وقبحها لذواتها لا لصفات فيها يقتضيهما
وذهب بعض من بعدهم من المتقدمين الى اثبات صفة حقيقية توجب
ذلك مطلقا وذهب ابو الحسين من متاخريهم الى اثبات صفة في
القبيح مقتضية لقبحه دون الحسن اذ لا حاجة به الى صفة محسنة له
بل يكفيه لحسنه انتفاء الصفة المقبحة وذهب الجبائي الى نفيها
فيهما مطلقا فقال ليس حسن الافعال وقبحها لصفات حقيقية فيها بل
لوجوه اعتبارية واوصاف اضافية تختلف بحسب الاعتبار كما في لطم
اليتيم تاديبا وظلما احتجت الاشاعرة بان العبد مجبور في افعاله
واذا كان كذلك لم يحكم العقل فيها بحسن ولا قبح اتفاقا بيانه ان
العبد ان لم يتمكن من الترك فذاك وان تمكن ولم يتوقف على

مرجح بل صدر عنه تارة ولم يصدر اخرى من غير سبب كان اتفاقيا
وان توقف على مرجح لم يكن ذلك من العبد والا تسلسل ووجب الفعل
عنده والا جاز معه الفعل والترك فاحتاج الى مرجح اخر ويتسلسل فيكون
اضطراريا وعلى التقادير فلا اختيار للعبد فيكون مجبورا واحتجت
المعتزلة بوجهين الاول انا قاطعون بانه يقبح عند الله تعالى من العارف
بذاته وصفاته ان يشرك به وينسب اليه الزوجة والولد وما لا يليق
به من صفات النقص وسمات الحدوث بمعنى انه يستحق الذم والعقاب
في حكم الله تعالى سواء ورد الشرع او لم يرد واجيب بانه مبني القطع
على استقرار الشرايع على ذلك واستمرار العادات بمثله في
الشاهد فصار قبحه مركوزا في العقول بحيث يظن انه بمجرد حكم العقل
الثاني انه لو لم يكن وجوب النظر وبالجملة اول الواجبات عقليا
بل شرعيا لما صح للنبي الزام النظر في المعجزة لعدم الوجوب قبل ثبوت
الشرع واجيب بان المتوقف على النظر هو العلم بالوجوب لا نفسه
ولقوة هذين الوجهين ذهب بعض اهل السنة وهم الحنفية
الى ان حسن بعض الاشياء وقبحها مما يدرك بالعقل كما هو
راي المعتزلة كوجوب اول الواجبات ووجوب تصديق النبي
وحرمة تكذيبه دفعا للتسلسل وكحرمة الاشراك بالله تعالى ونسبة
ما هو في غاية الشناعة اليه على من هو عارف به وبصفاته و
كمالاته ووجوب ترك ذلك ولا نزاع في ان كل واجب حسن
وكل حرام قبيح الا انهم لم يقولوا بالوجوب او الحرمة على الله تعالى و
جعلوا الحاكم بالحسن والقبح والخالق لافعال العباد هو الله تعالى

والعقل آلة لمعرفة بعض ذلك من غير ايجاب ولا توليد بل بايجاد الله تعالى
من غير كسب في البعض ومع الكسب بالنظر الصحيح في البعض وهو اي الله تعالى
غير متبعض ولا متجز اي ذي ابعاض واجزاء لما في ذلك من الاحتياج
المنافي للوجوب ولا حد له ولا نهاية له لان ذلك من خواص المقادير
صفاته اي كل واحدة من صفاته الحقيقية كالعلم والقدرة والارادة
واحدة بالذات لان ذلك اليق بكمال التوحيد ولانه لا دليل على
تكثر كل منها في نفسها غير متناهية بحسب التعلق اما بالفعل كما في
العلم واما بالقوة كما في القدرة فان تعلقها لا تقف عند حد لا يمكن
تعلقها بالغير وان كان كل ما يتعلق به بالفعل متناهيا فتعلقاتها
متناهية بالفعل دائما غير متناهية بالقوة دائما وعلى هذا فقس سائر
الصفات التي لها تعلقات بالغير كالارادة والكلام والسمع والبصر
بخلاف ما لا تعلق له بالغير كالحيوة فما وجد من مقدوراته قليل من كثير
لان ما وجد منها متناه ومقدوراته غير متناهية بل لا نسبة بينهما
من النسب المقدارية وله الزيادة والنقصان في مخلوقاته ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن ولله تعالى ملائكة وهي اجسام لطيفة
تظهر في صور مختلفة وتقوى على افعال شاقة ذو اجنحة مثنى
وثلاث ورباع مقتبس من قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولي
اجنحة مثنى وثلاث ورباع ولعله لم يرد خصوصية الاعداد و
نفي ما زاد عليها لما روي انه عليه السلام راى جبرائيل ليلة المعراج
وله ستمائة جناح منهم جبرئيل وهو ملك مقرب يتعلق به القاء
العلوم وتبليغ الوحي وميكائيل يتعلق به تعيين الارزاق واسرافيل يتعلق بنفخ الصور للموت والبعث
وعزرائيل

سلی

يتعلق به قبض الارواح خصهم بالذكر لزيادة فضلهم وشهرتهم
لكل واحد منهم اي من الملائكة مقام معلوم في المعرفة والعبادة
والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم لا يعصون الله ما امرهم
في الماضي ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل فان قيل
اليس قد كفر ابليس وكان من الملائكة بدليل صحة استثنائه
منهم قلنا لا بل كان من الجن ففسق عن امر ربه لكنه لما كان
في صفة الملائكة في باب العبادة ورفعة الدرجة وكان جنيا
واحدا مغمورا فيما بينهم صح استثناؤه منهم تغليبا واما هاروت
وماروت فالاصح انهما ملكان لم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة و
تعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب الانبياء على الزلة
والسهو وكانا يعظان الناس ويقولان انما نحن فتنة
فلا تكفر ولا كفر في تعليم السحر بل في اعتقاده والعمل به والقران
وكذا سائر الكتب الالهية كلام الله غير مخلوق اقام غير مخلوق
مقام غير حادث تنبيها على اتحادهما وقصدا الى جري الكلام على
وفق الحديث حيث قال النبي عم القران كلام الله غير مخلوق
ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم وتنصيصا على محل
الخلاف بالعبارة المشهورة بين اهل السنة والمعتزلة
وهو ان القران مخلوق او غير مخلوق ولهذا يترجم المسئلة
بخلق القران وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع الى
اثبات الكلام النفسي ونفيه والا فنحن لا نقول بقدم ا
الالفاظ والحروف وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي

ودليلنا انه ثبت بالاجماع وتواتر النقل عن الانبياء انه تعا
متكلم ولا معنى له سوى انه متصف بالكلام ويمتنع قيام اللفظي
الحادث بذاته تعا فتعين النفسي القديم واما استدلالهم بان
القرآن متصف بما هو من صفات المخلوق وسمات الحدوث
من التاليف والتنظيم والانزال والتنزيل وكونه عربيا
مسموعا فصيحا معجزا الى غير ذلك فانما يقوم حجة على الحنابلة
القائلين بقدم النظم لا علينا لانا قائلون بحدوثه وانما الكلام
في المعنى القديم والمعتزلة لما لم يمكنهم انكار كونه تعا متكلما ذهبوا
الى انه تعا متكلم بمعنى ايجاد الاصوات والحروف في محالها او
ايجاد اشكال الكتابة في اللوح المحفوظ وان لم تقرا على اختلاف
بينهم وانت خبير بان المتحرك من قامت به الحركة لا من اوجدها
واعلم ان للمص مقالة مفردة في تحقيق كلام الله تعا ومحصولها
ان لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ واخرى على الامر
القائم بالغير فالشيخ الاشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي
فهم الاصحاب منه ان مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم
عنده واما العبارات فانما تسمى كلاما مجازا لدلالتها على ما هو
كلام حقيقي حتى صرحوا بان الالفاظ حادثة على مذهبه ايضا لكنها
ليست كلامه حقيقة وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم
كثيرة فاسدة كعدم اكفار من انكر كلامية ما بين دفتي المصحف
مع انه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعا حقيقة وكعدم
كون المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي وكعدم كون المقروء

والمحفوظ

والمحفوظ كلامه تعا حقيقة الى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطنين في
الاحكام الدينية فوجب حمل كلام الشيخ على انه اراد به المعنى الثاني
فيكون الكلام النفسي عنده امرا شاملا للفظ والمعنى جميعا قائما
بذات الله تعا وهو المكتوب في المصاحف المقروء بالالسن المحفوظ
في الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ
غير الحفظ وما يقال من ان الحروف والالفاظ مترتبة متعاقبة
فجوابه ان ذلك الترتب انما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة
الالة فالتلفظ حادث والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على
حدوثه دون حدوث الملفوظ جمعا بين الادلة قال المحقق الشريف
في شرح المواقف وهذا المحمل لكلام الشيخ مما اختاره محمد الشهرستاني لى
في كتابه المسمى بنهاية الاقدام ولا شبهة في انه اقرب الى الاحكام
الظاهرية المنسوبة الى قواعد الملة واسماؤه توقيفية اي يتوقف
اطلاقها على اذن الشرع قال العلامة التفتازاني في شرح المقاصد
لا خلاف في جواز اطلاق الاسماء والصفات على الباري تعا
اذا ورد اذن الشرع وعدم جوازه اذا ورد منعه وانما الخلاف
فيما لم يرد به اذن ولا منع وكان هو موصوفا بمعناه ولم يكن
اطلاقه موهما بما يستحيل في حقه فعندنا لا يجوز وعند المعتزلة
يجوز واليه مال القاضي ابو بكر منا وتوقف امام الحرمين و
فصل الامام الغزالي فقال بجواز الصفة وهو ما يدل على معنى
زائد على الذات دون الاسم وهو ما يدل على نفس الذات لنا
انه لا يجوز ان يسمى النبي ص باسم ليس من اسمائه بل لو سمي واحد منا

من افراد الناس بما لم يسمه به ابواه لما ارتضاه فالباري تعالى
وتقدس اولى قالوا اهل كل لغة يسمونه باسم مختص بلغتهم كقولهم
خداى وتنكرى وشاع ذلك وذاع من غير نكير فكان اجماعا قلنا
كفى بالاجماع دليلا على الاذن الشرعي وهذا ما يقال انه لا خلاف
فيما يرادف الاسماء الواردة في الشرع قال امام الحرمين معنى الجواز
وعدمه الحل والحرمة وكل منهما حكم شرعي لا يثبت الا بدليل شرعي والقياس
انما يعتبر في العمليات دون الاسماء والصفات واجيب بان
التسمية من باب العمليات وافعال اللسان وقال الامام
الغزالي اجرا الصفة اخبار بثبوت مدلولها فيجوز عند ثبوت المدلول
الا لمانع بالدلائل الدالة على اباحة الصدق بل استحبابه بخلاف
التسمية فانه تصرف في المسمى ولا ولاية عليه الا للاب والمالك
ومن يجري مجرى ذلك فان قيل فلم لا يجوز مثل العارف والعاقل
والفطن والذكي وما اشبه ذلك قلنا لما فيه من الايهام لشهرة
استعماله مع خصوصية تمتنع في حق الباري تعالى فان المعرفة قد
تشعر بسبق العدم والفطنة بسرعة ادراك ما غاب وكذا
جميع الالفاظ الدالة على الادراك حتى قالوا ان الدراية
يشعر بضرب من الحيلة وهو اعمال الفكر والروية وما فيه ايهام
لا يجوز بدون الاذن وفاقا كالصبور والشكور والحليم والرحيم
فان قيل قد وجدنا من الاوصاف ما يمتنع اطلاقها مع ورود
الشرع بها كالماكر والمستهزئ والمنزل والمنشئ والحارث والزارع
والرامي قلنا لا يكفي في صحة الاجرا على الاطلاق مجرد وقوعها في

الكتاب

في الكتاب والسنة بحسب اقتضاء المقام والسياق الكلام بل يجب
ان لا يخلو عن نوع تعظيم ورعاية ادب انتهى اعلم ان ما ورد به التوقيف
في المشهور تسعة وتسعون اسما فلنحصيها احصاء الله الرحمن
الرحيم الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب
الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع
المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير
الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب
الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد
الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد
المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد
الاحد الصمد القادر المقتدر المقدم الموخر الاول الاخر
الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو
الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع
الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي
الوارث الرشيد الصبور فهذه هي الاسماء الحسنى
نسال الله تعالى ببركتها ان يفتح علينا ابواب الخيرات
ويغفر لنا ويرحمنا انه هو الغفور الرحيم والمعاد اي الجسماني
كما هو المتبادر عند اطلاق اهل الشرع حق لانه امر ممكن اخبر
به الصادق اما الامكان فلان الكلام فيما عدم بعد الوجود
او تفرق بعد الاجتماع ومات بعد الحيوة فيكون قابلا لذلك

والفاعل هو الله القادر على كل الممكنات العالم بجميع الكليات والجزئيات
واما الاخبار فلما تواتر من الانبياء سيما نبينا ؏ انهم كانوا يقولون
بذلك ولما ورد في التنزيل من نصوص لا يحتمل اكثرها التاويل مثل
قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم اول مرة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين
على ان نسوي بنانه وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا
الله الذي انطق كل شيء كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها يوم
تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير افلا يعلم اذا بعثر ما في
القبور الى غير ذلك من الايات ومن الاحاديث ايضا كثيرة وبالجملة فاثبات
المعاد الجسماني من ضروريات الدين وانكاره كفر بيقين واما المعاد
الروحاني اعني التذاذ النفس بعد المفارقة وتالمها باللذات
والالام العقلية فلا يتعلق التكليف باعتقاده ولا يكفر منكره و
لا مانع منه شرعا وعقلا ثم اثباته بحشر الاجساد ويعاد فيها الارواح
بالايجاد بعد الفناء عند بعض المتكلمين او بالجمع بعد تفرق الاجزاء عند
بعضهم والحق التوقف وهو اختيار امام الحرمين حيث قال يجوز عقلا
ان ينعدم الجواهر ثم تعاد وان تبقى وتزول اعراضها المعهودة ثم
تعاد بعينها ولم يدل قاطع سمعي على تعين احدهما فلا يبعد ان يصير
اجسام العباد على صفة اجسام التراب ثم يعاد تركيبها الى ما عهد و
لا يحيل ان ينعدم منها شيء ثم يعاد والله اعلم وكذا المجازاة والمحاسبة
للنصوص الدالة عليهما والحكمة في المحاسبة مع ان المحاسب خبير و

والنافذ بصيرة ظهور مراتب ارباب الكمال وفضائح اصحاب
النقصان على رؤس الاشهاد وزيادة في لذات هولاء وحسراتهم
والام اولئك واعدائهم وفي هذا ترغيب في الحسنات وزجر
عن السيئات والصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
يرده الاولون والاخرون ادق من الشعر واحد من السيف
على ما ورد في الحديث الصحيح ويشبه ان يكون المرور عليه هو
المراد بورود كل احد النار على ما قال الله تعالى وان منكم الا
واردها وانكره القاضي عبد الجبار وكثير من المعتزلة زعما منهم
انه لا يمكن العبور عليه ولو امكن ففيه تعذيب ولا عذاب
على المؤمنين والصلحاء يوم القيمة والجواب ان امكان العبور
ظاهر كالمشي على الماء والطيران في الهواء غايته مخالفة العا ده
ثم الله يسهل الطريق على من اراده كما ورد في الحديث ان
منهم من هو كالبرق الخاطف ومنهم من هو كالريح الهابة
ومنهم من هو كالجواد ومنهم من هو يجوز رجلاه ويعلق يداه
ومنهم من هو يخر على وجهه والميزان حق لقوله تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة فاما من ثقلت موازينه
فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه ها
وية وذهب كثير من المفسرين الى انه ميزان له كفتان و
لسان تحملا بالحقيقة لامكانها وقد ورد في الحديث تفسيره
بذلك انكره بعض المعتزلة ذهابا الى ان الاعمال اعراض
لا يمكن وزنها فكيف اذا زالت وتلاشت واجيب بانه

يوزن صحايف الاعمال وقيل بل تجعل الحسنات اجساما نورانية
والسيئات اجساما ظلمانية واما لفظ الجمع فللاستعظام
وقيل لكل مكلف ميزان وانما الميزان الكبير واحد اظهارا
لجلالة الامر وعظم المقام وخلق الجنة والنار اى انهما مخلوقتان
الان وزعم اكثر المعتزلة انهما انما يخلقان يوم الجزاء لنا
وجهان الاول قصة ادم وحوا واسكانهما الجنة ثم اخراجهما
عنها باكل الشجرة وكونهما يخصفان عليهما من ورق الجنة على ما
نطق به الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع الامة قبل ظهور
المخالفين وحملها على بستان من بساتين الدنيا يجري مجرى
التلاعب بالدين والمراغمة لاجماع المسلمين ثم لا قايل بخلوج
الجنة دون النار فثبوتها ثبوتها الثانى الايات الصريحة فى
ذلك كقوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها
جنة المأوى وكقوله في حق الجنة اعدت للمتقين وفي حق النار
اعدت للكافرين وبرزت الجحيم للغاوين وحملها على التعبير عن
المستقبل بلفظ الماضي مبالغة في تحققه مثل ونفخ في الصور
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار خلاف الظاهر فلا يعدل
اليه بدون قرينة قالوا لو خلقتا لهلكتا لقوله تعالى كل شئ هالك
الا وجهه واللازم باطل للاجماع على دوامهما وللنصوص الشاهدة
بدوام اكل الجنة وظلها واجيب بتخصيصهما من اية الهلاك
جمعا بين الادلة وبان الدوام المجمع عليه هو انه لا انقطاع لبقائهما
ولا منتهاء لوجودهما بحيث تبقيان على العدم زمانا يعتد به كما

اعدت للذين امنوا بالله ورسله
وازلفت الجنة للمتقين
صح

فی

كما في دوام الاكل فانه على التجدد والانقضاء قطعا وهذا لا ينافي
فناء لحظة وبان المراد ان كل ممكن فهو هالك في حد ذاته بمعنى ان الوجود
الامكاني بالنظر الى الوجود الواجبي بمنزلة العدم يخلد اهل الجنة
في الجنة ويخلد الكافر في النار باجماع المسلمين على ذلك هذا
حكم الكافر الجاهل المعاند وكذا من بالغ في الطلب والنظر واستفرغ
المجهود ولم ينل المقصود خلافا للجاحظ والعنبري حيث زعما انه
معذور اذ لا يليق بحكمة الحكيم ان يعذبه مع بذله الجهد والطاقة من
غير جرم وتقصير كيف وقد قال الله تعالى ما جعل الله عليكم في الدين
من حرج ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج ولا شك ان عجز المتحير اشد وهذا الغرف خرق للاجماع
وترك للنصوص الواردة في هذا الباب هذا في حق الكفار عنادا او
اعتقادا واما الكفار حكما كاطفال المشركين وكذلك عند الاكثرين
لدخولهم في العمومات ولما روى ان خديجة رضه سألت النبي ع م
عن اطفالها الذين ماتوا في الجاهلية فقال هم في النار وقالت
المعتزلة ومن تبعهم لا يعذبون بل هم خدم اهل الجنة على ما ورد
في الحديث لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون ونحو ذلك وقيل من علم الله منه الايمان
والطاعة على تقدير البلوغ ففي الجنة ومن علم منه الكفر والعصيان
ففي النار ولا يخلد المسلم صاحب الكبيرة في النار وان مات
قبل التوبة خلافا للمعتزلة بل يخرج اخرا الى الجنة تفضلا لا
وجوبا لنا وجهان الاول الايات والاحاديث الدالة على ان

المؤمنين يدخلون الجنة البتة وليس ذلك قبل دخول النار وفاقا
فتعين ان يكون بعده او بدونه قال الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة وقال النبي عم من قال لا اله الا الله دخل الجنة وقال من
مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنى وان سرق
الثاني النصوص المشعرة بالخروج من النار كقوله تعالى النار مثويكم
خالدين فيها الا ما شاء الله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز وكقول النبي عم يخرج من النار قوم بعد ما امتحشوا وصاروا
فحما وحمما فينبتون كما ينبت الحبة في حميل السيل وخبر الواحد
وان لم يكن حجة في الاصول لكن يفيد التاييد والتاكيد بتعاضد
النصوص احتجت المعتزلة بالايات الدالة على الخلود المتناولة
للكافر وغيره كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا وقوله تعالى واما الذين فسقوا فماويهم النار
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وغير ذلك والجواب
انا نخص تلك العمومات بالكفار او نحمل الخلود وان كان ظاهرا
في الدوام على المكث الطويل فانه قد يستعمل فيه كسجن مخلد
ووقف مخلد او نقيد السيئات بقيد الاستحلال او نحو
ذلك كما قيل في اية القتل ان التعليق بالوصف يشعر بالحيثية
فيختص بمن قتل مؤمنا لايمانه جمعا بين الادلة واختلفت
الروايات في الكبيرة روى ابن عمر رض انها تسعة الشرك
بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار من

وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها صح

الزحف

والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين
والالحاد في الحرم وزاد ابو هريرة رض اكل الربوا وزاد
علي رض السرقة وشرب الخمر وقيل كل ما كان مفسدته
مثل مفسدة شيء مما ذكر او اكثر منه وقيل كل ما توعد
عليه الشارع بخصوصه وقيل كل معصية اصر عليها العبد
فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة وقيل انهما
اسمان اضافيان لا يعرفان بذاتيهما فكل معصية
اضيفت الى ما فوقها فهي صغيرة واذا اضيفت الى
ما دونها فهي كبيرة والكبيرة المطلقة هي الكفر اذ لا ذنب
اكبر منه والعفو عن الصغائر والكبائر بدون التوبة ومعنى
العفو ترك عقوبة المجرم والستر عليه بعدم المؤاخذة
جائز خلافا للمعتزلة لنا الايات والاحاديث الناطقة
بالعفو والغفران وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات او يوبقهن بما كسبوا ويعف
عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي الاحاديث
كثرة والمعتزلة يخصونها بالصغائر او بالكبائر المقرونة
بالتوبة وتمسكوا بوجهين الاول الايات والاحاديث
الواردة في وعيد العصاة والجواب انها على تقدير عمومها
انما تدل على الوقوع دون الوجوب وقد كثرت النصوص

في العفو فيخصص المذنب المغفور عن عمومات الوعيد وزعم
بعضهم ان الخلف في الوعيد كرم فيجوز من الله تعالى والمحققون
على خلافه كيف وهو تبديل للقول وقد قال الله تعالى ما يبدل
القول لدي الثاني ان المذنب اذا علم انه لا يعاقب
على ذنبه كان ذلك تقريرا له على الذنب واغراء للغير عليه
وهذا ينافي حكمة ارسال الرسل والجواب ان مجرد جواز
العفو لا يوجب ظن عدم العقاب فضلا عن العلم كيف
والعمومات الواردة في الوعيد المقرونة بغاية من التهديد
ترجح جانب الوقوع بالنسبة الى كل واحد وكفى به زاجرا
والشفاعة حق لمن اذن له الرحمن لقوله تعالى يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر
من امته في حط السيئات اما في العرصات واما بعد دخول
النار خلافا للمعتزلة وهذا مبني على ما سبق من جواز العفو
بدون الشفاعة فبالشفاعة اولى وعندهم لما لم يجز لم يجز
لنا ما اشتهر بل تواتر معنى من الشفاعة لاهل الكبائر
كقوله عليه السلام ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي
واحتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعة وقوله تعالى ما
للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع والجواب بعد تسليم دلالتها

على

على العموم في الاشخاص والازمان والاحوال انه يجب تخصيصها
بالكفار جمعا بين الادلة ولما كان اصل العفو والشفاعة
ثابتا بالادلة القطعية من الكتاب والسنة والاجماع
قالت المعتزلة بالعفو عن الصغائر مطلقا وعن الكبائر
بعد التوبة وبالشفاعة لرفع الدرجات وزيادة المثوبات
وكلاهما فاسد اما الاول فلان التائب ومرتكب الصغيرة
المجتنب عن الكبيرة لا يستحقان العذاب عندهم فلا معنى
للعفو واما الثاني فلان النصوص دالة على الشفاعة
بمعنى طلب العفو عن الجناية وهو مشفع فيهم اي مقبول الشفاعة
لما ورد في الحديث ان الله تعالى يقول اشفع تشفع
وسل تعط وعذاب القبر للمؤمن الفاسق وللكافر حق للآيات
كقوله تعالى في ال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
اي قبل القيامة وذلك في القبر بدليل قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وكقوله تعالى في
قوم نوح اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب وكقوله تعالى
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين واحدى الحيوتين
ليست الا في القبر ولا يكون الا لانموذج ثواب او عقاب
بالاتفاق وكقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من
فضله والاحاديث المتواترة المعنى كقوله عم القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وكقوله عم استنزهوا

من البول فان عامة عذاب القبر منه ولما روي انه مر بقبرين
فقال انهما ليعذبان الحديث الى غير ذلك من الاخبار المسطورة
المشهورة وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذته
من عذاب القبر واستفاض ذلك في الادعية المأثورة وانكر
عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض لان الميت جماد لا حيوة
له ولا ادراك فتعذيبه مح والجواب انه يجوز ان يخلق الله تعا
في جميع الاجزاء او بعضها نوعا من الحيوة قدر ما يدرك الم العذاب
او لذة التنعيم وهذا لا يستلزم اعادة الروح الى بدنه ولا ان
يتحرك ويضطرب او يرى اثر العذاب عليه حتى ان الغريق
في الماء او المأكول في بطون الحيوانات او المصلوب في الهواء
يعذب وان لم نطلع عليه ومن تأمل في عجايب ملكه وملكوته و
غرايب قدرته وجبروته لم يستبعد امثال ذلك فضلا
عن الاستحالة وسؤال منكر ونكير حق لقوله عم اذا قبر الميت
اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر
النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله
ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسوله فيقولان قد
كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين صح
ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم
فيقولان نم كنومة العروس لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى
يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال سمعت
الناس يقولون فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم

انك

انك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه
فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من
مضجعه ذلك والاحاديث في هذا المعنى وفي كثير من احوال الاخرة
متواترة المعنى وان لم يبلغ احادها حد التواتر وبعثة الرسل
جمع رسول فعول من الرسالة وهي سفارة العبد بين الله تعا
وبين ذوي الالباب من خليقته ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه
عقولهم من مصالح الدنيا والاخرة وقد عرفت معنى الرسول والنبي
في صدر الكتاب بالمعجزات جمع معجزة وهي امر يظهر بخلاف
العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز
المنكرين عن الاتيان بمثله من لدن ادم الى نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم حق اما نبوة ادم فبالكتاب الدال على
انه قد امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو
بالوحي لا غير وكذا بالسنة والاجماع فانكار نبوته على ما نقل
من البعض يكون كفرا واما نبوة محمد عم فلانه ادعى النبوة و
اظهر المعجزة اما دعوى النبوة فقد علم بالتواتر واما اظهار المعجزة
فلوجهين احدهما انه اظهر كلام الله تعا وتحدى به البلغاء مع
كمال بلاغتهم فعجزوا عن معارضة اقصر سورة منه مع تهالكهم على
ذلك حتى خاطروا بمهجهم واعرضوا عن المعارضة بالحروف
الى المقارعة بالسيوف ولم ينقل عن احد منهم مع توفر
الدواعي الاتيان بشيء مما يدانيه فدل ذلك قطعا على انه
من عند الله وعلم منه صدق دعوى النبي عم علما عاديا لا يقدح فيه

من الاحتمالات العقلية على ما هو شان سائر العلوم العادية
وثانيهما انه نقل عنه من الامور الخارقة للعادة ما بلغ القدر المشترك
منه اعنى ظهور المعجزة حد التواتر وان كانت تفاصيلها احادا
كشجاعة على رضه وجود حاتم وهى مذكورة فى كتب السير وقد
يستدل ارباب البصائر على نبوته بوجهين احدهما ما تواتر
من احواله قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها واخلاقه العظيمة
واحكامه الحكيمة واقدامه حيث يحجم الابطال ووثوقه بعصمة الله
تعالى فى جميع الاحوال وثباته على حاله لدى الاهوال بحيث لم يجد
اعداؤه مع شدة عداوتهم وحرصهم على الطعن فيه مطعنا ولا
الى القدح فيه سبيلا فان العقل يجزم بامتناع اجتماع هذه
الامور فى غير الانبياء عليهم السلام وان يجمع الله هذه الكمالات
فى حق من يعلم انه يفترى عليه ثم يمهله ثلثا وعشرين سنة ثم
يظهر دينه على سائر الاديان وينصره على اعدائه ويحيى اثاره
بعد موته الى يوم القيامة وثانيهما انه ادعى ذلك الامر العظيم
بين اظهر قوم لا كتاب لهم ولا حكمة معهم وبين لهم الكتاب
والحكمة وعلمهم الاحكام والشرايع واتم مكارم الاخلاق
واكمل كثيرا من الناس فى الفضائل العلمية والعملية و
نور العالم بالايمان والعمل الصالح واظهر الله دينه على
الدين كله كما وعده ولا معنى للنبوة والرسالة سوى ذلك
ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لقوله تعالى ولكن رسول
الله وخاتم النبيين ولقوله عم لعلى رضه انت منى بمنزلة هرون

من

من موسى الا انه لا نبى بعدى فان قيل قد ورد فى الحديث نزول
عيسى عم بعده قلنا نعم لكنه يتابع محمدا عم لان شريعته
قد نسخت فلا يكون اليه وحى ونصب احكام بل يكون
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء معصومون
من الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرايع وتبليغ
الاحكام وارشاد الامة اما عمدا فبالاجماع واما
سهوا فعند الاكثرين ومن الكفر قبل الوحى وبعده بالاجماع
ومن الكبائر عمدا واما سهوا فجوزه الاكثرون واما
الصغائر فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائى واتباعه
ويجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة
لقمة والتطفيف بحبة لكن المحققين اشترطوا ان
ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحى واما قبله فلا دليل
على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها
لانها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم فيفوت مصلحة
البعثة والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات
والفجور والصغائر الدالة على الخسة ومنع الشيعة
صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحى وبعده لكنهم
جوزوا اظهار الكفر تقية هكذا ذكره العلامة التفتازانى
فى شرح العقائد وقال فى شرح المقاصد والمذهب
عندنا منع الكبائر بعد البعثة مطلقا والصغائر عمدا
لا سهوا وذهب امام الحرمين منا وابو هاشم من المعتزلة

الى تجويز الصغاير عمدا الشهى وبين كلاميه تناف فتحسب الظاهر
فتامل وهم افضل من الملائكة العلوية عند اكثر الاشاعرة
ومن الملائكة السفلية بالاتفاق وعامة البشر من المؤمنين
ايضا افضل من عامة الملائكة وعند المعتزلة وابى عبد الله
الحليمى والقاضى ابى بكر منا الملائكة افضل والمراد بالافضل اكثر
ثوابا وذلك لان الانسان يحصل الفضائل والكمالات
العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة
والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن
اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادات وكسب
الكمالات مع الشواغل والصوارف اشق وادخل فى الاخلاص
فيكون افضل واهل بيعة الرضوان وهم الذين بايعوا تحت
الشجرة واهل غزاة بدر وهم الذين حاربوا مع رسول الله
بعريب قليب بدر وكانوا ثلثمائة وثلثة عشر شخصا و
الكفار تسعمائة وخمسين من اهل الجنة لورود النص بذلك
وكرامات الاولياء حق الولى هو العارف بالله وصفاته
المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض
عن الانهماك فى اللذات والشهوات وكرامته ظهور
امر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة و
بهذا يمتاز عن المعجزة وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصالح
والتزام متابعة النبى عن الاستدراج وعن مؤكدات
تكذيب الكذابين كما روى ان مسيلمة دعا لاعور ان

بصير عينه العوراء صحيحة فصارت عينه الصحيحة عوراء ويسمى
هذا اهانة وقد يظهر الخوارق من قبل عوام المسلمين تخليصا لهم من المحن
والمكاره ويسمى معونة فلهذا قالوا ان الخوارق انواع اربعة
معجزة وكرامة ومعونة واهانة والدليل على حقية الكرامة
ما تواتر من كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن انكاره
خصوصا الامر المشترك وان كانت التفاصيل احادا
وايضا الكتاب ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب
سليمان ع م وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة الى اثبات الجواز
والمعتزلة ينكرون كرامات الاولياء ووافقهم الاستاد
ابو اسحق منا لانها لا تتميز عن المعجزة فلا تكون المعجزة ح
دالة على النبوة وينسد باب اثباتها والجواب انها تتميز
بالتحدى مع ادعاء النبوة فى المعجزة وعدم التحدى مع ذلك
الادعاء فى الكرامة يكرم الله تعا بها من يشاء ويختص برحمته
من يريد فيه اشارة الى وجه تسميتها بالكرامات والامام
الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر رضى الله عنه
ثبتت امامته بالاجماع لان الصحابة قد اجتمعوا يوم توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سقيفة بنى ساعدة واستقر
رأيهم بعد المشاورة والمنازعة على خلافة ابى بكر فاجمعوا
على ذلك وبايعه على على رؤس الاشهاد بعد توقف كان
منه فصارا امامته مجمعا عليه ولم ينص رسول الله صلى الله عليه
على احد اذ لو نص لكان اولى بالظهور من نصبه احاد الولاة

والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا و
ان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابوبكر اماما الا
بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة
كلهم الى مخالفة الرسول وخرق للاجماع وذلك مما لا يجترئ على
اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع
الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليه السلام عليهم ثم عمر رض لان ابابكر رض
لما ايس من حيوته دعا عثمان رض واملى عليه كتاب عهده لعمر رض فلما
كتب ختم الصحيفة واخرجها الى الناس وامرهم ان يبايعوا
لمن في الصحيفة فبايعوا حتى مرت بعلي رض فقال بايعنا لمن فيها
وان كان عمر وبالجملة وقع الاتفاق على خلافته ثم عثمان رض لان
عمر رض لما استشهد ترك الخلافة شورى بين ستة عثمان وعلي
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص ثم
فوض الامر خمستهم الى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بحكمه فاختار عثمان
رض وبايعه بمحضر من الصحابة فبايعوه وانقادوا لاوامره وصلوا
معه الجمع والاعياد فكان الخلافة في حقه اجماعا ثم علي رض لان عثمان رض
لما استشهد وترك الامر مهملا اجتمع كبار المهاجرين والانصار على علي رض
والتمسوا منه قبول الخلافة وبايعوه لما كان افضل اهل عصره و
اوليهم بالخلافة وما وقع من المخالفات والمحاربات لم يكن عن نزاع
في خلافته بل عن خطاء في الاجتهاد والافضلية بهذا الترتيب اي
بترتيب الخلافة يعني ان الافضل ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وعلى
هذا الترتيب وجدنا السلف وحسن ظننا بهم يقتضي بانهم لولم

لم يعرفوا ذلك لما اطبقوا عليه فوجب علينا اتباعهم وتفويض
ما هو الحق فيه الى الله تعالى ومعنى الافضلية اي المعنى المراد بها ههنا
انه اكثر ثوابا عند الله بما كسب من خير لا انه اعلم واشرف نسبا
وما اشبه ذلك والكفر عدم الايمان عما من شانه والايمان في
اللغة التصديق وفي الشرع هو التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله
عليه وسلم به ضرورة اي تصديق النبي بالقلب فيما اشتهر
كونه من الدين بحيث يعلمه العامة من غير افتقار الى نظر و
استدلال كوحدة الصانع ووجوب الصلوة وحرمة الخمر
ونحو ذلك ويكفي الاجمال فيما يلاحظ اجمالا ويشترط
التفصيل فيما يلاحظ تفصيلا حتى لو لم يصدق بوجوب الصلوة
عند السؤال عنه وبحرمة الخمر عند السؤال عنه كان كافرا وهذا
هو المشهور وعليه الجمهور وهو اختيار الشيخ ابي منصور رحمه الله
والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى اولئك كتب في
قلوبهم الايمان وقال الله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان وقال
الله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقال النبي عم اللهم ثبت
قلبي على دينك وقال النبي عم لاسامة حين قتل من قال
لا اله الا الله هل شققت قلبه وذهب كثير من المحققين الى
ان الايمان هو التصديق المذكور مع الاقرار وهو المحكي عن
ابي حنيفة رحمه الله فعلى هذا من صدق بقلبه ولم يتفق له
الاقرار اللساني في عمره مرة لا يكون مؤمنا عند الله ولا
يستحق الجنة ولا النجاة من الخلود في النار بخلاف ما اذا

جعل اسما للتصديق فقط فان الاقرار ح شرط لاجراء الاحكام
في الدنيا من الصلوة عليه وخلفه والدفن في مقابر المسلمين
والمطالبة بالعشور والزكوات ونحو ذلك ولا يخفى ان
الاقرار لهذا الغرض لا بد ان يكون على وجه الاعلان والاظهار
على الامام وغيره من اهل الاسلام بخلاف ما اذا كان لاتمام
الايمان فانه يكفي مجرد التكلم وان لم يظهر على غيره ثم الخلاف
فيما اذا كان قادرا وترك التكلم لا على وجه الاباء اذ العاجز
كالاخرس مومن وفاقا والمصر على عدم الاقرار مع المطالبة كافر
وفاقا لكون ذلك من امارات عدم التصديق ولهذا اطبقوا
على كفر ابي طالب فان قيل لم جعل الاقرار الذي هو عمل اللسان
داخلا في الايمان بخلاف اعمال سائر الاركان فجوابه ان الايمان
وصف للانسان المركب من الروح والجسد والتصديق عمل
الروح فجعل عمل شيء من الجسد ايضا داخلا فيه تحقيقا لكمال
اتصاف الانسان بالايمان وتعين فعل اللسان لانه
المتعين للبيان واظهار ما في الباطن بحسب الوضع ولهذا
جعل الحمد الذي هو فعل اللسان راس الشكر وذهب اكثر
السلف وجميع ائمة الحديث وكثير من المتكلمين الى ان الايمان
تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان لكن
لا يجعلون تارك العمل خارجا عن الايمان بل يقطعون بدخول
الجنة وعدم خلوده في النار وهو المحكي عن مالك والشافعي
والاوزاعي وعليه اشكال ظاهر وهو انه كيف لا ينتفي الشيء اعني

الايمان

اعني الايمان مع انتفاء ركنه اعني العمل وكيف يدخل الجنة
من لم يتصف بما جعل الايمان اسما له وجوابه ان الايمان
يطلق على ما هو الاصل والاساس في دخول الجنة وهو
التصديق وحده او مع الاقرار وعلى ما هو الكامل المنجي
بلا خلاف وهو التصديق مع الاقرار والعمل على ما اشير اليه
بقوله تع انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وموضع الخلاف
ان مطلق الاسم للاول ام الثاني ولا يكفر احد من اهل
القبلة الا بما فيه نفي الصانع القادر المختار العليم
او شرك او انكار النبوة او انكار ما علم مجيء محمد صلى الله
عم به ضرورة او انكار امر مجمع عليه قطعا كاستحلال
المحرمات التي اجمع على حرمتها فان كان ذلك المجمع عليه مما علم
ضرورة من الدين فذاك داخل فيما تقدم ذكره والا فان كان
اجماعا ظنيا فلا كفر بمخالفته وان كان قطعيا ففيه خلاف
كذا في شرح المواقف واما غير ذلك فالقائل به مبتدع
وليس بكافر ومنه التجسيم اعلم ان جمهور المتكلمين
والفقهاء على انه لا يكفر احد من اهل القبلة فان الشيخ
ابا الحسن الاشعري قال في اول كتاب مقالات الاسلاميين
اختلف المسلمون بعد نبيهم عليه السلام في اشياء ضلل
بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم عن بعض فصاروا فرقا
متباينين الا ان الاسلام يجمعهم ويعمهم فهذا مذهبه

وعليه اكثر اصحابنا وقد نقل عن الشافعي انه قال لا ارد شهادة
احد من اهل الاهواء الا الخطابية فانهم يعتقدون حل الكذب
وحكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن ابي حنيفة انه لم يكفر
احدا من اهل القبلة وحكى ابو بكر الرازي مثل ذلك عن الكرخي
وغيره ومن اصحابنا من قال بكفر المخالفين وقال الاستاد
ابو اسحاق الاسفرائني نكفر من يكفرنا ومن لا فلا واختار
الامام الرازي ان لا يكفر احد من اهل القبلة وتمسك بانه لو
توقف صحة الاسلام على اعتقاد الحق في المسائل التي اختلف
فيها اهل القبلة كمسئلة الصفات وخلق الاعمال وعموم
الارادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لا نزاع ان
الحق فيها واحد لكان النبي ع م ومن بعده يطالبون بها من
امن ويفتشون عن عقائدهم فيها وينبهونهم على ما هو الحق
منها واللازم منتف قطعا وللقائل ان يجيب عنه بمنع الملازمة
فان التصديق بجميع ما جاء به النبي م اجمالا كاف في صحة
الايمان وانما يحتاج الى بيان الحق في التفاصيل عند ملاحظتها حفظها
وان كانت مما لا خلاف في تكفير المخالف فيها كحدوث العالم
فكم من مؤمن لم يعرف معنى الحادث والقديم اصلا ولم يخطر
بباله حديث حشر الاجساد قطعا لكن اذا لاحظ ذلك
فلو لم يصدق كان كافرا والتوبة وهي الندم على المعصية
لكونها معصية وقيل مع العزم على الترك في الاستقبال
واجبة لقوله تعالى توبوا الى الله وهي مقبولة عند الله تعالى لطفا

ورحمة

٢٤

ورحمة واحسانا من الله تعالى لا وجوبا لما م والامر بالمعروف
تبع لما يؤمر به فان كان ما يؤمر به واجبا فواجب الامر به و
ان كان ما يؤمر مندوبا فمندوب الامر به وكذا النهي
عن المنكر تبع لما ينهى عنه فان كان حراما فالنهي عنه
واجب وان كان مكروها فالنهي عنه مندوب وشرطه
اي شرط وجوبه ان لا يؤدي الى الفتنة والالم يجب ولم
يندب وان يظن قبوله والا لم يجب بل يندب
اظهار الشعار الاسلام ولا يجوز التجسس والتفتيش
عن احوال الناس بالكتاب والسنة اما الكتاب
فقوله تعالى ولا تجسسوا وقوله ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية فانه يدل
على حرمة السعي في اظهار الفاحشة ولا شك
ان التجسس سعي في اظهارها واما السنة فقوله ع م
من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله
عورته فضحه على رؤس الاشهاد الاولين والاخرين
وقوله عليه السلام من ابتلى بشيء من هذه القاذورات
فليستره بستر الله فان من ابدى لنا صفحته
اقمنا عليه حد الله وايضا من سيرته ع انه كان
لا يتجسس عن المنكرات بل يسترها ويكره اظهارها
ثبتك الله تعالى على العقائد الصحيحة ووفقك
لما يرضى من الاعمال ولما يصلح من الاقوال معناه

معناه ظاهر هذا ما تيسر لنا بعون الله وحسن توفيقه
من شرح العقائد العضدية نفع الله به الطالبين و
جعله ذخرا لنا يوم الدين انه خير موفق
ومعين ووقع الفراغ من تأليفه
في اليوم الاخير من رمضان
من شهور سنة
تسعين والف
بمدينة قسطنطنية
المحمية وانا الفقير
سليمان بن احمد
بن مصطفى
الرومي
القسطنطيني
عفى الله عنهم
م

قوبل بنسخة الاصل

شرح الاخلاق العضدي
لطاشكبري زاده
رحمهما الله
تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

لله درّ كتاب نشيم من مطالع صفحاته محامد الملك الخلاق وشكر آياته
شكرًا لن نعطّر للائه من جنان ارباب الاذواق وشميمًا لقيم
ينفحث من اسنانه الصلوة والسلام على متمم مكارم الاخلاق
وعلى آله واصحابه الناصبين الوية الولاية فى الآفاق ما اخضرت الاشجار
بالاوراق وابيضت الاسحار بالاشراق اما بعد فلما كان الوصول
الى السعادة الكبرى فى النشاة الاولى والاخرى منوطًا بتحلية الظاهر
بالتكاليف والمشاق وتخلية الباطن عن رذائل الاخلاق وكان
احوال التكاليف الظاهرة مما كثرت فيه التصانيف الباهرة وصار
علوم الاخلاق مما اوجز فيه المهرة والحذاق اردت ان اشرح معانيه
الى بقعة البيان واشرح بدائع اسراره بقدر الامكان مؤيدًا لما
يقتضيه العقل الصريح بما يرتضيه النقل الصحيح ليكون مجمعًا للبحرين
وملتقى للنهرين وواردًا على منتهى السؤال والامل وجامعًا لخلاصتي
العلم والعمل وحيثما قصدت اخذ عنان الاقلام وصرفه نحو تحبير
ديباجة الكلام ملفقًا فى هذا العلم بين متونه وحواشيه بحيث يقول
الناظرون لله درّ واشيه صادفت فى خزانة الازمان رسالة
نسجت عليها عناكب النسيان ووسمها تقاعد همم الرجال بسمة
الاهمال والاغفال مع انها يستحق ان يشتهر فى مشارق الارض
ومغاربها ويتصعد الى سنام العناية وغاربها وتبلغ فى المسانيد

المعظم

المعظم الى القبول ويسير فى الامصار مسير الصبا والقبول وهو مصنفها
الامام الهمام والفاضل القمقام منقح اشتات العلوم والمعارف
ومفتح مغلقات المتون لكل عارف لم يوزن شانه باحد الا وقد رجح
فى الفضائل وقد انسى الانام ذكرى افاضل الاوائل لم ينظر اليه
احد شزرًا الا وهو على فعله متندم ومن سبر مقدار فضله ندم على ان يقول
الفضل للمتقدم ومن شاهد بتصانيفه شهد بانه البحر الزاخر وقال
اصدق كلمة قالها الشاعر كم ترك الاول للآخر وها هو الا العالم العامل و
الفاضل الكامل ملخص قواعد المعاني والبيان مبرز جواهر الكلام
فى مواقف الاذهان الواصل فى حل مشكلات الاصول غاية الامل
ومنتهى السؤل المعتصم بحبل الله المتين مولانا عضد الملة والدين
روّح الله روحه واعظم فتوحه وهو رحمه الله قد ادرج فى عدة من الاوراق
اصول مسائل علم الاخلاق ولما تبينت فيها نوعًا من الايجاز وشيئًا
من الاغلاق اردت تفريع ما فيه من الاصول وتقييد ما فيها من
الاطلاق فشرحتها شرحًا مؤيدًا بالنصوص والنقول وما ورد فى
السنة المستفيضة والاثر المقبول فصار الشرح غرّة فى جبين
الدهر ودرّة فى اكليل العصر اللهم كما وفقتنا لايضاح هذه الاوراق
يسر لنا التخلق بمكارم الاخلاق واجعلنا فائزين بالسعادتين فى
نشأتى الاولى والآخرة وحائزين بالدولتين من الاعمال الزاهرة
والاخلاق الفاخرة انك انت الوهاب عليك التوكل واليك
المآب قال المولى المصنف اكرمه الله المنان فى اعلى درجات الجنان
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على نواله والصلوة على نبيه محمد وآله تيمنًا بذكر

اسمه العالي وحمده المتوالي وتبركا بالصلوة والسلام على سيد الانام
وآله الكرام وبعد اي بعد التسمية والحمدلة والتصلية فهذا مختصر
اي كتاب معبر فيه عن المعاني الجليلة بالالفاظ القليلة فان اراد
بالمختصر النقوش الدالة على الالفاظ فالمشار اليه هو الموجود في الاعيان
وان اراد به الالفاظ التي هي من الاعراض الغير القارة الا في الخيال
يكون اشارة الى الموجود في الاذهان اللهم الا ان يطلق الخارج على
خارج النفس دون القوى المدركة هذا كله على تقدير تاخر الخطبة
واما على تقدير تقدمها كما هو الظاهر المتبادر ههنا بل في غيره ايضا
فالاشارة الى ما في الخيال البتة ثم ان المص اشار بقوله في بيان
علم الاخلاق الى اسم الفن باعتبار المعنى اللقبي ونبه به الى التعريف
وموضوعه باعتبار المعنى الاضافي لان تعريفه معرفة الاخلاق
الحميدة والذميمة ليكتسب الاولى ويترك الثانية وموضوعه
الاخلاق الانسانية من حيث تبديل الذميمة منها بالحميدة وغايته
تكميل النفس الناطقة بالسعادات الفاخرة في داري الدنيا
والآخرة بل ليست المقصود من بعثة الرسل والانبياء بعد تحصيل
اليقين في العقائد الا تهذيب الاخلاق كما قال عم بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق ومرتبته هي المشار اليها بالوحي الناطق على لسان
النبي الصادق حيث امر جميع الانبياء والرسل بهذا العلم منها
قوله تع حكاية عن ابرهيم عليه السلام رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
والاول تكميل القوة النظرية والثاني تكميل القوة العملية ومنها
قوله تعا خطابا لموسى عم انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم

الصلوة

الصلوة لذكري فاول الآية اشارة الى تكميل القوة النظرية وآخرها
الى تكميل القوة العملية ومنها قوله سبحانه وتعا حكاية عن عيسى عم اني عبد الله
آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني
بالصلوة والزكوة ما دمت حيا ولا يخفى ما في هذه الآية ايضا من الاشارة
الى المرتبتين المذكورتين ومنها قوله عز شانه خطابا لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
فان هذه الآية ايضا جامعة لخلاصتي العلم والعمل وامثال ما ذكر
من الآيات في حق الانبياء خارجة عن حد العد والاحصاء وشرفه
اما نقلا فكثير كما يظهر من الآيات المذكورة واما عقلا فلان شرف العلم
بشرف موضوعها ولا يخفى ان موضوع هذا العلم هو بلوغ اشرف
الممكنات اعني الانسان الى شرفه الممكن له وناهيك بها شرفا
وفضلا جعلها غرضا لبعث خاتم الانبياء ومكمل شرائعهم حيث
قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق كما ذكرناه ومباديه الشرائع
النبوية والنواميس الالهية وقد يستعان بالمعقولات والمسلمات
واعلم ان الحكمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه المجيد بقوله يؤتي الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا هي مجموع العلم
والعمل والمراد بالعلم ما يبحث فيه عن الموجودات الغير الصادرة
منا على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية وتسمى الحكمة النظرية و
لا يلزم من ان يكون موضوعها غير العمل انه لا يبحث فيه عن كيفية العمل
بل قد يبحث فيها عنها كما في الطب والمنطق وقد لا يبحث كما في
الطبيعي والرياضي والالهي والمراد بالعمل ما يبحث فيه عن القيام بالاعمال

والافعال على ما ينبغي بحسب الاستطاعة ويسمى الحكمة العملية ولا يلزم
من ان يكون موضوعها الاعمال ان يختص جهة البحث بكيفية العمل
البتة فالحكمة العملية منقسمة الى قسم نظري والى قسم عملي ولهذا قال المص
ورتبته اي المختصر على اربع مقالات لان المذكور فيه اما ان لا
يتعلق بكيفية العمل او يتعلق بها والاول هي الاولى اي القسم النظري
والثاني ان كان سياسة الانسان قواه من جهة تأديتها الى
صلاح المعاش والمعاد فهو الثانية اي الحكمة الخلقية وان كان
تحرية صلاح النوع في الدارين بحيث يصدر عنه دوام الانس و
الائتلاف فهو الثالثة اي الحكمة المنزلية وان كان مقصده
انتظام السواد الاعظم ودوام الانس والتعاون بين عباد الله تعالى
على قانون العدل والانصاف فهو الرابعة اي سياسة الملك
وهي خلافة الله تعالى في ارضه والامامة التي غايتها تكميل الخلق
ووجه الترتيب بين المقالات ظاهر المقالة الاولى في القسم
النظري منه اي من علم الاخلاق وهذه المقالة كالمبادي للمباحث
الباقية اعلم ان الافعال ان كانت واقعة على مناهج متفاوتة
ويكون لمبدائها شعور بها تسمى افعالاً نفسانيةً وان كانت
على نهج واحد بلا شعور لمبدائها بها تسمى افعالاً طبيعيةً والاول ان
كانت سريعة الزوال وغير راسخة في النفس تسمى حالةً وان كانت
راسخةً بطيئة الزوال بسبب تكرير النفس اياها واذعانها لها
تسمى ملكةً والملكة تسمى خلقاً ان كان صدورها عن النفس
بلا تجشم وتمهل بل بسهولة وبلا روية ولهذا عرفه المص بقوله الخلق ملكة

تصدر

تصدر عنها الافعال النفسانية بسهولة اي بحيث لا يحتاج في
تحصيلها الى اتعاب فكر واعمال روية ولما كان موضوع هذا العلم
الاخلاق وكان تصور الموضوع من المبادي التصورية قدمها على
المقاصد ثم ان الخلق قد يكون طبيعياً ويكون الشخص مفطوراً عليه
لكون اصل مزاجه مستعداً عليه كمن يغضب بلا سبب صالح له وكمن
يضحك ضحكاً شديداً بلا تعجب يعتد به واما عادي يحصل بدءاً باختيار
وتكلفات كثيرة لم يصر ملكة راسخة فيه كمن يلازم الصبر ويتكلف فيه
حتى يصير عادة له وانقلاب الحال الى الملكة لا ينبغي ان ينكر وله امثلة
في الامور الحسية مثلاً من يبتدي تعلم الخط يجد عنده مشقة
قوية وجهداً عظيماً ثم يصير بالمزاولة ملكة راسخة الى حيث يرعى في
تصوير الحروف ورعاية المناسبات بين الكلمات وبين السطور
دقائق حسن مع سرعة وسهولة ربما يتحير نفسه ايضاً في انها كيف
صدرت عنه ومتى صدرت ثم ان الحكماء اختلفوا فمنهم من قال
ان الخلق الجبلي ما يكون النفس مفطوراً عليها بحيث لا تتخلص عنها
اصلاً ومنهم من قال النفس الناطقة مفطورة على السذاجة
والطهارة عن كل نقيصة وما يكون ملكةً لها من الاوصاف هي ما
يقتضيه استعداد مزاجه الخاص الذي خلق البدن عليه ثم يمكن
تغيير الاخلاق ولما اختار المص القول الاخير قال ويمكن تغييرها
اي تغيير الملكة لوجوه ثلثة للتجربة الواقعة في ازالة الملكات
الردية الى الاوصاف الحميدة والاخلاق المستحسنة كما نشاهد
ذلك في الاطفال والشبان فانهم بتعليم الاخيار يتركون طبيعة

الاشرار الى اخلاق الابرار وقال علي كرم الله وجهه اثناء الوصية
لابنه الحسن رضي الله عنه انما قلب الحدث كالارض الخالية ما
القي فيها من شيء قبلته فبادرتك الادب قبل ان يقسو قلبك
ويشتغل لبك وقال الشاعر هي النفس ان تهمل تلازم
خساسة وان تنبعث نحو الفضائل تلهج وقال في البردة
والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه
ينفطم فهذه في التغيير الى الخير وعلى هذا القياس حالة التغيير
الى الشر كما قال عليه الصلوة والسلام كل مولود يولد على الفطرة
الا ان ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ولورود الشرع به
اي بتغيير الاخلاق الذميمة كالامر بترك البخل والكذب والنميمة
والبهتان الى غير ذلك من صفات النقصان واسباب العصيان
ولا يخفى ان عدم وقوع التكليف بالا يطاق يستلزم ان كان ما
بتبديل الاخلاق يقول قال الامام الغزالي في كتاب مشكوة
الانوار من مغالط الحمقى قول بعضهم ان الباطن يشحون بالخبائث
ليس يمكن تزكيته ولا مطمع في استيصال الغضب والشهوة
لظنه انه مأمور باستيصالها انتهى ما ذكره ولا يخفى ان المفهوم
منه عدم ورود الشرع بتغيير الاخلاق بل الصرف الى مواضعها فقط
والحق ان الاخلاق مع كثرتها ترجع الى ثلث قوى هي امهات الاخلاق
اعني الحكمة والعفة والشجاعة لكنها ان كانت في طرفي الافراط
والتفريط يكون رذائل وانما يحمد آثارها اذا كانت في حد الاعتدال
وانما تكون في حد الاعتدال اذا انقادت للعقل والشرع ثم ان الشرع

انما

انما ورد بتغيير الرذائل الى الاعتدال لا استيصال اصولها بالكلية اي الشرع
لم يرد باستيصال القوى المذكورة بالكلية وبهذا يندفع التدافع المذكور
واتفاق العقلاء على امكان تغيير الاخلاق ولهذا ينصبون المؤدبين
للصبيان وينسبون المقصرين في تأديبهم الى التقصير ويرمونهم
بالتشنيع والتعيير وليس هذا الا من امكان التغيير واعلم ان المخالفين
في هذا الامر طوائف فمنهم من ذهب الى العكس ومنهم من قال البعض
على الخير والبعض على الشر والبعض قابل لهما وتزييف الاولين
انها اذا استفادت خلاف ما فيها فاما من نفسها فيكون متصفا
بضد ما فيها او من غيرها فهناك من يتصف بضدها وتزييف مذهب
الاخير ان كل ما يقبل التغيير فليس بطبيعي البتة وقد ثبت امكان
التغيير بوجوه ثلثة وانما الشرير او الخير من كان واحد منهما
مقتضى مزاجه الخاص وتختلف الاستعدادات اي استعدادات
النفس الناطقة فيه اي في التغيير بحسب الامزجة اي بحسب
اختلاف امزجة الابدان المتعلقة هي بها اذ الاخلاق انما تحصل
للنفس بواسطة القوى قوى البدنية التابعة للمزاج الخاص
كالشهوة والغضب بل القوة المفكرة وذلك لعجيب العلاقة بين
النفس والبدن اذ يسري حكم احدهما الى الآخر البتة فالخلق الذي
يستند الى المزاج يعسر تغييره الى حيث يكاد يلحق بالمتعذر
وما بعضه لم يستند الى ذلك بل اكتسبه من الغير يكون يسير التغيير
بل يزول بادنى التغيير وقد يقال ضمير فيه راجع الى الخلق اي تختلف
استعدادات الاشخاص للاخلاق بحسب امزجة ابدانهم فيتفاوتون

في قبول تلك الملكات من الاخلاق الرذيلة والملكات الفاضلة لكونهم
من قبيل الكيفيات القابلة للشدة والضعف ولما فرغ المصنف من
تعريف الخلق واحكامها شرع في حصر اجناسها المعبر عنها بامهات الاخلاق
فقال وقوى النفس الانسانية وهي الجوهر العلوي المسمى بالنفس الناطقة
وبالروح الذي من شانه ادراك المعقولات وتسمى قوة نظرية
والتصرف في هذا الهيكل المحسوس وتسمى قوة عملية واراد بقواها ههنا
الصفة المؤثرة على وفق الارادة والروية دون غيرها ولهذا قال
بانها ثلث لان قواها اكثر من ذلك ثم انها ان كانت مبدا الادراك
بالذات فهي المدركة التي بها يمتاز الانسان عن سائر الحيوانات
ومحلها الدماغ وتسمى بالنفس الملكي وان كانت مبدا لدفع الضرر
فهي القوة الغضبية ومحلها القلب وتسمى بالنفس السبعي وان كانت
مبدا لجلب نفع فهي الشهوية ومحلها الكبد وتسمى بالنفس البهيمي
والاولى من هذه القوى خاصة بالنفس الانساني والاخريان
مشتركتان بينها وبين سائر الحيوانات ثم ان لكل من هذه القوى
الثلث بحسب آثارها مراتب ثلث طرفان هما الافراط والتفريط
ووسط هو الاقتصاد وكلا طرفي قصد الامور ذميمة وخير الامور
اوسطها اما النطق اي القوة النطقية التي هي منشا النظر في
الحقائق فاعتدالها الحكمة وهي باعتبار تحصيلها باستعمال هذه القوى
في تحقيق اليقينيات نوع من العمل وباعتبار حصولها في نفسها نوع من
العلم فهي بالاعتبار الاول تعرف الموجودات كما هي وفعل ما ينبغي ان
يفعل وهو المراد ههنا ويدل على فخامة شانها وانارة برهانها وثبات

سلطانها

سلطانها قوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ومن كلام علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه خذ الحكمة ولو من اهل النفاق وبالاعتبار الثاني حصول
صورة الاشياء في النفس قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون ومن كلام علي رضه لا شرف كالعلم اذا اذل الله
عبدا حظر عليه العلم قال الامام الغزالي في الاحياء اما قوة العلم فحسنها
وصلاحها في ان يصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق
والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين
الجميل والقبيح في الافعال وافراطها الجربزة والسفه وتسمى
الشيطنة كالتشوق الى الفضول من العلوم الغير المفيدة اما بحسب
النظر فمثل الجدل والخلاف والسفسطة اذا استعملت مكان
اليقينيات واما بحسب العمل فمثل الكهانة والشعبذة والاكسير
اذا جعلت وسيلة الى الشهوات الخسيسة وتفريطها الغباوة
وهي هيئة حاصلة لتلك القوة بها يقصر صاحبها عن الخير والشر
ويقال له الجمود والحموق ايضا روي انه عليه السلام قال ابغض الخلق
الى الله تعالى الاحمق اذ حرم الله اعز الاشياء عليه وهو العقل قال
الشاعر لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها
ويقال له البله ايضا لا البله الذاتي الذي قال عليه السلام في حقه
اكثر اهل الجنة البله بل البله بالتقصير بالاختيار فهو من قال تعالى
فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل ويشملهم اسم الجهل واما الغضب
اي القوة الغضبية وهي شدة هيجان النفس طلبا للانتقام فاعتدالها

الشجاعة وهي امتثال ما يوجبه الرأي الصحيح في الاقدام على المخاوف
والصبر على الشدائد قال تعالى الذين هاجروا واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم وقال عز
وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال عليه السلام
ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية وعقرب قال علي رضي الله عنه
من حمل اغتنم ومن تفكر انهزم وقال معوية من كثر فكره في العواقب
لم يشجع في النوائب قال ابن المعتز وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى اذا فات امرا عاتب القدرا وقيل اذا كنت ذا رأي فكن
ذا عزيمة فان فساد الرأي ان تترددا ولا تمهل الاعداء يوما
بقدرة وبادرهم ان يملكوا مثلها غدا وافراطها التهور وهي
هيئة حاصلة لتلك القوة بها يقدم على امور لا ينبغي ان يقدم
عليها كالقتال مع الكفار اذا كانوا ضعف المسلمين عددا
وكاعانة ظالم واستخلاص مال من يد ممطول وايقاع نفسه بين الجم
الغفير من الاعداء وتفريطها الجبن وهي الاحجام عما يجب عليه الاقدام
ويلزم صاحبه المذلة ووقوع الخلل في المهمات والمصالح والطمع
الفاسد من الظلمة وعجزهم في بذل ماله وهتك حرمته وسوء العيش
وعدم الثبات والصبر في المساعي ومحبة البطالة قال الله تعالى ولا
تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال النبي عم شر ما في الرجل شح
هالع وجبن خالع وقال علي رض البخل عار والجبن منقصة وقال
ان الحذر لا ينجي من القدر وان الصبر من اسباب الظفر وقال اذا حلت
المقادير بطلت التدابير وقال ان الموت امر محتوم لا يعجزه المقيم

ولا

ولا يفوته الهارب قال معوية كان الجبان يرى انه يدافع عنه
الفرار الاجل واما الشهوة اي القوة الشهوية فاعتدالها العفة
وهي تصريف الشهوة الى مقتضى الرأي الصائب بترك تعبدها ليفيد
حريته قال الله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد هوى يضله وقال علي
كرم الله وجهه حلية المؤمن التواضع وجماله التعفف وافراطها
الفجور ويسمى الشره والنهم وهو غلبة سلطان الشهوة
سلطان العقل وصاحب هذه القوة كالخنزير النهم ارسل في
القذر فيأكل ولا يشبع ابدا قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا
تسرفوا وقال الله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وقال النبي من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه وقي الشر كله
وتفريطها الجمود بالجيم وهي قصور النفس عن استيفاء ما ينبغي
وما لا ينبغي وصاحبه في درجة النبات القاصر عن كمال الحيوان
فضلا عن شرف الانسان كما قال الله تعالى في شأنهم كأنهم خشب
مسندة والفضائل من تلك القوى هي الاوساط فهي اي
الاوساط ثلثة الحكمة والشجاعة والعفة كما قال الله تعالى في حق
السخاء ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ومن كلام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اليمين والشمال مضلة
والطريق الوسطى هي الجادة فهذه الاعتدالات هي امهات
مكارم الاخلاق التي بعث النبي صلعم لاتمامها والاطراف رذائل
فهي اي الاطراف ستة اي لكل من الفضائل الثلثة طرفان وهي

وهي الجربزة والغباوة للحكمة والتجور والجمود للعفة والتهور والجبن للشجاعة فسلوك الفضيلة كسلوك الخط المستقيم كالقطر من الكرة وسلوك الرذيلة كالدوائر الموازية للمحيط وعبر عنهما في التنزيل بقوله تعالى ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وايضا هو المراد بقوله تعالى فاستقم كما امرت ولصعوبة سلوك هذا الوسط الذي عبر عنه بالاستقامة قال النبي عليه السلام شيبتني سورة هود لان الاية المذكورة فيها وانما الصراط المستقيم الذي هو ادق من الشعر واحد من السيف في احد جانبيه نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وهو جانب الافراط وفي الجانب الاخر زمهرير عظيم وهي جانب التفريط هو صورة هذا الاعتدال ولا تظنن ان المراد باصحاب اليمين جانب الافراط وباصحاب الشمال جانب التفريط لان اليمين في الانسان الجانب الاقوى ولا اقوى ممن يسلك الوسط والصراط المستقيم ولا اضعف ممن يسترسل نفسه هواها افراطا او تفريطا لان ذلك من اسهل الامور لكونه مقتضى الطباع وهوى الامزجة والاستعدادات واعلم ان التفريط في القوة النظرية والافراط في الشهوية والغضبية مذموم بالاتفاق وانما الخلاف في افراط الاولى وتفريط الاخيرتين لكن الحق ان المحمود هو الاوساط مطلقا اما ذم تفريط الاخيرتين فلكونهما مؤديين الى اختلال النظام وقطع الصلاح بين الانام واما افراط القوة النظرية فقد مدحها قوم لا علم لهم بالحكمة ولا كمال لهم فيها وقالوا هو المراد بالقوة القدسية لكنهم حرفوا الكلم عن موضعه لان المراد بافراط القوة النظرية ارسالها في المهالك وفيما

يليق

يليق فيه كبح العنان مما لا سبيل الى معرفتها الا بالعيان دون البرهان واما القوة القدسية فهي مشاهدة النظريات التي لها حظ من البرهان فاين هذا من الاول فالكمال اعمال النظر الصحيح في محله وان لا يقع فيما وقع فيه الفلاسفة من نفي الصفات وانكار امور الاخرة وان يتبع فيما لا يخطى اليه باقدام الافكار الى المؤيدين من عند الله تعالى بالوحي الرباني وهذا هو السر في انزال المتشابهات كما حقق في موضعه حتى قال بعض من الفضلاء كما ينبغي التوسط في محل الفكر كذلك ينبغي التوسط في نفس القوة فانها يجب ان يكون في حد الاعتدال غير بليد وايضا غير حديد فان غاية الحدة يجعلها كثير العثار جموحا يخرج عن سواء الطريق شارعا فيما ليس من شانه واعلم ان الكمال المفسر بالحكمة هي كمال النفس الناطقة عند ملابستها بالمادة الهيولانية مشتغلا في المعارف الالهية مطالعا للجواهر العالية الحقيقية وهذه هي رتبة علم اليقين الذي هو ثمرة القوة النظرية وبعدها مرتبتان اخريان لا تتيسر الا لواحد بعد واحد من الافراد احديهما ما لا يتوقف على السعادة البدنية بل هي عند تجرد النفس الناطقة عن جلباب البدن وملابس الحواس والكدورات البشرية ومخالطتها بالملاء الاعلى متنعمة باللذة العليا وهي رتبة عين اليقين وثانيتهما ما لا يتوقف على وجوده ايضا وهي عند انقطاع العارف عن ذاته وصفاته وانغماسه في بحر الالوهية وغمراته وانتفاء تعينه وانيته وبقاء حقيقته وهويته وهي رتبة حق اليقين فهذه مراتب ثلث فاهل المرتبة الاولى هم العلماء

المراد بالعوام الناس الذين لم يفهموا البرهان
صدر الشريعة ذكره في تعديل
العلوم منه

الراسخون والحكماء المحققون واصحاب المرتبة الثانية قسمان قسم
غلبت عليهم الروحانية واستولت عليهم السلطنة العقلية فجذبته
زمام الحس وتوجهت به الى جناب القدس فلم يتفرغوا لتدبير
المعاش وحفظ النظام وهم الاولياء المتصوفة والحكماء المتألهة
ومن جملتهم العقلاء المجانين وقسم تمكنوا في هذا المقام من استعمال
القوة البشرية واستقاموا الى الله في احوالهم العملية والنظرية
ووفت قوتهم لفرط طمأنينتهم ووفور سكينتهم لضبط الامور الكلية
والاحوال الجزئية فشرعوا في تكميل اهل النقصان المستعدين وتنكيل
اهل الطغيان المتمردين وتنظيم قواعد العدالة وتقنين قوانين
السياسة وهم الانبياء والائمة وارباب المرتبة الثالثة هم اهل
الوحدة اي اهل الله الذين تصفوا عن شوائب التعدد والاثنينية
وتخلوا عن علائق التمكن والابنية ولا يتأسفون لفراق محبوب ولا
لا يتحسرون على فوات مطلوب ومرغوب لا يزيدهم حصول النعماء
مسرة ولا يقلقهم وقوع البلاء ضجرة يتساوى عندهم الاضداد
ويتحد بهم الاعداد واحقر شيء لديهم الدنيا وما فيها ولا يكترثون بغابرها
وباقيها غير منتظرين لآت ولا متأسفين لماض بل يعاملون اعراض
الدنيا بالاعراض اولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولا
يأسون على ما فاتهم ولا يفرحون بما آتاهم هذه اي الاقسام المذكورة
للاوساط والافراط بحسب الكمية اي باعتبار كمية الاوساط والافراط
واما اذا اعتبرت مع الكيفية فقد تكون الاوساط في حكم الافراط
وانخرطت في سلكها اذ رب رذيلة يحسبها الجاهل فضيلة وصاحبها

محمود

محمود عند الخلق مذموم عند الحق يمدح بالمدح التام وهو حقيق
بالملام ويعد من ذوي المناقب وهو مغمور في المثالب وكم سمي
ليس مثل سميه وان كان يدعى باسمه فيجب ولهذا اوردها المص
رفعا للاشتباه بينهما وقال ومنها اي من الرذائل رداءة
الكيفية المعتبرة في الاوساط اما في الحكمة فكمن يتعلمها لمجاراة
العلماء ومماراة السفهاء قال النبي م من طلب العلم ليجاري به العلماء
او ليماري به السفهاء وليصرف به وجوه الناس الا ادخله الله
النار وقال م من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا
ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة واعلم
ان العلم والحكمة وان كانت فضيلة لا يوازيها فضيلة الا انها
مشروطة بخلوص النية وحسن الطوية فاعلاها التوسل بذلك
الى معرفة الرحمن والقرب الى جنابه وادناها تحصيلها لاجل التذاذ
النفس بالمعارف والعلوم وبينهما مراتب لا تستقصى
واما اذا تعلمت لاجل الجاه والحشمة كما في اكثر طلاب هذا الزمان
فانا نشاهد كثيرا من اهل الجدل والمناظرة يأخذون مسائلها
تلقينا وتقليدا لا اتقانا وتحقيقا يبحثون عنها ولا ينتفعون
بها لانهم لم يبنوا امرها على يقين بل اكتفوا من التحقيق بالتخمين ترى
احدهم ينطق بالحكمة ونفسه خالية عنها ويتكلم في المجالس وصوتها
عالية ليتعجب الناس بفصاحته ويدعي فهم الاسرار بوقاحة
وربما يظن القاصر اذا راى حسن تقريره وجزالة لفظه ووجازة
تحريره انه حاذق عالم نحرير وهو لا يكون الا مكارا مهذارا يقولو

بافواههم ماليس في قلوبهم يتبجّحون بالقيل والقال وغرضهم الزام الخصم على اي حالٍ وكذا من تخلّج في وهمه تشكيكات ملبّسة للحق وتخيلات مشتبهة بالصواب والصدق وتخبّط في فكره وتحيّر في امره فقلّل الله امثالهم في البلاد واراح منهم العباد وقال عليّ كرم الله وجهه كم من عالم ضلّ وعلمه لاينفعه واما رداءة الكيفية في الشجاعة فلمن يمارسها للصيت والغنيمة مثلاً يُقدم على المعارك ويقتحم في المعاطب والمهالك لا اتباعاً للعقل ولا تصديقاً لما وعد في النقل بل إمّا اظهاراً للجلادة واما طلباً للاغارة فهو كالسّبع الضّاري او الكلب الحريص في فعله بل اخسّ لانه يخاطر بنفسه الشريفة لكرامةٍ عاجلةٍ يصيبها او طعمةٍ وحظٍ من حطام الدّنيا يناله وذلك من غاية الخساسة واقصى اللّؤم ونهاية الدّناءة والشّؤم وكذا الصّعاليك الّذين يرتكبون الامور العظام ويصبرون على شدائد الالام كقطع الاعضاء مثلاً ليبقى ذكره بين اظهر قوم من الهمج الرّعاع ويشتهر اسمه في الاطراف والاصقاع وربّما يعرض لهم الجوع المفرط وهم معرضون معه عن المطاعم وفي الجملة يؤثرون المكروه ويلقون بانفسهم الى التهلكة تصلّفاً وتفاخراً على اقرانهم ومباهاةً بافعالهم لا عزيمةٍ صائبةٍ وطمأنينةِ نفسٍ وكلّ ذلك من الشّهوات الفاحشة بينها وبين الشّجاعة بونٌ سحيقٌ وفرقٌ عظيمٌ وفجّ ويبتغي ان لا يتوهم انّ مَنْ لايُبالي من مضيقه في باب الشّرف او الآفات الهائلة من الزّلازل الشّديدة والصّواعق المتواترة والامراض المزمنة والمؤلمة وفقد الاصحاب والاحباب او من خطر البحار فهو في شيءٍ من الشّجاعة بل هو اقرب الى الجنون والوقاحة من الشّجاعة وكذا من القى ليس صح

نفس

نفسه في الخطر بدون الضّرورة مثل الغوص في البحر مع جهله بالسّباحة او الوقوف تحت الحائط المائل والصّعود على الجبل الهائل او يتعرّض لاوابد الجبل القاتل فهو الى النسبة التّصلّف والمخافة اولى من النّسبة الى الشّجاعة وكذا مَنْ يخنق نفسه او يقتلها بالسّيف او بالسّمّ او يُلقيها في البحر او بردّيه في البرّ لا مِن شنيعٍ او للفقر فهو الى نسبة الخوف احقّ من الشّجاعة

وفي بعض النسخ اوحى من النار بل او جبن صح

واما رداءة الكيفية في العفة فلمن ترك اللّذّة الشّهويّة ويقصد اعتياضاً اكثر منها في الآخرة او الحيوة الدّنيا كما ترى من المتقشّفين يعتزلون النّاس بالكلّيّة ويعرضون عما يحفظ بقاء الشّخص والنّوع من متاع الدّنيا وحطامها لا للتوجّه الى جناب القدس وحضرة الجبروت ولا لابتغاء مرضاة الرّبّ بل طلباً لمثله في الآخرة فهم في الحقيقة احرص النّاس واطمعهم حملهم شبعتهم الى الرّهبانيّة مع انّه لا رهبانيّة في الاسلام وكذا من تزهّد فيه لخمود شهوته وجمود قوّته عدم الشّعور بلذّته او يختار سوء الحال ويتعمد في المطاعم والملابس ويتوقّى عن المناكح لاصابة منها في الدّنيا او لطلب الذكر الجميل فهو كما قال عليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه ترك الدّنيا للدّنيا وكلّ هذه رذيلة في زيّ فضيلة وانّما العفّة ما يكون ملاك الامر فيها امتثال القوّة الشّهويّة بالقوّة العقليّة ليظهر اثر الانصاف والانتصاف ويحترز عن ان يكون ممّن تعبّد بهواه عقله واتبع عقله اللّذّات فظهر من هذه التّفاصيل انّ الفاضل الكامل من يصدر عنه هذه الفضائل طبعاً لا تطبّعاً ويفعلها لانّها خيرات في انفسها ويختارها لكونها افعالاً الهيّةً او مؤدّيةً اليها لا لغرضٍ آخر حتّى يكون ممّن يتخلّقون باخلاق الله تعالى وانّما سمّي الاوساط فضائل بشرطين احدهما عدميّ وهو اذا لم يشبها

عرض من تلك الاعراض الفاسدة والآخر وجودي هو انّها اذا صدرت
بلا رويّة وفكر صدرت لانّها خير وكمال فقط لا لامر خارج عنها والفرق بين
الخير والكمال هو انّ لكلّ موجودٍ خاصيّة يمتاز بها عمّا عداه فتلك الخاصيّة
باعتبار حصولها له بتأثير المحلّ يسمّى خيراً وباعتبار حصولها له بدونه يسمّى
كمالاً فالخير اخصّ لانّه كمال مشتمل على التأثير وكلاهما متعلّق اللذّة وهي
عبارة عن ادراك الملائم من حيث هو كمال وخير والخير المطلق هو المختار
لاجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الّذي هو يتشوّقه كلّ عاقلٍ واعلم انّ
لكلّ فعلٍ صدرت عن عاقلٍ غاية يتوجّه اليها وتلك الغاية ان يكون
مقصودة قبله والّا لكان الفعل عبثاً ولذا قيل اوّل الفكر آخر العمل
وهي امّا ان يكون مقصودة لذاتها خيراً في نفسها او لامرٍ هو خير منها والاوّل
يسمّى الخير المطلق الّذي هو غاية الغايات والمقصود من وجود جميع الموجودات
والثّاني الخير الاضافي وما يتوسّل به اليها فالخير في جميع الاشخاص واحد
لانّه المقصد من النّوع ولانّ كلّ حركةٍ لا يخلو عنه واما السّعادة فهي الخير ايضاً
الّا انّه بلوغ الشّخص بحركته الارادية الى الكمال يمكنه ويليق به بحسب الاستعداد
الاوّل فسعادة كلّ شخصٍ غير سعادة الآخر واما الخير فمشترك في الكلّ
وممّا ينبغي ان يعلم انّ العلماء اختلفوا في الحقيقة الانسانيّة قال
بعض ممن لا خلاف له في الشّرع انّها النّفس النّاطقة والبدن
بمنزلة الآلات وقال المحقّقون انّها النّفس النّاطقة مع البدن
وعليه كثير من العلماء المحقّقين من الفقهاء والمحدّثين والفرقة الشّريفة
المتصوّفة وهو الحقّ الحقيق بالقبول واما القائلون بانّ حقيقته
البدن فشرذمة لا يعبأ بشانهم اصلاً لا في الملّة ولا في الفلسفة

فالرقم

فالقوة الاولى حصروا السّعادة في الحكمة والشّجاعة والعفّة والعدالة
ويقولون انّ من حصل له هذه الامّهات الاربع يصل الى السّعادة بعد
خلاصها عن الكدورات الطّبيعيّة وتقدّسها عن التّلوّثات الهيولانيّة
والفرقة الثّانية يقولون انّ ~~الكاملية~~ السّعادة التّامّة للانسان
بحيازته رتبة استعمال الشّرائع النّبويّة بالابدان والاستنارة بالانوار
الالهيّة في جميع الازمان فيصير جامعاً لشرف الدّارين ويلحق في الاخرى
بزمرة الملاء الاعلى ويحصل له المعاد الاشرف ويدخل في الّذين انعم الله
عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن اولئك
رفيقاً ولمّا كان العلوم قسمين بدنيّة وروحانيّة وقد مرّ اقسام الرّوحانيّة
امّا الاولى اصولها اربعة الزّراعة للمطعم والحياكة للملبس والبناء
للمسكن والسّياسة لانتظام التّألّف والاجتماع وما سوى هذه
خادمة لها كالحدادة تخدم الزّراعة والحلاجة والغزل تخدم الحياكة
والنّجارة تخدم البناء والكتابة تخدم السّياسة ثمّ انّ السّياسة والحساب
على اربع مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على
ظواهر الخاصّة والعامّة وبواطنهم والثّانية الخلفاء والملوك
والسّلاطين وحكمهم على ظواهر الخاصّة والعامّة والثّالثة العلماء الّذين
هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصّة فقط ولا يرتقي فهم العامّة
الى الاستفادة منهم وايضاً لا ينتهي قوّتهم الى التّصرّف في ظواهرهم
والرّابعة هو الوعّاظ وحكمهم على بواطن العامّة فقط واذا عرفت
حال السّعادة والكمال وفضائل الاعمال فلنشرع في ذكر شعبها و
فروعها قال المصنّف لكلّ فضيلةٍ من الفضائل الثّلث اعني الحكمة والعفّة

والشجاعة شعب اي آثار كثيرة منشأها الفضائل المذكورة وانواعها
كثيرة لا تكاد تحصى كثرة ولا تحصر عدداً لكن المص عدّ منها ما هو الاظهر
والاشهر فللحكمة سبع شعب الاولى صفاء الذهن وهو عبارة
عن استعداد النفس الناطقة لاستخراج المطم مقدمات
القياس بلا تشويش واضطراب يمنعانها عن الوصول الى المطالب
قال الله تعا افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال
رسول الله صلعم ان الله تعا خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن
اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل والذهن
على ما ذكره السيد هي قوة يشمل الحواس الظاهرة والباطنة و
العقل قوة مميزة بين الحسن والقبيح واعلم ان صفاء الذهن
لما كان من الفضائل وقد ثبت ان لكل فضيلة طرفان فطرف تفريطه الظلمة
الحادثة في النفس اما بسبب ما حصل في جبلته من القصور في استنباط
النتائج او لتعوده بذلك وطرف افراطه التهاب الذهن المتجاوز عن
قدر المطلوب فيقع المط دون مرماه وليس هذا في شيء من اصابة
الى المط كما زعم من لا خبرة له باستعمال الافكار والثانية جودة الفهم
وهي عبارة عن صحة الانتقال اي انتقال الذهن من تصور الملزوم الى
تصور اللازم قال علي بن ابي طالب رض من فهم علم غور العلم وذلك لان
الانسان مجبول على قوة مسماة بالفهم من شأنها الانتقال من شيء الى آخر
ولا تتخلف عنها هذا الاثر الا بان لا ينتقل اصلاً او بان ينتقل لكن الى
ما لا انتقال اليه اما لانتفاء شرائطه كما في حالة الطفولية الفاقدة
لآلة الفهم او لوجود الموانع كما في الغباوة العارضة لذلك فان الفهم

في الانسان

وفي بعض النسخ [illegible] صح

طرفين

وفي بعض النسخ [illegible] صح

في الانسان جبلي وان خلافه لآفة ويرشدك الى صحة هذا الكلام ما صدر
عن صدر الاسلام محمد سيد الانام عليه الصلوة والسلام من قوله كل مولود
يولد على فطرة الاسلام الا ان ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
وهذه الفطرة وان كانت فطرة الاسلام الا انها يفهم منها حال فطرة الفهم
بطريق الاشارة لانها مستلزمة لفطرة الفهم فافهم واعلم ان جودة
الفهم هي الوسط وتفريطها الابطاء وهي ان يكون تاخر الفهم ملكة لصاحبه
وافراطها سرعة التخيل على سبيل الاختطاف بلا اتقان في الايقان
واحكام في الاحكام واكثر العلماء في زماننا هذا المخطئون في كونها رذيلة
مانعة عن التحصيل حيث يظنونها فضيلة لعدم فرقهم بين سرعة التخيل
وجودة الفهم والثالثة الذكاء وهو عبارة عن سرعة اقتداح النتائج
اي سرعة انتقال الذهن من المقدمات الى النتيجة ويؤول به قوله تعا يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار واعلم ان الذكاء من نتائج الحدس
واخص من الفضيلة الثانية التي هي اخص من الاولى فيكون اخص
من الاولى قطعاً وهو فضيلة متوسطة وتفريطه البلادة اما المتناهية
التي يكون عدم الانتقال من الملزوم الى اللازم او بالعكس او عدم
استنتاج النتائج من الشكل الاول ملكة له او غير المتناهية بان يعسر
عليه الانتقال المذكور والاستنتاج المذكور لكن المراد ليس البلادة الخلقية
بل البلادة المكتسبة الحاصلة من عدم تصقيل الذهن بالرياضات
الفكرية وهي تسليط الفكر على المحاكمة في النسب الحكمية اذ النفس مخلوقة
على الادراك ولا تصعب هو عليها واما الذي يصعب هو عليها
ويرتاض هي بذلك ملاحظة النسب الحكمية والجزم باثباتها او نفيها

مهه

لان هذا اصعب الادراكات واعصاها على الاذهان واما طرف
الافراط فى الذكاء فهو الخبث الذى يجاوز دائرة الحق ويخطو عن
جادة الشريعة ويخبط خبط عشواء لكونه فى بصيرة عمياء وهو وان
كان زيادة صورة نقص حقيقة لان الزيادة على التمام نقصان
كالاصبع السادسة فى اليد وهذا حاصل قول الحكماء البلاهة ادنى
الى الخلاص من فطانة بتراء والرابعة حسن التصور وهو عبارة عن
البحث عن حقائق الاشياء بقدر ما هى عليه اى بلا اهمال شيء
مما هو داخل فيها وادخال شيء مما هو خارج عنها قال على بن ابى طالب
من تبصر الفطنة ظهرت له الحكمة وهى اخص من الثانية مطلقا واعم
من الثلثة لانه لا يلزم من حسن تصور شيء سرعة الانتقال لكن يلزم
من السرعة حسن التصور اذ المعتبر هو الانتقال الصحيح ولما كان حسن
التصور فضيلة لا جرم ثبت له طرفان طرف التفريط قصور الفكر عن
تعقل تمام المط وذلك لعدم وفاء الفطرة باحاطته بتمامه وطرف
الافراط صرف الفكر الى تعقل امور زائدة على المط وذلك لقوة
جريان الذكاء وقصور القوة المميزة النافذة بين ما يهمها
وما لا يهمها عن المجاراة معه والمرافقة معه فى كل شوط والخامسة
سهولة التعلم وهى عبارة عن قوة النفس على درك المطلوب بلا
زيادة سعى ومؤنة كلفة قال الله تعالى اولئك الذين كتب الله فى قلوبهم
الايمان وايدهم بروح منه وهى فضيلة فلها طرفان تفريطها صعب
التعلم بحيث يتعذر او يتعسر عليه الوصول الى المط لكن يرمى الغرض
ويقف سهمه دونها لنقصان فى القوة وافراطها مبادرة

القوة

القوة الى المط بحيث لا يتثبت صور المبادى والمقدمات فلا
يوجد فى ذهنه المط الا ظنا للغفلة عن مبادئه فصار كمن يعدو الى
المقصد لكن لا يلتفت الى امارات الطريق فلا يهتدى اليها مرةً
اخرى والسادسة الحفظ وهو عبارة عن ضبط الصور المدركة الحاصلة
بالاكتساب لا بالبديهيات اذ الحفظ لا يطلق على ضبطها قال الله
وتعيها اذن واعية وقال عز وجل هذا ما توعدون لكل اواب
حفيظ وهو ايضا فضيلة ولها طرفان تفريطها الغفلة عن استثبات
الصور التى ينتفع بها فى المط وافراطها العناية بضبط امور لا ينتفع
بها اصلا والسابعة الذكر بالضم وهو عبارة عن استحضار المحفوظات
اى الامور المضبوطة وهو ايضا فضيلة قال عز وجل وما يذكر الا
اولوا الالباب فلها طرفان تفريطها النسيان المستلزم
لاهمال ما يجب مراعاته من المهام وافراطها الاستعراض المفضى
لتضييع الاوقات فيما لا يعنيه من المدركات والذكر اخص من الحفظ
مطلقا واعم من البواقى من وجه اما الثانى فظ واما الاول فلان
ضبط الصور المدركة بمثابة العلم بها اجمالا واستحضارها بمثابة
العلم بها تفصيلا ووجه الضبط فى هذه الشعب السبع هو انه لا بد
فى تحصيل المدركات على ما هى عليه من جودة الالة اولا ثم جودة
تحصيلها المط والاول هو الاولى والثانى ان كان فى التصور
فهو الثانية وان كان فى التصديق فهو الثالث وان كان اعم منها
اما فى تعيين المط وتمييزه عما عداه فهو الرابعة او فى سهولة حصوله
فهو الخامسة او فى حفظ صورة المدرك فهو السادسة اذ كل الصور

تهوالت بها وللشجاعة احدى عشرة شعبًا الاولى كبر النفس وهو عبارة
عن استحقار اربعة امورٍ اليسار وهو عبارة عن زيادة الدخل
على الخروج وبمعناه الغنى والفقر وهو بالعكس من اليسار والكبر اما
فى الجثث او فى الصفات والصغر وهو الهوان اما فى الجثث او فى
الصفات ايضًا واذا استحقر هذه الامور يكون قادرًا على احتمال الامور
الملائمة وغير الملائمة قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال علي رضه من
كبرت عليه نفسه هانت عليه شهوته ولما كان كبر النفس فضيلة ثبت له
الطرفان تفريطه استعظام الامور المذكورة وافراطه استحقار امور
اخر غيرها كاستحقار وجوده وما يتفرع عليه من النعم العظام الثانية عظم
الهمة وهو عبارة عن عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها اي لا
يستبشر بالملائمات الدنيوية ولا يتضجر عن منافراتها الدنيوية حتى
الموبقات قال الله تعالى حكاية عن اصحاب موسى في جواب فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلافٍ ولاصلبنكم في جذوع النخل قالوا لا ضير انا
الى ربنا منقلبون وفي موضع آخر فاقض ما انت قاضٍ انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا ولما كان عظم الهمة فضيلة يكون تفريطه المبالاة بسعادة
الدنيا وشقاوتها وافراطه عدم المبالاة بالنعم العظام كنعمة الوجود
ونعمة العلم وغيرهما الثالثة الصبر ويسمى الثبات ايضًا وهو عبارة
عن قوة مقاومة الالام والاهوال والشدائد والصبر مع ما قبله فرعان
للاولى قال الله تعالى وكأين من نبيٍّ قاتل معه ربيون كثير فما ضعفوا
وما استكانوا والله يحب الصابرين والصبر فضيلة وتفريطها الجزع
وافراطها التهور الرابعة النجدة وهو عبارة عن عدم الجزع عند

المخاوف

اي ليكون وجود هذه الامور وعدمه عنده سواء

المخاوف مع ملكة الثبات للنفس حتى لا يعتريه الجزع عند المهالك ولا
تصدر عنه الافعال الغير المنتظمة قال الله تعالى ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف
والجوع ونقصٍ من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ولا يخفى ان
طرفي النجدة الجبن والتهور الخامسة الحلم وهو عبارة عن الطمانينة
وهي ترك الشغب عند سورة الغضب قال الله تعالى وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونًا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا
ادفع بالتي هي احسن السيئة ومن كلام رسول الله صلعم ليس الشديد
بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وطرفا الحلم الغضب
اعني السفه والخمود اعني عدم الحمية السادسة السكون وهو عبارة
عن التاني في الخصومات والحروب الشرعية ويسمى عدم الطيش ايضًا
وهذه الثلث من تفاريع الصبر قال الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم وقال علي بن ابي طالب رضه من بالغ في الخصومة اثم
وطرفا السكون الطيش والجبن السابعة التواضع وهو عبارة
عن استعظام ذوي الفضائل ومن دونه في المال والجاه بشرط
تنزيل مرتبته دون مرتبتهم في الفضائل والكمالات ليكون لله تعالى
لا للنفاق وهذه راجعة الى استحقار الكبر والصغر فيكون من
تفاريع كبر النفس قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين وقال رسول الله صلعم ما تواضع احد لله الا رفعه
الله ومن كلام علي رضه حلية المؤمن التواضع واعلم ان طرفي
التواضع الكبر والتملق الثامنة الشهامة وهي عبارة عن الحرص

على المباشرة ما يوجب الذكر الجميل من العظائم قال الله تعالى اولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وطرفاها الكسل عن طلب الخيرات
وطلب الفضل على كل احد التاسعة الاحتمال وهو عبارة عن
اتعاب النفس في الحسنات ولا بد فيه من الحرص على اكتساب
الذكر الجميل ليتعب نفسه في ذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
وطرفاه الكسل عن كسب الحسنات والطمع حتى يريد تحصيل
جميع الحسنات لنفسه وذلك غير ممكن العاشرة الحمية وهي
عبارة عن المحافظة على الحرم والدين من التهمة ولا بد فيه لما سبق
من الحرص المذكور فيكون كلاهما من آثار الشهامة قال رسول الله
صلعم اتقوا مواضع التهم وطرفاها نقصان الغيرة وتاديتها الى
الحمية فيما نهى اليه الشرع كمنع زوجته عن الحج لصيانتها عن الاجانب
الحادية عشر الرقة وهي عبارة عن التأذي عن اذى يلحق الغير
وينبغي ان لا يظهر منه اضطراب في الافعال والاقوال لئلا يلزم
تنافي الآثار لامر واحد وهو الشجاعة ولا يخفى عليك ان المراد
بالرقة ما يترتب عليها من ارادة دفع اذى عن المتأذي حتى يظهر كونها انتقال
من فروع الشجاعة والا فالرقة من مقولة الانفعال والشجاعة
من قبيل الفعل وتباين المقولتين يمنع كون احدهما نوعا من الآخر
كما هو معنى الشعبة قال النبي صلعم ترى المؤمنين في تراحمهم
وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضوا تداعى له
سائر الجسد بالسهر والحمى وطرفا الرقة الغضب بارادة

الانفعال والخوف من اذى الغير واعلم ان بعضا من الحكماء ذكر للشجاعة
شعبة اخرى غير ما ذكره المص وهو العفو اعني ترك الانتقام مع القدرة
قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فمن عفى واصلح فاجره
على الله فاصفح عنهم وقل سلام وقال رسول الله صلعم لا تكونوا إمّعة
يقولون إن احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطّنوا
انفسكم إن احسن الناس ان تحسنوا وان اساؤا فلا تظلموا
وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه ايمانا
وامنا واعلم ان كون العفو من فروع الشجاعة باعتبار القدرة على الانتقام
وانما ترك الانتقام لمدافعة الرحم اياه والا فمجرد ترك الانتقام مندرج
في الخوف المقابل للشجاعة وطرفا العفو الانتقام والعفو عن حقوق
الشرع وللعفة احدى عشرة شعبا كما للشجاعة الاولى الحياء
وهو عبارة عن انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح
الشرعية او العقلية او العرفية والاول ان يستحق العقاب عليه
وانما نسب الى الشرع لعدم مجال العقل على الوقوف عليه والمرتكب
عليه يسمى الفاسق والثانية ما لا يلايم الطبع او ما لا يوجب المفسدة
عقلا والحاكم في هذا المعنى العقل لا غير ولهذا نسب اليه والمباشر له
يسمى المجنون والثالثة ما نذم فاعله ولا يقف عليه الا اهل العرف
ولهذا نسب اليه و المقدم عليه يسمى الابله ولا يخفى ان صاحب
الحياء ينقبض عن وجود هذه الالقاب عنه ويعين على الحياء
في الاعراض عن هذه الامور الايمان كما قال عليه السلام الحياء شعبة
من الايمان كما قال اي اثر من الآثار المترتبة عليه وقال

ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
وقال علي رضه من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه ولا يخفى ان
للحياء طرفين افراطها الخوف والجبن وتفريطها الوقاحة والخلاعة
والثانية الصبر وهو عبارة عن حبس النفس عن متابعة الهوى
قال الله تعا وما يلقيها الا الذين صبروا ولنجزين الذين صبروا
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون قال علي رضه عليك بالصبر فان الصبر
من الايمان بمنزلة الراس من الجسد واعلم ان الصبر صبران صبر
على ما يكره وصبر على ما يحب وهذا التقسيم على هذا الوجه مأثور
من علي كرم الله وجهه فالقسم الاول من فروع الشجاعة وقد يخص
باسم الثبات والقسم الثاني من فروع العفة وللاشارة الى هذا
الفرق ذكر المص في الاول مقاومة الالام والاهوال وفي الثاني
متابعة الهوى وللصبر ايضا طرفان تفريط اتباع الهوى وافراط
الترهب الثالثة الدعة وهي عبارة عن السكون عند هيجان الشهوة
ولابد فيها من حصول ملكة التثبت قال الله تعا ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به منهم زهرة الحيوة الدنيا ولها ايضا طرفان تفريطها الفجور
وافراطها الخمود الرابعة النزاهة وقد يسمى بالحرية وهو عبارة
عن اكتساب المال من غير اهانة لاحد ولا ظلم الى الآخر وفي بعض النسخ
من غير مهانة وهي بمعنى الهوان والصحيح هو الاول والمراد سلب جانب
التفريط وهو ان يكون من مكاسب دنية مستلزمة لتلك الغرض
وسقوط المروة كما ان قوله ولا ظلم سلب جانب الافراط فهذا بيان
طيب المدخل ولما وجب في النزاهة من طيب المصرف ايضا قال و

والانفاق في المصارف الحميدة وهذا ايضا وسط بين البخل والسرف
قال النبي صلعم لان ياخذ احدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف
الله وجهه خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه وقال علي رضي الله عنه
لنقل الصخر من قلل الجبال احب الي من منن الرجال وقال رضه طوبى لمن
ذل في نفسه وطاب كسبه وخلصت سريرته وحسنت خليقته وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله وطرفا النزاهة الاسراف
والجور افراطا والجبن عن الكسب والبخل عن الانفاق تفريطا الخامسة
القناعة وهي عبارة عن الاقتصار على الكفاف والتساهل في اسباب
المعيشة وحاصله تسوية الدخل مع الخرج قال النبي صلعم قد افلح من اسلم
ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وقال عليه السلام ليس الغنى من كثرة
العرض ولكن الغنى غنى النفس وقال صلعم ارض بما قسم الله لك تكن اغنى
الناس ومن كلام علي رضه القناعة مال لا ينفد وقال رضه كفى بالقناعة
ملكا وبحسن الخلق نعيما وقال مؤيد الدين الطغرائي كنز القناعة لا يخشى
عليه ولا يحتاج فيه الى الانصار والحول وطرفا القناعة الحرص تفريطا
والتكاسل عن المعاش حتى يؤدي الى المخمصة افراطا السادسة الوقار
وهو عبارة عن التأني في التوجه نحو المطالب قال النبي صلى الله عليه وسلم
العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن وقال صلعم من تأنى اصاب او كاد
ومن عجل اخطأ او كاد وذلك لان التأني في الامور سبب لظهور
الرأي الصواب فيكون من ملهمات الرحمن والعجلة بضد ذلك فيكون
من ملقيات الشيطان وطرفا الوقار العجلة تفريطا والبطء افراطا
السابعة الرفق وهو عبارة عن حسن الانقياد لما يؤدي الى الجميل

اما الشرعي واما العقلي واما العرفي ويسمى ايضا الديانة وحاصله
سهولة النفس على مباشرة مثل هذه الافعال قال الله تعالى فقولا له
قولا لينا وقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وفي التورية الرفق راس كل حكمة ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم
من يحرم الرفق يحرم الخير وقال النبي صلعم ان الله رفيق يحب الرفق و
طرفا الرفق الغلظة والفظاظة تفريطا والعجز افراطا اعلم ان بعضا
من العلماء جعل شعب العفة اثنى عشر وعدوا منها المسالمة وعرفوها
بمجاملة النفس وقت منازعة الآراء مع القدرة لكنها لما كانت
راجعة الى الرفق تركها المص رحمه الله الثامنة حسن السمت اي الطريقة
وهو عبارة عن محبة ما يكمل النفس فهو ان كان على قانون الشرع
فذاك والا فان كان على قانون العقل والعرف فلا بد من ان يكونا
غير منافيين له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السمت الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من اربعة وعشرين جزءا من النبوة وطرفاه التقاعد
عن جنب المعارف تفريطا والجربزة افراطا التاسعة الورع وهو
عبارة عن ملازمة الاعمال الجميلة الموافقة للشرع والعقل والمروة قال
الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك
هم الوارثون وقال ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ومن كلام
علي رضه لا معقل احسن من الورع وطرفا الورع الخنوع تفريطا و
الرهبانية افراطا والعاشرة الانتظام وهو عبارة عن تقدير الامور
وترتيبها بحسب المصالح والمراد بالامور ما يتهيا به المعاش وبتقديرها
تصورها على الوجه الكلي بحسب المصالح الكلية وبالترتيب اخراج ذلك الكلي

الى الفعل

الى الفعل بحسب المصالح الجزئية السانحة قال علي بن ابي طالب رضه كن مقدرا
ولا تكن مقترا وقال رضي الله عنه لا عقل كالتدبير وطرفا الانتظام الغرر
تفريطا والجربزة افراطا الحادية عشر السخاء وهو عبارة عن اعطاء
ما ينبغي لمن ينبغي على الوجه الذي ينبغي ولا بد فيه من النظر في كيفية العطية
والمصرف حتى تراعى بينهما التناسب وفي كميتها بحسب استحقاق
ذلك المصرف حتى يتم رعاية التناسب بينهما قال الله تعالى وما
تنفقوا الا انفسكم من خير تجدوه عند الله وقال مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة وقال انفقوا في سبيل الله واحسنوا ان الله يحب المحسنين
وقال النبي عم الجنة دار الاسخياء وقال صلعم لجاهل سخي احب الي
من عابد بخيل وقال صلعم ينادي مناد كل ليلة اللهم اجعل لكل
منفق خلفا ولكل ممسك تلفا ومن كلام علي رضه من يعط باليد
القصيرة يعط باليد الطويلة وطرفا السخاء البخل تفريطا والسرف
افراطا وهذا اي السخاء جنس تحته انواع من الفضائل واعلم ان
بعضا من العلماء حصره في ثلثة السخاء والجود والايثار اما السخاء
فاعطاء الاقل وامساك الاكثر والجود عكسه واما الايثار فهو
اعطاء الكل وهو اشرف الرتب واعلاها واحقها بالمدح و
اولاها كما قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
قال الحكماء ويشترط ان لا يكون الاعطاء لدفع الاعداء او طلب
الجزاء ومنهم من جعل انواع السخاء سبعة وزادوا المروة وهي
رغبة صادقة للنفس في الافادة بقدر ما يمكن ومنهم من جعلها

ثمانية وزاده المروة والعفو ايضا وارادوا بالعفو ترك المجازاة
بسهولة من النفس مع القدرة الا ان المص لما رأى ان المروة
من قبيل الورع اعني ملازمة الاعمال الجميلة وان العفو من قبيل
كبر النفس وقدم انهما من شعب الشجاعة حصر السخاء في ستة الاول
الكرم وهو عبارة عن الاعطاء بالسهولة وطيب النفس في الامور
العظام واما اطلاق السخاء على غير الله تعالى فقط وشمول الكرم لهما
معا فلا ينافي كون الثاني نوعا للاول لان مدار النوعية والجنسية
خصوص المفهوم وعمومها وذلك العموم لا ينافي الخصوص بحسب الاطلاق
من جهة الشرع ولما كان الكرم فضيلة فلها طرفان افراطها السرف
وتفريطها البخل قال الله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء
مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها فآتت
ضعفين قال علي رضه الافضال يعظم الاقدار وقالوا البخيل
يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء
الثاني الايثار وهو عبارة عن ان يكون الاعطاء مع الكف عن حاجة
اي مع كف المال الذي اعطاه عن الصرف الى قضاء حوائجه ثم البذل
الى الغير وهذه فضيلة مدح التنزيل صاحبها بقوله ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عز وجل ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولهذه الفضيلة ايضا طرفان
افراطها السرف وتفريطها البخل اما البخل فظ واما السرف فبذل
المال الى غير من يستحقها شرعا وعرفا الثالث النبل وهو عبارة
عن ان يكون الاعطاء مع السرور قال تعالى ويطعمون الطعام

على

على حبه مسكينا ويتيما واسيرا واليه يشير قوله تعالى في حق الصدقة
طيبة بها انفسكم وله طرفان البخل والسرف كما مر بعينه الرابع
المواساة وهي عبارة عن ان يكون الاعطاء مع مشاركة الاصدقاء
اي اشراكهم في الانتفاع والتمتع بعد ما بذل المال عليهم قال رسول الله
صلعم البركة في المال من ايتاء الزكوة ومواساة المؤمنين وصلة
الاقربين وطرفاه ما مر ايضا الخامس السماحة وهي عبارة عن بذل ما
لا يجب تفضلا وانما قيد بهذا لان بذل ما لا يجب بذله قد يتوقع
بازائه مجازاة فلا يسمى تفضلا ولا سماحة اذ التفضل طلب النفع
على الغير وهو لا يوجد الا بدون المجازاة قال النبي صلعم السماح رباح
قال علي رضه كن سمحا ولا تكن مبذرا وطرفاه قد مر السادس
المسامحة وهي عبارة عن ترك ما لا يجب تركه تنزها كمن ينقص
من المال الذي له على الآخر قدرا معينا بلا توقع مجازاة ولا شك
ان ذلك لم يكن واجبا عليه بل فعله تنزها فسمي بالمسامحة
قال الله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا
خير لكم وقال النبي صلعم من انظر معسرا او وسع له اظله الله تحت ظل
عرشه يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله واعلم انك لما عرفت ان
قوى النفس الانساني ثلث الحكمة والشجاعة والعفة وان
الاوساط منها فضائل والاطراف رذائل وان لتلك الوسط
انواعا وذكرنا نبذا منها فاعلم ان تلك القوى الثلث اذا سالمت
وتعاونت في افعالها واستوت في الكيفية حتى بلغت الغاية التي
خلقت لها حدثت العدالة وهي مسالمة هذه القوى بعضها بعضا

والانصاف من نفسه ومن غيره ولهذا قال المص والعدالة التي هي من
الفضائل الانسانية اسم لما يجمع سائر الفضائل اي الفضائل الثلث من
الحكمة والشجاعة والعفة قال الله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين
وقوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى وقال الله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان وقال عليه السلام اُمِرْتُ بان اعدل بينكم وقال علي رضه بالسيرة
العادلة تقهر المناوي المعادي واجناسها هي الفضائل المذكورة و
انواعها لا تكاد تحصى كثرة ولا تحصر عدة لكن ذكر المص منها ما هو اظهر
واشهر فقال ولها اي وللعدالة اربعة عشر شعبة الاولى الصداقة
وهي عبارة عن محبة صادقة وفسرها بقوله بحيث لا يشوبها غرض اي
لا يريد لنفسه شيئاً الا ويريده بالخليل اولاً ثم قيدها بقوله ويؤثره
على نفسه في الخيرات لان المحبة الصادقة امر باطني لا يظهر الا بحصول
اثرها وهو الايثار المذكور وقد عرفت معنى الايثار والمراد بالخير
هنا المال كما في قوله تعالى ان ترك خيراً اي مالاً وفي قوله تعالى وانه لحب
الخير لشديد اي لحب المال وانما جمع الخيرات باعتبار اصناف المال
ومن عرف الفرق بين الصداقة والصادقة لا يتوهم ورود سؤال
الدور قال النبي صلعم كونوا عباد الله اخواناً ومن الاحاديث الربانية
اي المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا في ظلي ومن كلام
علي رضه اَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عن اكتساب الاخوان واعجز منه
من ضيّع من ظفر به منهم واعلم ان طرفي انواع العدالة بهما طرفا
الحكمة والشجاعة والعفة لتركبها منها فاعتبر منها في كل من انواعها
الثانية الالفة وهي عبارة عن اتفاق الآراء في التعاون على تدبير

المعاش

المعاش ويرجع هذه الى المشاورة اللازمة لها قال الله تعالى واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً وقال عم
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وقال علي رضه المؤمن
الف مالوف الثالثة الوفاء وهو عبارة عن ملازمة طريق المواساة
فيما ليس مذموماً عند الحكام الثلث اعني الشرع والعقل والعرف
ومحافظة عهود الخلطاء في الدار والمال والنسب قال الله تعالى واوفوا
بالعهد ان العهد كان مسؤولاً بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله تعالى
يحب المتقين الرابعة التودد وهو عبارة عن طلب مودة الاكفاء و
اهل الفضل مما يوجب ذلك مما يستلزم محبتهم من حسن اللقاء و
امثاله وبالجملة مما يناسب كل احد قال النبي صلى الله عليه وسلم التودد نصف
العقل وقال صلعم ان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق الخامسة
المكافاة وهي عبارة عن مقابلة الاحسان بمثله او زيادة قال الله تعالى
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من اوتي فليكافئ فان لم يستطع فليذكره فان ذكره فقد شكره
السادسة حسن الشركة وهو عبارة عن رعاية العدل اي الاعتدال
في المعاملات المالية قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وقال عز وجل
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وفي موضع آخر واوفوا الكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس اشياءهم السابعة حسن القضاء وهو عبارة
عن ترك الندم والمن في المجازاة اي في مجازاة الحقوق الثابتة عليه
اما المن فانه مذموم شرعاً لقوله ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

وعقلاً اي قبل المنّة تهدم الصنيعة وكذا ايذاء الندم لانه يلحق المروّة بالعدم
واما محموديته حسّاً فقضاء فلقوله تعالى هل جزاء الا الاحسـ الثامنة
صلة الرحم وهي عبارة عن مشاركة ذوي القرابة في الخيرات الدنيوية
الحاصلة عنده قال الله تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
وقال عزّ وعلا واتى المال على حبه ذوي القربى قال النبي عم ايها الناس
افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وقال صلعم ما من شيء
اطيع الله فيه باعجل ثواباً من صلة الرحم التاسعة الشفقة وهي عبارة
عن صرف الهمّة الى ازالة المكروه عن الناس لاجل انه واصل الى
مظلوم قال النبي صلعم ان احدكم مرآة اخيه فان رأى به اذى فليمط
عنه وقال النبي صلعم المؤمن مرآة المؤمن لانه يتأمله فيسد فاقته ويجمل
حالته وقال النبي صلعم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء العاشرة الاصلاح اي اصلاح ذات البين
وهو عبارة عن التوسط بين الناس في الخصومات بما يدفعها مع
رعاية المناسبة بين المدفوع والمدفوع عنه قال الله تعالى فاصلحوا
بين اخويكم وقال الله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وفي موضع
آخر لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
الحادية عشر التوكل وهو عبارة عن ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر
قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى وعلى الله توكلوا
ان كنتم مؤمنين والمراد بما لا يسعه قدرة البشر هو المسببات
اذ الاسباب مما يدخل تحت قدرته فتفويض المسببات الى الله تعالى
بترك السعي فيها بعد مباشرة اسبابها بقدر ما يمكن هو التوكل على الله تعالى

كما قال

كما قال عليه السلام لاعرابي بعد ما قال ارسلت الناقة وتوكلت
على الله تعالى اعقلها وتوكل على الله تعالى وفيه ارشاد الى ان التوكل ليس ترك
مباشرة الاسباب بل ذلك ربما يكون منهياً عنه وانما التوكل
تفويض المسببات الى الله تعالى بعد مباشرة اسبابها العادية اذ
المسببات يمكن تخلفها عن اسبابها وان جرت العادة بترتبها عليها
وذلك الترتب ان كان كلياً يسمى التخلف خرق العادة وان كان
اكثرياً يسمى نوادر وان كان قليلاً يسمى عادياً اقول هذا الذي ذكرنا
في تحقيق التوكل هو ما ذهب اليه الجمهور وقد غلطوا في تحقيقه الا من عصمه الله
وقليل ما هم وذلك لان التوكل لو كان مباشرة الاسباب العادية
وتفويض المسببات الى خالقها لكانت الاشاعرة باجمعهم حتى المحترفة
والتجار من المتوكلين الابرار ولم يختص التوكل بواحد بعد واحد من
الاخيار بل التوكل ترك مباشرة التمحض في الاسباب الوهمية
للمبتدئين وترك مباشرة الاسباب الظنية للراسخين واما الاسباب
القطعية فلا غنى عنها بكل حال بل قد يكون تركها حمقاً وخرقاً بل اثماً ان
ادى الى تضييع واحد من الامور الثلثة اعني النفس والمال والعرض
وتمام تحقيق معنى التوكل قد ذكرناه في رسالة الشفاء لادواء الوباء
الثانية عشر التسليم وهو عبارة عن الانقياد لامر الله تعالى وترك الاعتراض
فيما لا يلايم طبيعته ومصلحته بحسب الظاهر قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت
ويسلموا تسليماً الثالثة عشر الرضاء وهو عبارة عن طيب النفس
فيما يصيبه من المصائب وفيما يفوته من الفوائد مع عدم التغير وقد

يقال عدم التغير مستدرك لكن اذا فسر طيب النفس بعدم الالحاف ما
يشبه التقشف يستلزم عدم التغير لكن النص اراد الاول قال الله تعالى
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم الرابعة عشر العبادة وهي
عبارة عن تعظيم الله تعالى وتعظيم اهله من الانبياء والاولياء والائمة
وامتثال اوامره الشرعية مع الاجتناب عن النواهي الشرعية واعلم
ان من جملة اهل الله تعالى العلماء العاملون بعلمهم كما قال صلعم اهل القرآن
اهل الله وخاصته فالمراد بالعلماء علماء التفسير والحديث العاملون
بما فيه والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر لا العلماء السوء
الذين هم اخوان الملوك واعوان السلاطين قال الله تعالى في
العبادة فاعبد الله مخلصا له الدين وقال عز وجل واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين اي الموت وقال عز وعلا واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم ومما ينبغي ان يعلم ان آفة العبادة
الرياء فينبغي الاجتناب عن ذلك كما قال تعالى يراؤن ولا يذكرون الله
الا قليلا وقال النبي صلعم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال
علي رضه للمرائي اربع علامات يكسل اذا انفرد وينشط اذا كان
بين الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص منه اذا ذم به
والله اعلم المقالة الثانية في حفظ الاخلاق الجبلية واكتسابها
اذا لم يكن جبلية لما وضع المقالة الاولى لمعرفة الفضائل لتحفظ
او تكتسب ومعرفة الرذائل ليجتنب عنها او تزال وعدم ذكر الرذائل
في البعض للاعتماد على فهمها من اضدادها اذ بضدها تتبين الاشياء
وضع المقالة الثانية لبيان طريق حفظ الفضائل واكتسابها

وطريق

وطريق اجتناب الرذائل وازالتها واما ما توهم من ان المذكور
فيها طريق ازالة الرذائل دون اكتساب الفضائل فمدفوع
بان الاول لما استلزم الثاني اكتفى بذكره وانما لم يعكس
مع ان اللزوم من الطرفين بناء على ان الاهم ازالة الامراض
وايضا المقصود من الحركة ترك المنافر اولا ثم طلب الملايم ولا شك
ان هذا من قبيل الحركات النفسانية من حصل له فضيلة من الفضائل
النفسانية بكسب فيما حصل بعد ان لم يحصل او طبع فيما حصل
بطريق الجبلة وذلك بان يكون بين ذلك الخلق والمزاج مناسبة
مخصوصة لا بان يندرج في الطبع بحيث يكون الطبع مخلوقا عليها
ومستلزمة اياها والا لم يكن ازالتها وقد مر امكان ازالة الاخلاق
فالفضائل سواء كانت بطبع او بكسب فليحفظها الانسان
باقتنائها وتحلية نفسها بها فانها هي الفوز العظيم فكما يجب
على من يريد صحة المزاج استعمال الملايمات والاجتناب
عن المنافرات كما تقرر عند اطباء الابدان كذلك يجب على
من يريد حفظ الفضائل النفسانية مباشرة ما يوافقها و
الاحتراز عما ينافيها كما نطق به اطباء النفوس من اصحاب
العرفان والحكماء البالغين درجات الايقان وانواع
اسباب المحافظة اربعة اولها بملازمة اهلها من ذوي الفضائل
اذ النفس اذا كانت خيرة سعيدة مقبلة على كمالها من جناب
القدس معرضة عن وبالها في جوار الرجس ان يحفظ صحتها
بملازمة من يجانسه من اربابها ومعاشرة من يشاكله من اصحابها

وطلابها واتخاذ اخوان الصدق من اهل الفضل ورفقاء الخير من
زمرة الحق واستماع احاديثهم واخبارهم واتباع سيرهم وآثارهم
وعدم صحبة الاشرار من اولي الرذائل ومجانبة اهل الشر و
القبائح خصوصاً اولي الهزل والمجون وذوي السخرية والهجون
والاحتراز عن صحبتهم والاجتناب عن سنتهم وطريقتهم وترك
استماع اراجيزهم وخرافاتهم ورفض اقتفاء اباطيلهم وجزافاتهم
فان للصحبة تاثيراً قوياً وللخلط تغييراً عجيباً قال الشاعر اذا
كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصاحب الاردى فتردى
مع الردي عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن
يقتدي ولما كان اصحاب الشر ثلثة اصناف ذكرهم وحذر عن
صحبتهم بطريق الوصية فقال واياه اي فليتق من حصل له
فضيلة والاسترسال اي استرسال نفسه في الملاهي التي هي
ملاذ الحواس والمزاح الذي هو من لطائف الطبع والمراء الذي
من رعونات النفس فان هذه الامور ربما اضلت العاقل
الفاضل واغوت العالم الكامل فكيف بالاحداث المستعدين
والفتيان المسترشدين وسبب ذلك اعتبار النفس في مبداء
جبلته واول فطرته باللذات البشرية والراحات البدنية
فليقتصر على ترويح النفس بالبشاشة والطلاقة في موانسة
الاصدقاء ومداخلتهم والمزاح المستعذب والكلام المستملح
في مفاكهة الاخلاء ومطايبتهم فان للانبساط طرفين افراط
وهو الخلاعة والفسوق وتفريط وهو القبض والعبوس قال
رسول

قال رسول الله صلعم روحوا القلوب ساعة فساعة والثاني من انواع
اسباب محافظة الفضائل قوله وليرض نفسه بوظائف علمية افادة
او استفادة او فكرية في نفسه وحده ليتمرن النفس في النظر ولا ينصرف
من جانب القدس بالبطر والاسو عن اهمالها والاخلال بها ولا يعزبه
التدرب والمهارة في العلوم من مواظبة التفكر والتذكار والمداومة
على البحث والتكرار فانه من اعظم الآفات وافسد العادات
وتلك الرياضة لما لم يتيسر الا بتذكر ثلثة امور امر بذلك فقال
فليذكر جلالة اي جلالة العلم في الدارين وذلك لشرف مقتنياتها
ونفاسة مكتسباتها فللنفس منها لذة عظيمة ونشاط ولهذا
تنبسط عليها اي انبساط وتهتز على اقتنائها وتحرض على استيفائها
وليذكر ايضاً دوامه اي دوام العلم بدوام آثاره ما دام بقي النفس
وذلك كدوام النور بدوام الشمس حتى يفوز بالبقاء الرضي
الابدي ودوام العيش الهني السرمدي وليذكر ايضاً صفاءه
اي صفاء النفس حيث ينشبه بسبب العلم بالواحد الحقيقي في
معرفة حقائق الامور ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ولما كانت
الاشياء تتبين باضدادها عقب هذه الثلثة بذكر اضدادها على
الترتيب فقال وليذكر حقارة الدنيا وزوالها ونكدها اي تكدرها
كما هو المقرر عند اهل الاعتبار والنظر لارباب الاستبصار فينبغي
ان يبصر بخساسة حطام الدنيا ونكدها وقلة ثباته وقصر امده
حتى يستحقره فينفض اليد منه وينقبض ويشمئز عنه وليذكر ما
قاله ابو نواس في حق الدنيا وهو ابلغ ما قيل في وصف الدنيا الا كل

حيّ هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق اذا امتحن الدنيا
لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق ويعتبر بانهماك ارباب
الدنيا على النزر الحقير مع كثرة تطرق الآفات اليه واحتمالهم المتاعب
والمشاق في تحصيله مع سرعة طريان الفناء والزوال عليه وتقاعدها
عن الخطر الخطير مع دوام سلامته والاعراض عنه مع خفة مؤنته وعدم
انقطاع لذته ويذكر يا امثال قوله تعالى في قارون فخرج على قومه في
زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن
وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون واشباه قول علي ابن ابي طالب
كرم الله وجهه رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال فان المال
يفنى من قريب وان العلم باق لا يزال وايضا يبالغ في توبيخ نفسك
وتهديدها بالخطاب والعتاب بان تقول لها ايتها المسكينة تغتدي
حال من تحزن كسر الاحجار وقطع الحشيم وانظري تنافسك عنها
وتحاميك عليها كانها انطفها من النعيم المقيم ويلك يا شقية انت
منعمة بايادي الملك العلام افترغبين في ارواث مزابل الانعام
انت مشرفة بخلعة الجبار الاعلى افتقنعين باسمال هذه الادنى
انت مكرمة بمنادمة القدوس السلام افترغبين الى معاشرة
الخناس اللئام فتعسا للشهوة الردية وبؤسا للهمة
الكلبية والثالث من انواع اسباب محافظة الفضائل ما ذكره بقوله
ويختار من اصدقاء الصدق من ينبهه على عيبه فان الصديق يخزن
الاسرار وعيبة العيوب فان العيوب لصاحبها غيوب وذهن

صاحبها

صاحبها عنها محجوب فيمكنه من نفسه ليطلعه على عيوبه الكامنة وكم
من عيوب نفس صاحبها عنها امنة وينبغي ان يمتحنه باظهار بعض
الصفات بحضرته فان انس منه تقصيرا في افشائه عليه فعليه بهجرته
وان ابصر منه اكتنانا لفرط اخافته لا لاضراره وخفائه عاما على
ذلك واوعده الفراق فانه يشبه الخيانة والنفاق وينبغي ان
لا يقتصر على هذا اذ من يكشف العيوب من الاصدقاء اعز من الكبريت
الاحمر بل يلحق بالعنقاء ولهذا ينبغي ان يتفحص قول اعدائه فيه فيظهر
العيب اذ لا يطلع احد على الزلة والعيب مثل عدوه وشانئه
ولا اعرف منهم بسيئاته كما قيل وعين البغض تبرز كل عيب
وعين الحب لا تجد العيوبا وينبغي ان يعلم منه اي من العدو عيوبه فيتركها
اذ الاعداء لا يستر العيب بل لا تجد غير العيب شيئا فاذا استكشف
عن سيئاته فيستاصلها عن نفسه لحساب الحسنات والسيئات
كل يوم فيقابل النفس بالعتب واللوم ويتوب عنها ويحثها على
الحسنات والرخصة اليها الى ان يقلع اثرها برمته وان لم يمكنه
ذلك ينظر في معايب الناس فيجتنبها لما يستقبحها ويتنفر عنها
ويشكر الله تعالى على موهبته والرابع من انواع اسباب الفضل ما
ذكره بقوله وان رأى فتورا في النفس اي وان توجهت في اثنائه
قلعها واستيصالها نفورا او فتورا من النفس طوعها بالرياضات
الصعبة اي ادبها برياضة باهضة وهضمها بمخمصة فادحة حتى
يستعد بتوفيق الله تعالى وعونه وحسن هدايته وصونه لتصفيته
لها عن الكدورات الجسمانية لتنقاد وتترك ما اعتاده من الراحة و

والتهاون في مشاق اقتناء الفضائل والتجنب عن الرذائل ثم ان المص
لما فرغ عن بيان طريق محافظة الفضائل شرع في بيان طريق ازالة
الرذائل التي هي الامراض الروحانية فقال ومن حصل له مرض روحاني
فطريق معرفته ان يكون ذلك الخلق اسهل عليه والذ عنده من ضده
فليعالج بارتكاب اربعة امور كما ان ملاك الامر في المعالجة البدنية
دفع المرض بالضد وطريقه اربعة امور ايضا الغذاء الدوائي ان
امكن والا ان لم ينجع فالدواء اما الغذائي او المطلق وان لم ينفع
فالسم وان لم يبرئ فالكي او القطع اولها ارتكاب الفضيلة المقابلة
لتلك الرذيلة الحاصلة للنفس كالسخاء المقابل للبخل فيعود النفس
اياه بارتكابه الى ان يزول ما يقابله كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيئات وهذا نظير العلاج البدني بالغذاء وثانيها ما اشار اليه
بقوله ثم التعنيف على النفس بعد ما لم يفد ارتكاب الفضيلة المقابلة
بان يكلف النفس ترك تلك الرذيلة بالعنف مع التعيير والتوبيخ
في السر والعلانية وهذا نظير العلاج بالدواء وثالثها ما ذكره
بقوله ثم ارتكاب الرذيلة المقابلة للرذيلة الراسخة في النفس
اذا لم يفد ارتكاب الفضيلة المقابلة ولا التعنيف على الرذيلة
الراسخة مثلا اذا اريد ازالة البخل ولم يتيسر ذلك بارتكاب السخاء
وتعيير النفس على البخل ينبغي ان يكلف النفس الاسراف حتى
البخل وينقطع عرقه باعتياد النفس البذل ليكون اختيار السخاء
سهلا على النفس لكن ينبغي ان يكون ارتكاب الرذيلة قدر ما يزول
الرذيلة الراسخة لئلا يصير الرذيلة الاخرى ملكة راسخة فيقع في

ورطة

ورطة ويقع في اخرى والى هذا اشير بقوله فليحفظ المعالج ارتكاب
الرذيلة المقابلة حد العلاج حتى لا يتجاوز النفس الى الطرف الآخر للفضيلة
كما ظهر لك من التمثيل المذكور وهذا نظير العلاج بالسم ورابعها ما ذكره
بقوله ثم ارتكاب الرياضات الشاقة اذا رسخت الرذيلة في النفس
وصارت عسرة الزوال عنها ولا يفي بذلك العلاجات المذكورة
فيحتاج الى ارتكاب العلاجات الصعبة والرياضات الشاقة
كارتكاب النذور والوفاء عليها وارتكاب العهود الصعبة ان عاد
اليه وغير ذلك من التزام الاعمال الصعاب حتى ترضى وتذعن لما
هو الاسهل منها بالطلب والسهولة وهذا نظير المعالجة بالكي او القطع
وقد قيل آخر الدواء الكي واعلم ان المص لما فرغ من ذكر اجناس الامراض
وقانون المعالجات على الوجه الكلي شرع في ذكر انواع الامراض
وافرادها من انواع اجناس الامراض وان كان في ذكر ما سبق كفاية
لمن اعتبر الا انه اوردها في صورة جزئية ليتقرر تلك الكليات في النفوس
ويعلم طريق مقايسة البواقي عليها فقال ولنذكر امراضا جزئية
صعبة يكثر وقوعها مع علاجها حتى يقاس علاج بواقيها عليها
اعلم ان الامراض النفسانية باعتبار منشائها ثلثة اصناف
لانها حاصلة اما من القوة النظرية واما من القوة الدفعية واما
من القوة الجذبية اما الحاصلة من القوة النظرية فثلثة احدها الحيرة
وهي من جنس افراط القوة النطقية كما ان تفريطها الجهل البسيط
ومن رداءة كيفيتها الجهل المركب وسببها تعارض الادلة
على المسائل المعضلة والمطالب المشكلة وذلك عند تسلط الوهم

وعدم انقياده للعقل قال الله تعالى ودعهم في طغيانهم يعمهون
وقال عز وجل فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وعلاجهما ممارسة القوانين العقلية كالمنطق والمناظرة ليطلع على
موضع الغلط بالاطلاع على شرائط قد اهملها اولاً وقيل علاجه تسحيج
اولاً بالجبال الاذهان من القواعد الرياضية المفيدة للاذعان
وتذكره هذه القضية الاولية اعني ان النفي والاثبات لا يجتمعان
ولا يرتفعان ليعتقد على الاجمال حقية احد الطرفين وبطلان
الطرف الآخر ثم مراعاة القوانين المنطقية ثانياً ليطلع على صحة
حجة احد الطرفين المتخير فيهما ثم استحضار القياسات المغالطية
ثالثاً فانها عظيمة النفع خاصة في هذا الباب اذ بها يعرف فساد
دليل الطرف الباطل ثم تفتيش المقدمات المستعملة في الدليل
رابعاً وتفحص احوالها الصورية والمادية حتى يتخلص بعون الله
عز وجل وثانيها الجهل البسيط وهو عدم العلم عما من شانه ان يكون
عالماً وهو من جنس التفريط وهو في الابتداء غير مذموم لانه شرط
التعلم لكن ان صار والتوار عليه مرض مهلك قال الله تعالى ان شر
الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وفي موضع آخر
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وسببه حب الشهوات الحسية
والركون الى اللذات البهيمية واصحابه اي الذين يتصفون
بالجهل البسيط كالانعام لفقدهم ما به يمتاز الانسان عنها
اي عن الانعام اعني العلم لان فضل الانسان النطق وفضله
باثاره اعني العلم لان النطق ليس هو الصوت المعتمد على مخارج

الحروف

الحروف بل الفهم والادراك واكتناه حقائق الاشياء واذا خلى
عنه الخطوا في سلك الانعام بل هم اي ارباب البسيط من الجهل اضل
وادنى مرتبة منزلة منها لتوجهها اي الانعام نحو كمالاتها الممكنة
في مرتبة الحيوانية وقصورهم اي الجهال جهلاً بسيطاً عن تحصيل
ما يمكن لهم من العلم والتمييز ولا شك ان الانعام تبصر منافعها
فيلزمها ومضارها فيهربها وهولاء لا يدفع عار الجهل الذي هو
افتح المضار عن انفسهم وقد لاحظ المص في هذا المقام مضمون
قوله عز وجل اولئك كالانعام بل هم اضل ويعالج مرض الجهل
البسيط بملازمة العلماء ومجالسة الحكماء ليظهر له نقصانه عند
محاوراتهم ومباحثاتهم خصوصاً عند البحث عن المعاني الدقيقة
فيعلم ان الالفاظ التي كان يتكلم بها في غيبتهم كاصوات الحيوانات
الاخرس سواء والآلى انقطع عنها عند الانسان الحقيقي ويتحقق ان
اطلاق اسم الانسان عليه بطريق المجاز التشبيهي او باعتبار
ما يئول اليه كاطلاق اسم البر على النبات الاخضر باعتبار
استعداده لقبول صورة البر فيتصور قصوره عن درجتهم
ويرى مراتبهم فوق اعين الناس على ان عجزه عن الحيوانات
البالغة الى كمالاتها التي خلقت لاجلها واصلة الى غايات مقاصدها
حتى سائر الموجودات من العناصر والمعادن والنبات هو
محجوب بينه وبين كماله منقطع دون مراده فاذا وقف على
كونه اخس واخس من كل الاشياء واخس واذل من ذرات
الهباء يعلم شرف العلم وخلوه عنه فعسى ان يعتبر نفسه بذلك

العارف بغيرها ويباشر ازالتها بتوفيق الله تعالى وهدايته ان بقي فيه بقية
من الاستعداد وتمكن من الارشاد والا فالمرض مزمن او خلقي فيكون
هو في وادٍ والعلم في وادٍ ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فما له
من هادٍ وثالثها الجهل المركب وهو خلو النفس عن العلوم مع اعتقاد
انه عالم قال الله تعالى ام تقولون على الله ما لا تعلمون وذلك اردأ اصناف
وصاحبه قلما يرجى شفاؤه وقد اعجز اطباء النفوس والارواح
عن القيام بمعالجتها لانه مع الجزم بعالميته لا يتنبه لجهله وما لم يتنبه
لم يتشوق الى طلب العلم كما قال تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون حتى قال بعضهم بالياس عن العلاج لان طلبه موقوف على
الانتباه الموقوف على الطلب ولا يخفى ان التعلم لكونه امرا اختياريا
يتوقف على الطلب ولذا ذهب بعض الناس على امتناع العلاج
قال المص ان قبل العلاج لكن لما ذهب الاكثرون الى امكان
العلاج لكن مع العسر بين طريق علاجه بقوله فملازمة الرياضيات
كالهندسيات والحسابيات لان مقدماتها يقينية لا يشوبها
الوهم فلا يقع فيها سوء الفهم لكن ينبغي ان لا يردع اولا عن معتقده
لئلا يأبى كل ما يسمع ولا ينزجر عن كل ما يعرض بل عليه ينبغي ان يمارس
على العلوم المذكورة ليطعم لذة اليقين ويستأنس بالتحقيق
فينجلي مرآة قلبه بنور الهدى عن ظلمة الشبهات ولذلك كان
الاوائل يقدمون العلوم الرياضية في التعليم حتى على المنطق
لتعويد النفوس المتعلمين على اليقين بل هذا احد وجوه تسمية
تلك الوجوه بالرياضيات لوقوع رياضة الانكار اولا بها ثم التنبيه

على مقدمة مقدمة من البراهين بالتدريج ويعرض عليه اثناء المباحث
ما يدحض اعتقاده ويوجب بطلان مذهبه وفساده حتى يتزلزل
في عقيدته وعلى هذا اترض شيئا فشيئا باليقينيات ويقرر عليه ما
يبطل معتقده من الواضحات ثم يستعمل معه ما يدل على اثبات نقيضه
من الحجج النيرة والبراهين القاطعة الى ان يعالج الى الجهل البسيط
فيعالج بما ذكر واذ اعرفت الامراض الثلثة الحاصلة من قوة النطق
وطريق علاجها فاعلم ان الامراض الحاصلة من قوة الدفع ايضا ثلثة وهي
الغضب والجبن والخوف اما الغضب وهو شدة هيجان النفس
شوقا الى طلب الانتقام وهو مرض ردي يكاد يهلك صاحبه
قال النبي م شراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء وقال بعض
العلماء من وقع في لجة بحر خضم متلاطم وقت هبوب الرياح العاصفة
وقد اشتملت اللجة على جبال راسيات آمن عندي من الغضبان
لان حيلة الملاح ربما ينجع والتضرع والخضوع عند الغضبان لا ينفع
فنقول الغضب يعالج بنفي اسبابه لان انتفاء الاسباب سبب
لانتفاء المسبب واسبابه كثيرة لكن اعرفها واشهرها عشرة
وهي اي تلك الاسباب احدها العجب بضم العين وهو ان يظن
الرجل اختصاصه بمزية ليست له قال الله تعالى لقد استكبروا في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه عجب المرء بنفسه
احد حساد عقله وقال رضي الله عنه لا وحدة اوحش من العجب وثانيها
التكبر وهو قريب من العجب الا ان المعجب يكذب الناس في والمتكبر
يكذب الناس بتخيلهم ما ليس فيه حيث يترفع عليه ونفسه خالية عن

عن ذلك الظن واشار الى علاج العجب والكبر بقوله وهما اي العجب
والكبر بدع اي بدع غريب ممن هو قد جرى مجرى البول مرتين تارة
من الاب حالة المباشرة واخرى من الام حالة الولادة وحاصله ان
يتفكر في مبادي بنيته واطوار خلقته كما قال تعالى انا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة وقال تعالى كذلك
يطبع الله على قلب كل متكبر جبار ومن الاحاديث الربانية الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار
وقال صلعم الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر ومن كلام
علي رضه عجبت بالمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة
وقد اخذ منه من قال انت الذي اوله نطفة قذرة واخره جيفة مذرة
وفيما بينهما تحمل العذرة وهو ميت اي سيموت غدا والتعبير بميت
للاشارة الى تحقق وقوعه البتة والتوقيت بالغد للتنبيه على ان
كل ات قريب ومع ذلك فهو يحتاج الى ابناء جنسه حالتي الحيوة
والممات لكون الانسان مدنيا بالطبع اذ لا يوجد احد منا الا وهو
محتاج الى غيره في اسباب معاشه ومعاده وكل ما كان كماله بالغير
فهو ناقص في ذاته واذا علم ان كماله عند الغير راى ذلك الغير افضل منه
وان امعن النظر وانصف من نفسه وجد لكل شخص بل لكل شيء
فضيلة ليست فيه فلا اقل من الاشتراك وعند ذلك يقف على نقصانه
في المال ويامن من هذا الداء العضال وبالجملة دواء المرض المذكور
الفكرة فيما ذكر من الامور اعني المبداء والوسط والمنتهي كما لا يخفى على
اولي النهى والسبب الثالث الافتخار وهو المباهاة بما هو خارج عن

ذاته

ذاته مما هو في معرض الزوال والافات كالمال والنسب والجاه قال الله تعالى
الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر وقال عليه الصلوة والسلام لا تاتوني بابائكم
باعمالكم وقد اشار المص الى العلاج عنه بقوله والافتخار بعد منهما اي
من العجب والكبر لانه بفضيلة الغير وان فضيلته لا تنتقل اليه بل هي ثابتة له
وهو اذا تجرد عنها لا يكون متزينا ومتجملا في نفسه قال الله تعالى يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال تعالى فاذا نفخ في الصور
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويعرف قلة اعتباره بالتغرب
الى حيث لا يعرف يعني ان مصداق ما ذكره من الكلام انه اذا تغرب
عن وطنه وحيل بينه وبين عرصته بقي عريانا من تلك الزينة وايضا لا
يعرف نسبه مع انه مباين عنه مفارق اياه غير باق ببقائه اذ الاموال
تغصب وتنهب والاسلاف تفنى وتنكر ولو فرض ابوه حيا لا يستقل
بالفضيلة ولم تتعد اليه قال الشاعر وما الفخر بالعظم الرميم وانما
فخار الذي يبغي الفخار بنفسه والسبب الرابع المراء والخامس
اللجاج وهما قاطعان للنظام اي نظام العالم اذ النظام لا بد له
من الفة ويتولد منهما البغض والحقد المزيلين للالفة فيلزم منهما قطع
النظام قطعا فصاحبهما اخس الناس رتبة واذلهم منزلة
واعلم ان المراء مخاصمة تحدث في رعاية المصلحة الجزئية قال الله تعالى
بل الذين كفروا في عزة وشقاق وسببه شدة تعلق النفس بالمنافع
البدنية والسعادات الخارجية لان اكثر الناس من فرط لهجهم بحب
الحيوة الدنيوية وكثرة شغفهم باللذات الحسية يجذبون كل ما يخصهم
من النفع ويخصون كل ما يضر انفسهم بالدفع لا يبالون باضرار الغير

اذا كان فيه نفعهم وذلك من قصور نظرهم وعلاجه بعث النفس على ادراك
المطالب الكلية وتصور المنافع العامة اذ بذلك تخلو النهمة وتنجلي النعمة
ويتجرد عن العلائق الطبيعية والشوايب الوهمية وينفعه الغاء قاعدة
التوحيد فيجد نفعه مع نفع غيره وضره مع ضر غيره لان الكل بنظر التوحيد
واحد ويزول عنه عشق الشيء المخصوص ومنشاء ظهور الوحدة في كتخص
النظر الكلي العقلي كما ان مبداء الكثرة النظر الجزئي الحسي واما اللجاج
فهو عناد ينشاء من طلب الترفع ومحبة الغلبة فهو قريب من المراء الا
انه اخص منه قال الله تعالى فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وعلاجه ما مر
في العجب والمراء ورب جمعية فرق اللجاج شملها وقطعت وصلها
وهو في الحقيقة عداوة الله تعالى ومناقضة حكمته لانها يقتضي التفرق
وتبديد الالتيام وعناية الله تعالى يقتضي التوادد وضبط النظام
والسبب السادس المزاح والسابع الاستهزاء اما المزاح فظ
واما الاستهزاء فهو استخفاف نفوس الناس والتمسخر بهم وهما
مع قلة الفائدة مستبعان لثلثة امور احدها انهما مسلبة للبهاء
اذ كم من دعابة بسبب عرض اخيه وكم من سخرية يسلب وقاره فيه
يحكي ان ابا نواس كان يمشي في سكك بغداد وهو غلام صبي اذ مر
به الفرزدق وهو رجل شيخ قال له ما يصنع الحور بين الدور فقال
ابو نواس على الفور ما يصنع الشيطان بين الصبيان وانت خبير
بانه لو سكت الفرزدق لكان لعرضه اسلم ولكن البادي اظلم و
ثانيها انهما مجلبة للاعداء لانهما يولدان الحقد اذ كم من دعابة خفيفة
ومزاحات لطيفة ومطايبات شريفة شاهدناها من بعض الظرفاء تتدرج

في الزيادة قليلاً قليلاً الى ان ورثت وحشةً ومراءً وعداوةً و
بغضاً وكذا الاستهزاء يعرض نفسه للمذلة والهوان ولا يبالي بما
سمع من الفحش وشتم الاقران ويبلغ به السخرية والاضاحيك الى الحال
المستبشع والامر الركيك وثالثها ان ما ذكر من الامرين قاطع
للنظام كما عرفت واعلم ان الاستهزاء قد يتوسل به الى المطالب
الخبيثة من اسباب المعيشة ولهذا ابغضها الحق العزيز النفس
لانه يقع من خفة العقل وقلة اعتناء صاحبه بامر النفس قال الله
حكاية عن قول موسى في جواب اتتخذنا هزواً قال اعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم
من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم وعلاجه البحث والتفتيش
عن شرف النفس وكرامتها ليبعث له الاعتناء بشانها وملازمة
افعال الاحرار وتعلم العلوم الحقيقية فانها تورث الجد وتحدث
خطر النفس ووقعها واما المزاح فما كان من طيب النفس وعلى
سبيل الظرافة مرعياً فيه الاقتصاد فلا باس به بل كان محموداً
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يهزل وقيل له انك
تداعبنا يا رسول الله قال اني وان داعبتكم ولكن لا اقول الا
حقاً ولقد تتبعنا ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في امر المزاح
فقد بلغ اربعين حديثاً وجعلناها رسالة ولم نجد زائداً على
ذلك مع شدة تنقير وتفتيشنا عن ذلك وايضاً كان علي
كرم الله وجهه مزاحاً حتى قال ابن العباس ما اخلفك بالامامة
لولا الدعابة فيك وقال سلمان كان يفتش ورماه علي كرم الله وجهه

بالرمل من حيث لا يراه وتتبّع سلمان ولم ير احداً ورمى اخرى وتتبّع هو ايضاً
مرّة اخرى وهكذا الى ان لبس سلمان ثيابه ورأى عليّاً كرّم الله وجهه
وحين رآه قال ذلك ولمّا وجب الاحتياط في رعاية القصد وكان
ذلك صعباً جدّاً اذ ربّما يعتاد النفس حدّ الافراط قال ومن عجز عن
الاقتصاد في المزاح فليتركه بالكلّية حذراً عن الوقوع في طرف الافراط
والوقوع في الكلام الفاحش متدرّجاً اذ الوقوف على حدّ الاعتدال مستعسر جدّاً
والسبب الثامن الغدر وهو مخادعة الناس عن مقاصدهم من المال
والعرض والجاه وغيرها قال الله تعالى في ذمّ المشركين لا يرقبون في مؤمن
الّاً ولا ذمّة اولئك هم المعتدون وقال النبي صلعم لا ايمان لمن لا امانة
له ولا دين لمن لا عهد له والتّاسع الضيم وهو اذى الغير على وجه الانتقام
فهو من باب الظلم والله لا يحبّ الظالمين واعلم انّ عاقبة الظلم وخيمة و
موقعه قبيح فانّه يحطّ اوّلاً عن رتبة النبوّة كما قال الله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وثانياً عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثاً عن رتبة
السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعاً عن نظر الخلائق
جبلت القلوب على حبّ من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامساً
عن حظّ النفس وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله درّ القائل
لا تظلمنّ اذا ما كنت مقتدراً ۝ فالظلم آخره يأتيك بالندم ۝ نامت
عيونك والمظلوم منتبه ۝ يدعو عليك وعين الله لم تنم ۝ وقيل اتلعب
بالدعاء وتزدريه ۝ وما يدريك ما صنع الدعاء ۝ سهام الليل لا تخطي
ولكن لها امد وللامد انقضاء ۝ ثمّ اشار المصنّف الى علاجهما بقوله وهما
اي الغدر والضيم لمتاع الدنيا يعني ليتفكّر في خساسة المطلب منهما

فانّ

فانّ الغاية القصوى والفائدة العظمى منهما حصول متاع الدنيا
وهو قليل والآخرة خير لمن اتّقى ولا شكّ انّ مطلوب كلّ واحد
اقلّ من القليل بالنسبة اليه وقد يفضي الى اعظم المفاسد وذلك
لانّ الغدر منشاؤه محبّة الدنيا حتّى يختار الدنيا على الصديق وهو
اردأ اصناف الغدر مع انّ الدنيا في معرض التغيّر والزوال وحبّه
راس كلّ خطيئة فلا يحسن اختياره على اخوانه واصدقائه الذين
يعاونونه ويظاهرونه على الدوام فيؤدّي الى تبديل الفاني على الدائم
وهذا من اعظم المفاسد وايضاً من لم يترجّح عليه الصديق عند
الموازنة بملك الدنيا فليس من الصداقة في شيء وماله في الخلّة من
خلاق بل هو من اهل التلوين والنفاق وامّا الضيم فصاحبه
ربّما يلتذّ باذى الناس من غير ان ينتفع به ولا يخفى انّ ذلك من
قساوة قلبه فيذوق وبال امره فايّ مفسدة اعظم منه الّا اذا
كان تركه يؤدّي الى ضرر عظام في الدين والدنيا وان اراد احد
قبح الغدر والضيم فليفرضه اي فليفرض ما وقع من الوصفين
من غيره معه اي مع نفسه فحينئذ كيف يعرف قبحه فلعلّه يتنبّه او
يتذكّر فتنفعه الذكرى والسبب العاشر طلب ما تنافس فيه
من الجواهر الثمينة والاشياء العزيزة الوجود فهو يتولّد من سقطات
زخارف الدنيا وذلك لعدم تشرّف النفس من الجواهر الباقية قال
الله تعالى انّما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض ممّا يأكل الناس والانعام حتّى اذا اخذت
الارض زخرفها وازّيّنت وظنّ اهلها انّهم قادرون عليها اتيها

امرنا ليلاً او نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس وعلاجه النظر
في فوائدها وتبعاتها وموازنة السعي في طلبها وحفظها من الآفات
بالتمتع بها والى هذا اشار المص بقوله وسع حقارتها وخساستها
كما علم فيها من تكثير العدو وتهيجهم على الكيد فصاحبها يصرف العمر العزيز
وينفق اوقاته التي لا بدل لها اصلاً الى شيء يكثر اعداءه وحساده
فينغص عيشه ويكدر وقته على ان طبيعة الكون والفساد تقتضي
تبديل احواله وتبديل بزته وجاله فيذهب بهاؤه ويؤول آخر الامر
الى فنائه فالساعي في طلبه هو الساعي في تضييق عيشه وتضييع عمره
واعداد اسباب هلاكه وايضاً انها لا تغني عن صاحبه عند الحاجة شيئاً
من الامداد لانها ان قبل ايجاد ما لم تتركك لا تلذ عيشك ولا يصفو خاطرك
لانها لم تخلصك في الحال من فاقتك ولم ينفعك في الوقت من حاجتك
لان رغبات اكثر الناس في امثالها فاترة وانها ان بقيت لك على
تقدير سلامتها من النهبة وخلاصها عن شرك الطلاب المتغلبة لكنك
لم تبق لها بل تتركها بالآخرة لوارث كما قيل . بشر مال البخيل
بحادث او وارث واذا تفكر من له لب في هذه الزواجر لعله
يترك الجزع والغم لمن يتركه بالجبر والرغم ولما فرغ المص عن فروع
الغضب وبيان طريق قطع اسبابها وحسم موادها اراد ان يبين
كيفية تسكين الغضب بعد الاهتياج وما لا بد فيه ويحتاج لانها من
اصعب الامور وقد عجز عن علاجها الجمهور فقال واما الغضب بعد
الاهتياج فيضعف من جهة الدفع والعلاج لستره العقل بدخانه المظلم
لانه سبب لغليان الدم فينبعث من احتراقه الابخرة الكثيفة و

يتصعد

ويتصعد الى الدماغ ويكاد يزعج العقل والروع عن ادكارهما ويحول بينهما
وبين اوطارهما ولا شك انه لا اصعب في الدنيا من انهزام السلطان
وغلبة جنود الشيطان وما احسن ما قيل ان الغضبان في حالة الغضب
حالة الاهتياج لا يقبل العلاج والمجنون قد يقبل وقد مر مثل هذا الكلام نقلاً
عن بعض العلماء والى ذلك اشار المص بقوله وكل ما قرب منه اي من الغضبان
يكون كالوقود له فيمده ولا يميته ويديمه ولا يفنيه وربما ينفع للغضبان
في تسكين غضبه واطفاء لهبه تغيير الهيئة كتبديل ملبوسه الى الاخف
والاطيب وشرب الماء البارد لان الغضب من الحرارة كما قال النبي عليه السلام
ان الغضب من الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء
فاذا غضب احدكم فليتوضأ رواه عطية بن عروة السعدي وينفع النوم
ايضاً لما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليجلس فان ذهب
عنه الغضب والا فليضطجع رواه ابو ذر رضه وقد يكون من الشهوة
اذا منعت لان اوعية المني اذا امتلأت واخذ الى الدماغ يتولد منه
العشق والجنون وهما مولدان للغضب وقد يكون الغضب
من الشره لان صاحبه اذا حرم من مشتهاه هاج به الغضب وحمل على من
يبعده عنه وربما ردات كيفية حتى يشتم البهائم والجمادات كالسحاب
والمطر وامثالها بل يشتم الاموات وقد يشتفي بكسر الاواني والآلات
وضرب البهائم والاموات ومن جملة علاجات الغضب ان مشاهدة
هذه الافعال الحاصلة من الغضب واستهجانها من غيره تنبيه على قبحها فان
الانسان قلما يدرك قبح فعله واذا شاهده من غيره يعافه ويكره ارتكابه
ويتعجب في عينه الاقدام عليه فيمتنع ولا ينظر اليه لان السعيد من اتعظ

بعجزه ثم ان للغضب لواحق واعراضاً كثيرة لم يذكرها لظهورها لكن نحن
نعد عليك اصنافها وهي سبعة الندامة والكآبة وشماتة الاعداء
ووقوعه في معرض الاستهزاء واداء فعله الى الامراض والادواء ومقت
الاحباء وشماتة الاعداء واما الجبن فهو ضد الغضب وهو الاحجام
عما يجب عليه الاقدام وهو مرض ردي غاية للرداءة واعراضه جزئية
عشرة والصنفية ثلثة اما الصنفية فهي ما ذكره المص بقوله يتبعه
الذل والاختلال وانهتاك الحرمة ويلزمه ايضاً وقوع الخلل في المهمات
والمصالح والطمع الفاسد من الظلمة وغيرهم في ماله وسوء العيش
وعدم الثبات والصبر في المساعي ومحبة البطالة ويكون كالعضو
الماووف يحل كل عضوٍ ضيم عليه ويدفع اذاه اليه وعلاجه الخوض في
المخاوف والاقدام على المعاطب والمهالك والشروع في الفتن
والحروب الهائلة والخطوب الصعبة قال علي بن ابي طالب رض اذا
خلت وتحريك ودواعي الغضب وتهيجه قليلاً قليلاً حتى يتحرك
الوسط وبالجملة التزام التهور الى ان تحدث الشجاعة ثم الثبات
عليه ومما يجري ذكر وجوب الموت وانه عاقبة كل حي ان مدة
العمر لا محالة منقضية والآجال مقدرة فكيف يختار العاقل
القعود على الهوان مع علمه بانه لا سبيل الى بقاء الابدان وان
المحذر عن الموت المحتوم لا يؤخره عن الوقت المعلوم واما الخوف
فهو توجع النفس من توقع مكروه وتنتظر وقوعه قال الله تعالى
انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم
مؤمنين وهو مرض ردي لا يخلو صاحبه من نقصان عقل و

وقصور

وقصور نظرٍ وذكر ان المكروه المنتظر اما ان يجب وقوعه او يمكن
فان كان الاول فليعلم انه لا بد من وقوعه اذ لا قدرة لاحدٍ على دفع
ما يجب ولا يفيد خوفه الا استقبال البلاء وتعجيل العناء والتزام
الم المكروه قبل حدوثه لانه كلما شاهد نفسه وجدت ذاته محجوراً حائلاً
بينه وبين تحصيل اسباب معاشه ومعاده وان كان ممكناً فاما ان
يكون وقوعه بسبب فعله اولا فان كان وجب عليه الاحتراز عما يكون
سبباً له وهو ما ذكره المص ويترك اسبابه ان امكن لانه اذا علم
ان الممكن المتساوي الطرفين بحسب ذاته لم يترجح احد طرفيه على
الآخر بسبب وعلم ايضاً ان سبب فعله يجب عليه ان لا يشرع في امرٍ
يتولد منه تبعات مستكرهة وفضائح مستكرهة لانه اذا امتنع
عن فعله علم امتناع وقوعه بلا سبب امن من الخوف والا فالتوطين
اي اذا علم ان سببه ليس فعله فليعوضه من الواجب فعليه توطين
النفس على ما قدره الله تعالى والرضا بقضائه على ان الاشتغال
بهمه وانتظار وقوعه لم يزده الا الصرف عن مهمات الاخروية
ومصالحه الدنيوية وخسار العاجل وهلاك الآجل والحاصل
ان الامر الذي يخاف منه ان كان ضروري الوقوع كالموت فلا حذر
عنه فلا فائدة للخوف وان كان بخلافه فاما انه ممتنع كالخوف
من اهلاك الموت اياه فلا معنى للخوف عنه واما ان يكون ممكناً
فحينئذٍ اما ان يكون احد طرفيه موهوماً فلا يخاف منه واما مظنوناً
فان امكن دفعه فيباشر ذلك والا فيلحق بضروري الوقوع
فلا حذر عنه واعلم ان من اكثر انواع الخوف وقوعاً خوف الموت

فصل في دفع خوف الموت

وهو داء قلّما يوجد احد لا يبتلى به قال الله تعالى ان زعمتم انّكم اولياء لله من
دون النّاس فتمنّوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنّونه ابدا بما
قدّمت ايديهم ومنشأه الجهل والحيرة لانّ الخوف امّا ممّا قبله من
ترك الاهل والاموال والاولاد او من نفسه من شدّة اهواله وسكراته
او ممّا بعده من ابهام المعاد وحلول العقاب امّا الاوّل فهو من الجهل
بمنفعة اسباب المعاش وسرّ القدر وذلك لانّه اذا استعمل
فكرته وجدّد بصيرته علم انّ التّوبة في الحيوة والتّملّك ما انتهت
اليه الّا بموت الاسلاف اذ لو بقيت القرون الاولى لما وسعتهم
الارض ولم ينتقل امكنتهم واسبابهم اليه ولو امكن بقاؤه لامكن
بقاؤهم ولو بقوا ما وجد هذا الشّخص فبقاؤه يستلزم فناءه
وايضًا تلك الاموال ليست له بل لله مالك الملك ربّ العالمين
قسم الانتفاع بها والتّصرّف فيها بين عباده على مقتضى حكمته
ووفق مشيّته ومالكيّته لها نسبة مخصوصة عرضت لها بالقياس
اليه وتبدّل النّسب لا يضرّ المنتسبين ابدًا وامّا الاهل والاولاد
فذلك فليس بسعي العباد بل بتقدير العزيز العليم فايّ ضرر في
لحوق هذا الفوق العميم وامّا الثّاني فلانّ النّفس جوهر مجرّد والبدن
آلة لها في استعماله في تكسب الادراكات والافعال وظ انّ ذي
الآلة لا يتضرّر بخراب البتّة بل الموت اخو النّوم الّا انّ الموت
ترك البدن مع عدم امكان التّصرّف فيه والنّوم مع امكانه
فلا شيء يخاف منه في الموت وامّا ما تراه من الاهوال والسّكرات
فذلك ليس من عوارض الموت بل هي من عوارض المرض ومعلوم

ان

انّ الالم هو الاحساس بالمنافي وانّ اجل الموت لم يبق الاحساس
اصلًا فلا يبقى الالم بل الموت سبب للرّاحة عن الآلام كالغشي
والخدر عند الاوجاع الشّديدة وامّا الثّالث فان كان خوفه
من العقاب فليتدارك ما يؤدّيه من الاسباب بالامتناع عن
السّيّآت والزّلّات وما يبقى اثره في النّفس من الذّنوب
والعثرات وتزكية النّفس من الرّذائل وتحليتها بالفضائل
وان كان خوفه من الحيرة في المعاد وبجهل بحاله بعد الممات فخوفه
من نقصانه وجهله لا من الموت وهو الخطب العظيم والهول الفظيع
وهو الّذي يختار في دفعه الحكماء المتألّهة والاولياء المتصوّفة
ترك الرّاحات واللّذّات واثروا عليها السّهر والنّصب والكدّ
والتّعب في تحصيل العلوم الحقيقيّة والمعارف الالهيّة حتّى امنوا
من هذا الدّاء المهلك والفزع الموجع قالوا الحمد لله الّذي
اذهب عنّا الحزن انّ ربّنا لغفور شكور الّذي احلّنا دار
المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب
واعلم انّ الموت الّذي تفرّون منه فانّه ملاقيكم ومع ذلك
فلا ضرر فيه على المسلم اصلًا فيه منافع ومطالع وذلك لانّه
قنطرة الآخرة الّتي اعدّ فيها للصّالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وايضًا وفيه تحقيق لمعنى
كلّ من عليها فان واعلام لبقاء الله العظيم الشّان وايضًا
المؤمن يتطهّر في القلب من المعاصي كما يبقى الذّهب في النّار واذا
عرفت انّ الموت ليس فيها الم فاعلم انّ الموت الكلّي والالم

الحقيقي هو الجهل والخسار السرمدي بتبعته واما الراحة الحقيقية والحياة
العقلية هو العلم والبقاء الابدي بثمرته ومن ذاق لذة العلم وحلاوته
فارق زينة الدنيا وطراوته ونزع نفسه عن دار الفساد والبلى واتصل
بزمرة الملأ الاعلى فمات بالارادة قبل الموت بالعادة فحيي بحيوة لا ممات
بعدها ابدا وتنورت نفسه بنور المبداء الاول سرمدا ولا يزن العالم الاسفل
عنده جناح بعوضة في المقدار وانقلعت من الحضيض الادنى الى فلك الدوار
فكان مفارقا قبل الموت آمنا من الهلاك والفوت مبتهجا بلذة مشاهدة
ما في الغيب بريئا عن الشك والريب كما قال علي بن ابي طالب رضه
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وهو يرى كماله في موته فكيف يخاف منه
واما من ترجى تأخير الاجل من شدة الحرص وغاية الامل مع علمه بان البقاء
على الدنيا محال وان كل نفس على النقلة والارتحال فينبغي ان يتفكر في تبعات
الحيوة وعند ذلك يختار الممات كما قال الشاعر سئمت تكاليف الحيوة
ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسأم لان ذلك يستلزم ضعف
الشيخوخة وسقوط القوة والابتلاء بمفارقة الاحباب ومجاهدة ~~الا~~
الاوصاب فهو كمن يتمنى مرضه وطول عذابه وربما ينوب الانسان
نائبة يتمنى معها مماته كما قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
اذا عاش امرؤ ستين عاما فنصف العمر تمحقه الليالي ونصف النصف
يمضي ليس يدري تقلبه يمينا عن شمال وثلث النصف آمال وحرص
وشغل بالمكاسب والعيال وباقي العمر اسقام وشيب وهم بارتحال
وانتقال فحب المرء طول العمر جهل وقسمته على هذا المثال وانما اطنبنا الكلام
في هذا المقام لكونه بلية عامة وداهية دهياء قد طار من ذلك عقول

العقلاء

العقلاء والله حسبي وكفى به وكيلا واعلم ان الامراض الحاصلة من
قوة الجذب فثلثة وهي الحرص والبطالة والحزن اما الحرص فهو من
جنس الافراط في الشهوات وطلب الالتذاذ بها ولا شك في كثرة اعراضها
مع ردائتها لان صاحبها يكون ذليلا قصير الهمة كثير الهم لان همه في
عموم الاوقات معقودة بتدبير قوته البهيمية يستنفد وسعه في خدمتها
ويستجمع فكره في لذتها والخادم اخس من المخدوم فهو اخس من البهائم
فيعالج بالتفكر في مشاركة الحيوانات كالفيل والخنزير ونحوهما في قضاء
الشهوات من المآكل والمشارب والمناكح فان تلك الحيوانات ما حازت
شرفا بكثرة استعمال القوى المدركة في ملاذها ويعالج ايضا بالتفكر
في قلة لذتها لان تواتر ورود المذوقات على الذوق يكل الحس
وينقص الذوق وخصوصا اذا اشتوقت النفس وقت استعمالها
الى ما هو الذ منها وبالتفكر في قصر مدتها اذ المآكل والمشارب ينفد
لذتها سريعا ولا يدوم الا الى بلوغها اصل اللسان ثم يتولد منها
امراض مثل الهيضة والتخمة والعفونات الحادثة من السدد والامتلاء ئيّة
وغير ذلك من انصباب المواد المجتمعة من فضلات الغذاء الى الاعضاء
وايضا الاستكثار منها يورث البلادة ويثقل الحواس كما قيل البطنة
تذهب الفطنة واما المناكح فمدة لذتها من وقت انفصال المني عن
اوعيته الى اندفاقها في الرحم ولا يخفى ان ذلك مدة قصيرة ثم يحصل منها
كلال البدن واتعاب القوى ودفع الكيموسات الصالحة التي هي غذاء
الاعضاء وصرف الرطوبات الاصلية التي هي دعامة البدن و
تحليل الحرارة الغريزية التي هي مركب الروح الحيواني وآلة الطبيعة

في نحر فانها وبالتفكر في خساسة المطالب لما فيه الشركة مع البهائم
والخسار في المال والدين والهلاك في النفس والعقل مع ان صاحبها
مهان غير وجيه وبالتفكر في استخراج حكمة القوة الشهوية التي خلقها
الله تعالى لدفع الم الجوع وحفظ بدل ما يتحلل ليتقوم به البدن وينسد الرمق
وايضا قوة الجماع مودعة في الانسان لابقاء النوع وتكثير سواد الاسلام
لا للتلذذ بقضاء شهوة الوقاع على اي وجه كان وعلى اي طريق وقع
من الطرق المنهية في الشرع والمذمومة في العرف وانما هو ليرغب فيه
طبعا لئلا يتسنى لبعض الجاهلين ما سولت انفسهم من داعية
الاعراض عن الاولاد واختيار الرهبانية وايضا قوى اسباب الشهوة
تسويل النفس الامارة وتخييلها لصاحبها ما شاءت من المشتهيات
وتزيينها المناكح وسائر المستلذات كالحرص على استبدال الزوجات
واختلاف المنكوحات والميل الى تتبع النساء والتلذذ بانواع
شمائلهن والتمتع باصناف فضائلهن ولهذا يكون اكثر علاجه اجالة
الراي الصحيح عند تسويلات النفس الامارة فيما يرغب فيه من الهوى
ليتنفر منه ويستضعف لذة مشربه ومطعمه ويستهجن التلوث بالنساء
والاشتغال بالعمليات من العلوم الدقيقة التي يستوعب تحصيلها
الاوقات وغيرها مما يلهي النفس عنها اي عن تلك التسويلات من
ملازمة الطاعات والعبادات خصوصا اقامة وظائف الصلوات
قال الله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وادامة الصيام
فان الصوم له وجاء والاجتناب عما يغري اي يحث بها اي بالشهوات
من المقدمات المعدة لها كصحبة اصحاب الحرص مثلا بل عليه صحبة الاعاجب

والاكارم

والاكارم وقد يستعان عليها بالترغيب في الجاه والحشمة والمكارم و
بالصبر على الصوم والجوع وقد نقلنا ضده فيه المعقول والمسموع واعلم ان من
اردأ انواع الحرص العشق الحيواني وهو صرف الهمة الى طلب النكاح
من شخص معين ولا يصدر الا عن ضعاف العقول وركاك الهمم
وربما يؤدي الى هلاك النفس والبدن وعلاجه صرف الفكر عن شمائل
المعشوق والنكاح مع غيره والنظر الى من هو فوقه في الحسن والاشتغال
بما يحتاج الى دقيق فكر ولطف نظر من العلوم والصناعات لينجذب عن
جانبه ومواظبة مجالسة العلماء والظرفاء والخوض معهم في النكت و
اللطائف والتجنب عن كتب تنشئ الخيالات الفاسدة والاحتراز
عن حكايات العشاق واشعارهم والكف عن الوحدة ثم الايغال في
السفر الى حيث ينقطع عن معشوقه خبره وييأس عنه الوصال حتى يسلو عنه
بهذا الحال وينبغي ان يعلم ان هذا العشق غير العشق العفيف الذي
هو الابتهاج بشمائل المعشوق والتبجح بحركاته وسكناته كما قيل العشق
عمي الحس عن عيوب المحبوب فان ذلك من لطافة الطبع وصفاء النفس
وهو محمود وغاية المحمدة معين على تجريد النفس عن علائق الطبيعة لانه
يجعل الهموم المتفرقة هما واحدا ولا يخفى ان المانع من العشق الحقيقي
للواحد الحق الذي هو غاية الغايات ونهاية كمال الموجودات هو العلائق
البدنية والشواغل الحسية والكدورات الهيولانية فاذا انحصر
بالعشق المذكور تلك العلائق في واحد يكون هو قنطرة الحقيقة
ومأخذ السعادات الحقيقية قال الشاعر العاشقون على ثلثة اضرب
ضرب يرون مكارم الاخلاق واما البطالة فهي ادواء وجماعة عشقوا

الصباح وفرقة لا يرتضون سوى هوى الخلاق واما البطالة فهي
اردأ انواع الرذالة قال الله تعالى أفحسبتم انما خلقناكم عبثا ثم ذكر
تبعاتها فقال مقتضاها من الاعراض واللواحق كثيرة لكن اكثرها
لزوما هلاك النفس آجلا باهمال رعاية مصالح المعاش والقعود
عن اكتساب سعادة المعاد فالآلام الحاصلة منها هو هلاك نفوس
العباد وهلاك البدن عاجلا لمخالفة حكمة الله تعالى في ايجاد الانسان
ومعاندة حضرته في افاضة الجود والاحسان كاختلال مهماته وواجباته
من القيام بمصالح الاهل والاولاد الموجب فقد عدم بقاء النوع والنسل
الذي هو هلاك بدني معنوي وايضا هو اي الكسل تشبه بالجماد
بل اخس وانخراط في سلك هذا النوع لجامع فقدان التدبير والتصرف
وكذا ابطال الحكمة في خلقه هو القيام بما يفيد انتظام ولا شك ان
التقاعد عن ذلك ابطال للحكمة في خلق العباد وكذا التقاعد عن معرفة
احوال المبدأ والمعاد وذلك خسران عظيم وعذاب اليم لا يسد احد
ثلمته ولا يجبر شيء كسرته ثم ان المص اشار الى علاج البطالة بقوله
فليجالس ارباب الجد والكد مداومة فكرته في بلوغ هذا الحد وتحريك
دواعي الجاه والرفعة وتزيين تحصيل الثروة والسعة الى ان اهتاجت
قوته واقبلت على طلب الفضائل قريحته فيتأمل آثاره
اي آثار الجد ومنافعه من فوز اربابه بالسعادات الفاخرة في
داري الدنيا والآخرة ويسمع حكاياتهم اي حكايات ارباب الجد
مما يحرك رجوليته بالرأي الصائب ويغريه على طلب المعالي والمكاسب
وبلوغ الرفعة والمناصب ويسمع مذمة اهل الكسل عند الله ورسوله

وعند الناس

وعند الناس كافة وسوء عاقبتهم في الدارين فان هذه الامور من الخسران
المبين ولعل عند تتبع عند حال المتعطلين وذمهم وتحسين امر المجتهدين
ومحمدتهم تتنفس نفس هؤلاء وتنتعش عند استماع ما تلك الاشياء
وكذا يتذكر ما تجره البطالة من الاشتغال بما لا يعني الذي هو من حسن
اسلام المرء تركه لان صاحبها لا يمكن ان يستقر في موضع ابد الآباد
ويلازم مبتغا واحدا كالجماد بل يتحرك بمقتضى هواه في طلب ما يشتهاه
بل قد يشغل الناس من مهماتهم ويصرفهم عما توجهوا اليه من طلباتهم فقده
خير من وجوده واما الحزن فهو تألم النفس من فقد المطلوب او فوت المحبوب
قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان الاولياء
لا يحبون الا الحي الباقي فليس لهم فقد المطلوب قال عز وجل لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ومنشأه توقع حصول جميع المطالب من المستلذات
الجسمانية والمشتهيات الدنياوية وتوهم بقائها وكثرة التشعف
وشدة التبجح بشأنها وهو قريب من مفهوم الحرص وهوى هذا التوقع
والتوهم جهل وتشكك النفس في الضروريات لان المشاهدة حاكمة
بعدم حصول جميع المطالب في الاعم الغالب وايضا الضرورة
حاكمة بطبيعة الكون والفساد وآن ورائها امر المعاد لان العاقل
لو انعم النظر علم ان كل ما تركب من المختلطات واجتمع من المتقابلات
بقاؤه قسري وفناؤه طبيعي وغلبة الطبع على القسر ضرورية
فتتفطن استحالة دوام بقاء مركبات هذا العالم وتيقن بطلانها
قال النبي صلعم من صح فيها سقم ومن سقم فيها هرم ومن افتقر فيها حزن
ومن استغنى فيها فتن وقال الحسن البصري رضه ان الدنيا احلام نوم

او كظل زائل ان اللبيب مثلها لا يخدع وتذكر قول رسول الله ولا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين ثم اشار المصنف الى علاجه بقوله فليتوجه صاحب
هذا المرض الى الباقيات الصالحات وهي الخيرات التي شموسها بازغة في
ليل الدنيا ونهار الآخرة ولا يغرب ابدا الا عند خفافيش عرضة الجهالة
فعليه بالتمييز بين الدائم الباقي وبين الزائل الفاني واتخاذ الاول
واطراح الثاني واقتناء ما صفا من الصور القدسية وانتزاع ما كدر
من الموجودات المادية والاجتناب عما يقتضي وجودها عدمها وبقاؤها
يستلزم فناءها الا بقدر الضرورة من الاقتصار على الكفاف والتراي
عن التشاف والاقتداء بحال الطيور تغدو خماصا وتروح بطانا والاعتبار
بما تراه من احوال الحيوانات عيانا ومجال من سعى ودعى وجمع واحتوى
ثم ترك ومضى وكيف يصرف العاقل همه ويبذل وسعه فيما عدمه واجب
وبقاؤه ممتنع ويرفض ما لا يمكن زواله ويستحيل تغيره وانتقاله و
هل هذا الا صنيعة الغمر وفعل الجاهل الغر والعاقل يرى عواقب الاشياء
ولا يجزع من المصائب والجاهل لا يتدبر في الامور ويضطرب عما يفجأه
من النوائب وكم من محزون يعود الى السلو والاصطبار بالاضطرار
فعليك ان تجعل اول امرك آخره مع بصيرة واعتبار وتنفي عنك
الحزن بادئ بدئ بالسكينة والوقار كما قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
اصبر صبر الاكارم والا فسل سلو البهائم قال الشاعر: وذو الجهل
يفعل ما ذو العقل يفعله في النائبات ولكن بعد ما افتضحا وكل
من تفكر ان مواهب الدنيا عواري اعطاها الله تعالى للانتفاع بها
لم يحزن باسترجاعها ولم يغتم باستردادها خصوصا اذا اكتسب بها

سعادات

سعادات تبقى ابدا وكرامات تدوم سرمدا واعلم ان المصنف لما فرغ
من الاغراض الاولية للقوى الثلث شرع في ذكر متولداتها وهي سبعة
الاول الحسد وهي تمني استجماع جميع الخيرات مع ارادة زوالها عن الغير
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب ومنشاؤه الحرص والجهل بان استيعاب جميع الخيرات لواحد
من الناس ممتنع عقلا والعاقل العالم بامتناع الشيء كيف يطلب حصوله
واما تولده من الحرص فلانه اذا رأى ان كل احد حائز بما في يده يحكم بانهم
يمنعون من حصول مطلوبه لجهل من عنده فيتولد من ذلك الحرص المفرط الى زواله
عن اجرائهم بسبب من اسباب الزوال من الموت والنهب والقتل الى
غير ذلك من الاحوال وهذا هو المراد بالحسد قال بعض العلماء القوى التي
يأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلثة الشهوة والغضب والهوى
الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية والشهوة آفة لكن
الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال الله تعالى وينهى
عن الفحشاء الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير
الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم الظلم ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله
ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله عز وجل والظلم الذي
لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه
هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب
العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه السبعة
في بني آدم خصلة سابعة الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان

هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور
الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع
الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس وههنا اسرار اخر تركناها لعدم احتمال المقام لتفصيلها
واثره اي اثر الحسد الحزن الدائم المبرح لان نعم الله تعالى غير متناهية للعد
والاحصاء وهو كل يوم في شان من الكرم والاعطاء وكلتا يديه بالخير
سحاء فاذا حزن صاحبه في كل خير ونعمة يلزمه الحزن الدائم والسخط اللازم
ومع ذلك لا ينجلي غمه ولا تنحل عقدته الى ان ينقضي عمره ومدته نعوذ
بالله من هذا الداء العظيم والخطب الجسيم واما علاج الحرص والجهل المذكور فعلاج
الحسد بعينه لان المسبب يرتفع بارتفاع السبب وشره اي اكثر
انواع الحرص شرا ما وقع بين العلماء في المطالب العلمية وذلك لان
المنافع الدنيوية بسبب انتهاء حوزتها وضيق عرصتها يتعذر اشتراك
الجميع فيها ولا ينال احد منها حظا الا بعد حرمان الآخر مخاطبها بما لا يريد
الا خير بالذات بل يكره ضرر الغير وانما يلزمه بواسطة اجتلاب ما يروحه
من الخير بخلاف المنافع العلمية اذ حظ واحد من العلماء لا يتوقف على
حرمان الآخر فانها لخلوها عن المادة معراة عن النقص والفوات قابلة
للتشريك والاتفاق لا ينقص بالعطاء والانفاق بل كلما انفقت
زادت لذتها وعمت منفعتها فالحسود فيها على شرة الطبع وطبع
السريرة فيكون من اقبح انواع الحرص نجانا الله واياكم عن هذه
الداهية الدهياء واعاذنا واياكم عن هذه الفتنة العمياء الثاني الغبطة
وهي طلب حصول جميع الخير له اي للطالب مع عدم توقع الزوال عن الغير

والعبد

والعقد الاخير هو المميز بينها وبين الحسد وهو اي هذا الوصف اعني
الغبطة محمود في السعادات الاخروية النفسانية وفي الامور الدنيوية
حرص مذموم وقد مر تفصيل الحرص وعلاجها علاجه الثالث الطمع
وهو توقع الخير من الغير بلا استحقاق ولا عوض قال رسول الله صلعم
بئس العبد عبد طمع يقوده وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اكثر مصارع
العقول تحت بروق الاطماع وهو اي الطمع ذل ينشا من الحرص والبطالة
والجهل بحكمة الله تعالى في الحاجات الى التعاون وصاحبه بعيد عن الحرية
متذلل لاراذل البرية معرض عرضه للدنية وكل طالب محتاج لمطلوبه
ومتعبد له من تلك الجهة فالطامع مستفيض من خاطب حطام الدنيا
فهو عبد عبد الحطام الذي هو اخس الاشياء ومع ذلك هو ارذل
العبيد واهونهم اذ لم يقم بحق خدمة سيده ولتقاعده عن اداء
حقوق نعمة قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الطمع رق
مؤبد وعلاجه النظر في حكمة التعامل والتعاون فان النظام يحصل
بالانتهاء عن كل ما لم يكتسب بنفسه حتى الهدايا والتحف وتشويق
النفس الى اللذات العقلية لتعلو الهمة عن الانفعاليات واخلاق
الاحرار واستماع حكاياتهم وامثالهم مثل ما روي عن علي رضي الله عنه
المنية ولا الدنية والتقلل ولا التوسل وقيل الحر من لا يتوكل
على الله تعالى اي لا يطلب ما لا يستحقه بل يعلم ان كل ما يليق به
ويقتضيه باستعداده موهوب له من حضرته الرابع الحقد
وهو غضب مستتر كامن في الباطن قال الله تعالى ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا او من لواحقه الشماتة وعلاجه اصعب من علاج الغضب

يزول بحضور الاخوة الحقيقية الثابتة بينه وبين المحسود عليه فان المواصلة
الغريزية بين كل شخصين من نوع ثابتة قال الله تعالى فمن عفي من اخيه شيء فينبغي
ان يعتبر الاصل وما بينهما من الوصل ويقطع النظر عن العارض الغريب الذي هو
سبب لحقد اللهم الا ان يكون امرا لا يجوز الغاؤه شرعا وعقلا الخامس
الكذب وهو اخبار غير مطابق للواقع قال الله تعالى ويل لكل افاك اثيم وهو نشأ
من عدم النطق لافادته اعتقادا غير حق وربما جلب مضار من النميمة والبهتان
والسعاية والغمز بل الصدق احد اركان نظام العالم ولو فرض مرتفعا
ارتفع نظامه وانقطع بقاؤه ودوامه وهو اصل جميع المحمودات وركن
بناء النبوات ونتيجة التقوى ومدار امر الفتوى وهو السبيل الى الخيرات
وذريعة ولولاه لبطل احكام الشريعة واسبابه كثيرة اغلبها التوصل به
الى منفعة خسيسة فليذكر لعلاجه شناعته من المذمة اذ كل احد ينفر عنه
طبعا وكذا الكذوب لا يرضى بنسبة الكذب اليه بل يتأذى وعدم الاعتماد
على كلامه حتى لا يلتفت الناس الى كلامه اصلا والاستخفاف من الناس
فيذهب وقعه وبهاؤه وايضا لا بد ان يتأمل ان خاصية الانسان
فضيلة النطق ومن اجل اغراضه اعلام الغير ما غاب عنه من الامور الواقعة
في احد الازمنة الثلاثة والكذب يفوت هذا الغرض وفوات الغرض يجعل
آلة الغرض عبثا ومن ابطل ما اودعه الله من الفضائل في الانسان يكون
من كفران النعمة في اعلى مكان وزادفا على هذا البطلان افادته اعتقادا
منافيا للحق في جميع الازمان والسادس والسابع ما اشار اليه بقوله
ومن العجب ينشأ الصلف ومنه النفاق اي اذا انضم الى الكذب
العجب يتولد الصلف قال الله تعالى ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا

ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وان اخبر
عن معتقده في حق الناس مظهرا لهم النصح فان كان مع استبطان شرهم
ومخالفتهم كان نفاقا قال الله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة
الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام وان كان بدون استبطان
شرهم ومخالفتهم كان رياء قولا كان ذلك الاخبار او فعلا كالحركات
الدالة على احوال الباطن والقول ان كان في غيبة الانسان يخص
باسم السمعة ويسمى الرياء مطلقا ان كان في المجلس وحدها واعلم ان من
جملة المتولدات البخل قال علي بن ابي طالب رضه البخل جامع لمساوي
العيوب وهو زمام يقاد به كل سوء وهو اما من مخافة الفقر فيزول
بالفكر في عواقب الاموال وصيرورتها الى الفناء واما لطلب الترفع
بالمال فتزول عند النظر في ان الرفعة للمال لا له بل هو خادم له وحارس
وفيما ذكرناه في باب المباهات كفاية واما لمناسبة ذاتية بما يعتني
به فيزول بالنظر في شرف جوهره وبعده عن الحيوانات في المرتبة
واعلم انك اذا اتقنت ما قيل في دفع كل رذيلة وتصفحت القوانين
الموردة في المعالجات سهل عليك استنباط البسائط والمركبات
من علل الامراض ومعرفة ما صعب عليك من المعالجات والاغراض
المقالة الثالثة في سياسة المنزل ليس المراد بالمنزل ما هو
المتعارف في العرف من القصور المشيدة والبيوت المنضدة بل المراد
به ههنا الاجتماع المخصوص بين اركان خمسة من الزوج والزوجة و
الولد والخادم والقوت لان العلاقة اما علاقة السببية الشرعية
فاما بين الرجال والنساء كالزوج والزوجة او اعم من ذلك كالمالك

والملوك او بعلاقة النسبية كالولد والوالد او ما يتوقف هذه العلاقات
عليه فهو القوت وتفصيل ذلك ان الانسان من بين سائر الحيوانات
لما احتاج في امر معاشه الى فضل عناية وزيادة تدبير وكفاية وذلك لكونه
اعدل الاشياء مزاجا واكملها جوهرا لم يكن تغذيه بالبسائط بل يحتاج
الى صنيعة ولا يتيسر ترتيبه في كل وقت وعدة فلا بد من كونه معدا عند الحاجة
من كل مكان يمكن ضبطه فيه وحافظ يحفظ وقت غيبته عنه في بعض فصول
السنة هذا بحسب الشخص واما بحسب النوع فلانه محتاج في تربية من زمان
ولادته الى زمان بلوغه الى مشقة ناصبة ومؤنة فادحة فلم يكف في تبعية
نوعه النكاح كيف اتفق بل لا بد من الازدواج على الوجه المرسوم والامر
المعلوم لئلا يختلط النسب ويرتفع التميز وينقطع تربية الاباء ووراثة
الابناء واذا كثر الاولاد وازدحم الاشغال وترتيب الاوقات مست
الاحتياج الى من يقوم بحفانة الاولاد من الاماء والعباد ولما وجب في
كل كثرة من وحدة ينتظم امرهم بها بتأليف وحداني لئلا يتفرق شملهم
ولينتظم بذلك شعثهم وجب من حافظ يراعي فيهم نسبة القاهرية والمقهورية
حتى يكونوا بمنزلة عضوله والرئيس بمنزلة الطبيب لهم بحيث يقصد
قصدا اوليا رعاية مصلحة الجمهور كنظر الطبيب الى اعتدال البدن ثم يقصد
الى حال الاحاد بمنزلة قصد الطبيب الى حال عضو عضو بحيث لو اضر حال
احدهم الى صلاح الجمهور بالزجر ثم الوعد والوعيد ثم القطع والقلع كما
يغذي الطبيب اولا ويعطي الدواء ثانيا ويعمل القطع والكي ثالثا عند
احتمال سراية الفساد الكلي وقد قيل اخر الدواء الكي والنظر في سياسة
المنزل في اربعة امور هي الاصناف الاربعة من الاقوات والزوجات

والخدم

والخدم والاولاد الصنف الاول وهو المال والنظر فيه في ثلثة اسباب
في الدخل والحفظ والخرج اما الدخل فما يتعلق بالتدبير دون الميراث
والهبة واللقطة التجارة والصناعة اي الانفع هذين والامهات
معايش الناس اربعة التجارة والزراعة والمواشي والصناعة
اما الزراعة فنباتها اكثر ومنافعها اندر والتجارة بالعكس واما
المواشي فبين بين والصناعة ادوم منفعة وان كانت اقل قليل
واقل آفة مما عداها والضابط فيه ان ما يتوقف على الايجاد والاحداث
بالكلية كالتجارة يكون آثارها اكثر لكثرة شرائطها وموانعها وامكان
انتفاء ما دونها بالكلية اعني البضاعة ومال يتوقف على الايجاد و
الاحداث بل على ايجاد هيئة خاصة في مادة خاصة فاما عملي اي
بمباشرة نفسه او استعمالي اي بمباشرة غيره وعلى كلا التقديرين
يكون مصونة عن الزوال لقلة الاحداث والايجاد وكذلك المواشي
من المتون والفروع والانتاج ويجب فيه اي في الدخل مراعاة
امرين احدهما العدل لحفظ المساوات في المعاملات والمعاوضات
وفي الوزن بالقسطاس المستقيم والاجتناب عن الخداع والتطفيف
في المكيال والاخر المروة وذلك اختيار الاشرف من انواع الحرف
وما يقرب من العفة والمروة والاجتناب عن الحرف الخسيسة وايضا
ينبغي ان يحافظ على الحرية في الاكتساب وايجاب اللوم والحرف ثلث
طبقات الشريفة والخسيسة والمتوسطة فالاولى ثلثة اصناف
الاول ما يتعلق بالعقل من حسن التدبير والراي الصائب
والمشورة وهو الوزراء واعيان الممالك والثاني ما يتعلق بالادب

منهم

والفضيلة كالبلاغة والكتابة والطب والنجوم وامثالها وهم الادباء
والفضلاء والثالث ما يتعلق بقوة الشجاعة من الفروسية وتنفير
العدو وسد الثغور وهم العساكر والامراء والثانية اما منافقة
لمصلحة الخلق كالاحتكار والسحر او منافية للفضيلة كالمقامرة والاطراء
او مقتضية لنفرة الطبع كالدباغة ولكنها ليست قبيحة عقلا لكونها من
الامور الضرورية اللازمة والثالثة ما يحتاج الناس اليه من الصناعات
الضرورية ولا ينفر عنه الطبع كالتجارة والحدادة وانفعها الزراعة واما
الثاني فهو الحفظ فهو تحصيل برعاية امرين اشار الى الاول بقوله جعل
الخرج اقل من الدخل بلا تقتير اي بلا اختلال في معيشة الاهل والعيال
واختار بعضهم مقابلة الخرج بالدخل ولقد روي عن بعض المشايخ
انه قسم ربعه على ايام السنة وانفق كل يوم نصيبه واشار الى الثاني
بقوله والحفظ بالاستثمار لئلا يتطرق الزوال الى المال في المال اما بالتدريج
وينبغي ان يحترز عما يتعذر نماؤه كالجواهر النفيسة وامثالها وان
يختار النفع الدائم وان قل على الاتفاقي وان جل والمتمول
ينبغي ان يقسم امواله بين ثلثة امور نقد ومتاع وعقار وجعل بعضهم
المواشي رابعا وهذه القسمة للاحتياط فان الآفات متعاقبة
فلعله يسلم واحد او اثنان عند فساد البعض واما الثالث فهو
الخرج واصناف مصارفه اربعة اما الاول فما كان في سبيل الله
وابتغاء لمرضاته كالزكوة والصدقة قال الله تعالى مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله الآية فليجتنب فيه اي فيما ينفق في سبيل الله تعالى
عن خمسة لئلا تحبط هذه الامور ما قصده من العمل الصالح يوم الحساب.

الاول الكراهة والاعطاء بغير تطييب النفس والاجتناب عن المن
قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والثالث الاجتناب
عن الاذى لما وقع في الآية المذكورة الآن والرابع الاجتناب عن الرياء
ولو قع الشكر قال الله تعالى او كالذي ينفق ماله رياء الناس الآية
والخامس والتخصيص بالانفاق من يكتم فقره لانه صعوبة حاله في غاية
الكمال ومرتبته مترتبة بلغت اسوء حال ومتى صعب حاله واشتد
الكمال بيان
فقره يكون الفرج عنه في غاية الفرح ويتحقق عنده ازالة الشح فيكون عند
الله مشكورا ويصير عمله مبرورا قال الله تعالى للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله تعالى لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف وقد زاد بعضهم شرطين آخرين احدهما ان
لا يرد السائل اصلا كما قال الله تعالى واما السائل فلا تنهر وثانيهما
الكتمان عن الخلق لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم
ولعل المص ادرج الاول في الاذى وعممه الرد والثاني في الرياء
اذ الاظهار عند الناس من الرياء عرفا واما الثاني فهو ما كان
في مروة وهي قوة للنفس تصير مبداء للافعال الجميلة المستتبعة
للمدح شرعا وعقلا وعرفا فالتعجيل لازم له فيما يصرفه في طريقها لئلا
يصير العزم فاترا آخرا ولانه اهنى للمتصدق عليه وقد قيل الرد
الجميل اولى من المكث الطويل وشرائط هذا القسم خمسة احدها ما
ذكره من التعجيل وثانيها الستر اي الكتمان لانه بالانجاح والكرم
اولى وثالثها التحقير اي تحقير ما يعطي وان كان من النفائس
او كثر ورابعها المواصلة لان الانقطاع ينسي النفس خصلته وقد

قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والمعنى ان الدائم
يصير خلقاً للنفس دون الكثير الغير الدائم من الاعمال ما يفيد الخلق
الحسن للنفس وخامسها اختيار المصنع اي محل الصنيعة وهي
الكرم والاحسان والمعروف قال الشاعر ووضع الندى في موضع
السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وايضاً يقع
في التبذير الذي هو من الرذائل واما الثالث فهو ما كان للضرورة
من دفع سفيه او ظالم صيانة للعرض والمال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما وقى المرء به عرضه كتب له به صدقة او جلب نفع وطلب ملائم كالماكل
والملابس واما شرطه فالاقتصار على قدر الضرورة فينبغي ان
يحافظ عليها ولا يتجاوز عنها واما الرابع فهو ما كان للحاجة من الانفاق
على نفسه واهله واولاده فالاقتصاد فيه لازم ما استطاع لئلا يقع
اما في البخل او في السرف والميل الى السرف لازم ان عسر عليه الاقتصاد
لئلا يقع في البخل شيئاً فشيئاً من حيث لا يشعر والسرف وان كان
عارياً عن الشرف كالبخل الا ان تبديل السرف الى الاقتصاد اهون
من تبديل البخل اليه اذ النفوس مجبولة على الشح والضنة واما
الصنف الثاني ففي سياسة الزوجات ليطلب بالتاهل امرين
احدهما النسل اي التوالد وثانيهما نظام المنزل من انتظام
امر المعاش ليتقوى بذلك على القيام بمصالح الدين لا لمجرد الشهوة
لخساستها والاشتراك مع سائر الحيوانات فيها وقد اشار المص
الى الصفات الثلثة التي لا مندوحة عنها في النساء فقال
والعقل لانه اصل الاصول قال النبي صلعم تخيروا لنطفكم فان العرق

نزاع

نزاع وقال صلى الله عليه وسلم الناكح غارس فلينظر اين يضع غرسه والعفة
لانها واجبة في حفظ النسب وصيانة العرض ومحافظة امر العزة
والحياء لوجوبه في الكل سيما النساء وهذه الامور لا بد منها لانهن
اذ لو نقص فيهن واحدة منها لاختل الغرض من التزوج وهو انتظام
وان زاد على الصفات المذكورة النسب والجمال والمال فاولى
مما تخلو عن هذه الزيادة بدون الصفات المذكورة فيكون واما
الاكتفاء بهذه الزيادة بدون الصفات المذكورة فيرجع الى اثبات
الفرع وابطال الاصل وانه قلب المعقول وعكس المنقول وخلاف
المنقول واما الجمال المفرط فليجتنب عنه البتة لكثرة الطالبين
اي من يرغب في الجمال وضعف عقولهن لقوله صلى الله عليه وسلم
انهن ناقصات العقل والدين فيؤدي الى الفساد والفاحش
لسهولة خلابتهن وكذا فليجتنب مجرد المال لانه يوجب تسلطها
عليه واستخدامها له فيؤدي الى الانتكاس ومخالفة القياس و
ينتهي الامر الى الاختلال في نظام المنزل قال بعض الفضلاء اجود
النساء ما كانت عاقلة عفيفة حيية عروباً بكراً او انسية
اجنبية مطواعة للزوج مدبرة للمنزل وان انضافت اليها الثروة
والجمال فقد تمت محاسنها وتناهت فضائلها وان فقدت
بعض تلك الخصال فالعفة والعقل اهم والاقتصار من الجمال
على اعتدال البنية وتناسب الاعضاء اولى لان الجميلة قلما تعف
لكثرة طلابهن وضعف عقولهن ويجب على الزوج بعد المواصلة
بالنكاح من مراعاة ثلثة اشياء الاول ايضاح الهيبة في نفسها

ليكون محترماً عندها فتنقاد لاوامره ونواهيه ولا تطمع في تسخيره ومطاوعته
اياها لكن ينبغي ان يكون ابتداع الهيبة باظهار الفضائل وستر العيوب
من نفسه وقلّة الانبساط لها والثاني تزيينها اي تجميل بزّتها وتزيين
هيئتها بما يناسب شأنها ويليق بجمالها مع سترها عن غير المحارم ومشاورتها
في الجزئيات باطلاق يدها في تصرّف امور المنزل من الاقوات وغيرها
لانّها نائبة في البيت ولا يشاورها في الكليات لضعف رايها فيكثر الخلل
والاختلال وكذا ان تترك المشاورة بالكليّة وتحكيمها في داخل المنزل مثل
امر المعاش وما يتعلق بذلك من المصارف لتطييب قلبها بقدر
الامكان وازالة الوحشة عن قلبها مع ان النساء اعرف بمصالح
البيت ومصارفه واكرام اقاربها وصلتهم فانّ ذلك يونس الزوجة
مع انّ له مدخلاً عظيماً في المروّة وانّ تركها ربّما يؤدّي الى الوحشة
بين الزوجين ودفع الغيرة عنها بان لا يستأثر عليها اخرى وان
كانت خيراً منها لانّ ذلك يهيّج غيرتها ويثور انفتها فتسوء عشرته
ولا يترخص في اكثار الزوجات الا للملوك ومن يجري مجراهم كما قال
خالد بن صفوان عند ابي العباس السفّاح في قصّة يطول
ذكرها انّ العرب انما اشتقت الضرّة من الضرر وانّ احداً لم يكن
عنده امرأتان الّا كان في ضرّ وتنغيص وانّ الثلاث من النساء
كاثافي القدر تغلي عليها ابداً وانّ الاربع شرّ مجموع لصاحبه وتهرّمنه
وتسقمنه وانّ ابكار الاماء رجال ولكن لا خصى لهنّ والثالث
شغل خاطرها بامور المنزل وكفاية مصالح المعيشة والاشتغال
بانواع التزيينات وتفرغت للخروج الى النظارات ويتولد منه انواع

المفاسد

المفاسد واختلال النظام وانتهاك الحرمة روي عن الحجاج انه قال
للوليد بن عبد الملك انما المراة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطيعهن
في ذلك جهو منك ولا تشغلهن بغير زينتهن واياك ومشاورتهن
فانّ رايهنّ الى افن وعزمهنّ الى وهن واكفف عليهنّ ابصارهنّ
بحجبك اياهنّ ولا تملك المراة من الامور ما يجاوز نفسها و
لا تطمعها تشفع في غيرها ابداً ولا تطل الخلوة معهنّ فانّ ذلك اوفر
لعقلك وابين لفضلك هذا ما ذكره وليجتنب الزوج ايضاً
عن ثلثة الاول فرط محبتها والا لاستولت عليه فيفوت السياسة
الثلث المذكورة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حبّك الشيء يعمي
ويصمّ وان ابتلي بها اي بالمحبة فليستره مهما قدر وان لم يقدر على
كتمانها فليعالج بما مرّ من معالجات العشق الثاني ولا يطلعها على
اسراره اذ لا امن عليهنّ في كتمان السرائر ولانّ تمليكهنّ السر
اليهنّ يجعلهنّ غالبات على الازواج ولا يشاورها في الكليات
لما مرّ من ضعف عقولهنّ قال النبي صلعم شاوروهنّ وخالفوهنّ
هذا في الكليّات واما الجزئيات فقد يشاورون فيها لتطييب
قلوبهنّ بهذا القدر مع الضرر التام في فوتها ويستر الزوج عنها
اي عن الزوجة مقدار ماله لانه ان كان قليلاً ربما يكون باعثاً
لاعراضها عنه لما قيل ٭ وان تسالوني بالنساء فانني ٭ خبير بادواء
النساء طبيب ٭ اذا ابيضّ شعر المرء او قلّ ماله ٭ فليس له من ودهنّ
نصيب ٭ وان كان كثيراً فربما تطمع هي من ماله ويكون باعثاً
لاختلال النظام او لتكليفها الزوج تكليفات خارجة عن المعتاد

لوقفها على كثرة المال الثالث وتجنيبها عن الملاهي لانها كثيراً ما
تهيج داعية الشهوات فيؤدي الى الفساد وكذا عن النظر الى الاجانب
وعن مجالسة العجائز ومخالطتهن لان العجائز لاختلاطهن طائفة
الشبان مع ضعف عقولهن ربما يكن وسائل الى الفساد ولما فرغ
المص عما يجب على الازواج في امر المنزل شرع فيما يجب على الزوجات
في امر المنزل وقال ويجب على النساء مع ازواجهن خمسة اشياء
العفة وامر ظاهر واظهار الكفاية في المال والخشية من زوجها وحسن
التبعل بان لا تقعد وقلة العتاب بان تجامله في المعاشرة ثم ختم
المص امر الزوجين بوصية مهمة وهي ومن احسن منها اي امن
الزوجة بفساد وسوء حال قليلاً كان او كثيراً فليترك الزوجة
بان يطلقها البتة اما الكثير فقط واما القليل فربما يؤدي الى الكثير
ولا يمكن دفعه بعد ذلك وان لم يمكن الطلاق فالاحتيال الصرف المال
في جهة خلاصه عنها ثم بالضرب والمهاجرة في المضجع ثم بتحريص العجائز
على تنفيرها عنه وترغيبها في زوج آخر ثم بالعداوة الطويلة بشرط
اقامة الرقيب عليها الى ان ترغب الى المفارقة والقطع وقيل
ان المراة الصالحة كالام في الشفقة والتعطف وكالصديق في المعاونة
والاقتناع بنفقة الزوجة عليها وكالامة في الخدمة والاحتمال
والطالحة كالجبار في التجني عليه وايذاء الخدام وكالعدو في استحقاره
والتشكي عنه وكالسارق في الخيانة واتلاف المال وقيل يجب
الاحتراز عن خمس الحنانة والمنانة والانانة وكية القفاء و
خضراء الدمن قال النبي صلعم اياكم وخضراء الدمن قالوا يا رسول الله

ماحضراء

٦٧

ماحضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء واعلم ان شرائط
النساء في الشرع سبعة الاول حسن المعاشرة قال الله تعالى وعاشروهن
بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم في وصيته في مرض موته الصلوة
وما ملكت ايمانكم والله والله في النساء فانهن عوان بينكم الثاني
السياسة اذ المؤمن ينبغي ان يكون غيوراً ولا يتابع هواءهن ولا ينبسط
معهن حتى يزول الهيبة عن قلوبهن واذا راى منهن ما يخالف
الشرع يزجرهم بالصولة والحمية ولا يعمل بما ورائهن كما قال صلعم
شاوروهن وخالفوهن فان في خلافهن بركة وقال عمر رضي الله عنه
حين ارادت منعه عن امر ما انت الا لعبة في البيت ان كانت
لنا حاجة والا جلست كما في البيت وفي رواية انما النساء
ريحانة لا قهرمانة الثالث الغيرة قال صلعم اني لغيور وما من
امرئ لا يغار الا منكوس قلبه ومن الغيرة دخول غير المحرم في حرمه
ومن الغيرة منعهن عن مجامع مثل زيارة المقابر والمساجد
ومجالس الولائم وما يجمع فيه الرجال والنساء ومع ذلك لا يكون سيئ
الظن في حقهن ولا يبالغ في تجسس احوالهن ولا يطلب عيوبهن
الرابع النفقة قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا اعلم انه يختار في المعاش الاعتدال ووجوه الحلال وان
اختلط معه الشبهات فليصرف الحلال في القوت والشبهات
في الكسوة لان لحماً نبت من الحرام استحق النار الخامس التعليم
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً ويعلم اهله معتقد
اهل السنة والجماعة واهل الدين من الثواب والعقاب واحكام الطهارة

من الغسل والحيض والنفاس في احكام الصلوة والصيام وان اهمل
الرجل في تعليمها يجب عليها ان تخرج بدون اذنه وتسأل من العلماء
السادس القسم ان تعددت زوجاته فيعدل بينهن في النفقة
والكسوة والمضاجعة والبيتوتة السابع التأديب قال الله تعالى
واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع
واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وحكاية الرسول صلعم
مع ازواجه الطاهرات حيث اعتزلهن مقدار شهر مشهورة مسطورة
في التفاسير واما الصنف الثالث في سياسة الخدم وهم
كالاعضاء من البدن للمنزل كما ان الزوج بمنزلة الروح والزوجة
بمنزلة البدن وذلك لانه يكفي عنه ما لو لم يكفه لاحتاج في كفايته
الى استعمال الجوارح واتعابها فمنافع الخدم كمنافعها ولولاهم لازدحم
عليه اشغال كثيرة واحتاج الى كثرة الحركات ولذهب هيبته ووقاره
فيجب عليه ان يعرف عنايته نحوهم فلينظر صاحب المنزل في حال
الكل واصلاحها اجمالا بان يعرف احوالهم ويخص كل واحد بما يناسبه
من الاشغال ويكل اليه ما يليق به ويلايمه من الاعمال ولا يكلفه ما لا يطيقه
ولا يجهده بكثرة الاشغال المختلفة والامور المتباينة ولا يؤذيه
بتتابع النقل والتحويل من شغل الى آخر لئلا يسأم ويشكر الله تعالى
على انعامه بهم وعليه برعاية العدالة والانصاف معهم وترك الجور
والاعتساف عليهم وبالجملة لا بد من تهيئة ما لا بد لهم من المآكل والملابس
وما يتبعهما بلا اسراف ولا تقتير وان يحفظهم من الفسوق والجدال والظلم
الى الغير ثم لينظر في حال كل واحد منهم تفصيلا اما حالة اتخاذهم واما حالة

استخدامهم

استخدامهم اما الاول فبالتجربة اولا ان امكن والا فبالتفرس من
هيئاتهم فان البدن قالب النفس وظاهره فيتبع اشكاله وتخاطيطه هيئات
واخلاقها فيمن لم يتصرف بالعقل ولم يتجرد عن ملابس الحس ولهذا
يتطابق الخلق والخلق في اكثر الاشخاص وقيل احس ما الذميم صورته
فيجب الاجتناب عن الخلق المختلفة والصور المتفاوتة كالاحول
والاصيد والافحج وامثالهم وعن المعلول كالابرص والاعور والاعرج
واختيار المتناسب الاطراف المتعادل الاعضاء وايثار الحيي المتوسط
في الذكاء على الشهم الذكي الوقح لان الاول عفيف متذلل والثاني
مكار محتال واما الثاني فينبغي استخدامهم على المحبة والرجاء والضرورة
والمخافة ويستميل قلوبهم بان يكن في قلوبهم دوام صحبته ولا يتمثل
في ضميرهم مجانبته فانهم اذا تصوروا اهتمامهم في ماله ومشاركتهم
في منافعه وفوائده راعوا الشفقة في امره ولازموا النصح في بابه
وان شعروا الجفاء ووقفوا على ضعف ولائه وتوجبوا اقالته وفاته
كانوا في خدمته كعابر سبيل بل عازم سفر طويل يهيئ زاده للرحيل
فازمعوا على جذب ماله وادخار القنيات ليوم الفراق والاستظهار بها
عند الاحتياج وليهيئ معايشهم من المآكل والملابس اكثر من اهتمامه
بامر نفسه فيقدم مصالحهم على مصالحه وقال النبي صلعم اخوانكم جعلهم
الله تحت ايديكم فمن جعل الله اخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل
وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه
فليعنه عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت آخر ما اوصى به رسول الله صلعم
الصلوة وما ملكت ايمانكم ويتعرف احوالهم من النقير والقطمير قال النبي

قال النبي صلعم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته مثلاً يصرف همته الى
ازاحة عللهم ويعين ازمان راحاتهم واوقات استراحاتهم ويجعل
امر كل واحد منهم موكولاً اليه بحيث يخرج من عهدته ليزدادوا في الامور
نشاطاً وفي الخدمة انبساطاً ويمتثلوا اوامره امتثالاً ولا يهاجروا
تثاقلاً وكسلاً ولا يخليهم من لطف بان لا يترك الصفح والعفو
في الزلات ولكن بلا ضعف بل على سبيل الاعتدال باب لا يهمل
امر التأديب والتقويم بحسب الجنايات ولا يخليهم من عنف بلا
ظلم بل بحيث ينفي في صدورهم داهيته وعظمته وتعظم وقعه عندهم
من غير بلوغ رتبة الغلظة والفظاظة فضلاً عن التعذيب بتشديد
العقوبة بحيث يتلف ويقرب من التلف او ضربه ضرباً مبرحاً
فان هذه كلها مما يباين المروة والفتوة بل حكم الشرع ولا يبالغ
في العقاب معهم بان يجازي الزلات ولا يصفح عنها او يجازي
الجرائم فوق ما تستحقه الا يرى ان الشرع جعل قدر الحد عليهم
نصف ما على الحرائر فيجب ان يراعي هذه القاعدة في حقهم
ويوازن تأديبهم بما يجب على الحرائر بطريق المناصفة لئلا
يفقد طريق العدالة والنصفة ويعين لكل واحد منهم شغلاً
غير شغل الآخرين حتى يمتاز حاله عن حالهم كما ان لكل جارحة تختص
بفعل كذلك لكل خادم مما يحسن فعلاً معيناً لمناسبة
طبعه اياه دون سائر الافعال وايضاً يطرأ عليه السآمة
والملال اذا لم يتميز شغله عن شغل الآخرين ولم يظهر قدر كفاية
عن كفاية غيره ولا يكلفهم فضل مشقة لئلا يكل طباعهم وبيانهم

الجهد والمشقة لما مر في الحديث السابق قيل حقوق العبد على سيده
سبعة ان يطعم مما يأكله ويلبس مما يلبس وان لا يكلفه العمل
فوق طاقته وتعليم احكام الشرع مما وجب عليه واذا اتم خدمة
اليوم لا يكلفه خدمة الليل ولا ينظر اليه بالحقارة ولا يكلفه العمل
وقت اداء الفرائض حتى يؤدي الى القضاء وان يعفو ما لا يؤدي
الى نقصان الدين والاصل المهم في هذا الباب سلوك طريق
اللطف والعنف معهم كفاء المصالح ولا يجازي على الزلات بل
يصفح ويتجوز ولا يهمل في الجرائم من غير تأديبه الى التعذيب
بل يعتدل في امر التأديب ولا يمكن تأديبه بعزله راسا فانه مع
دلالته على الطيش وسوء العيش يؤدي الى تفويت منفعة
الخدمة بالمرة اذ يحتاج الى الاستبدال وحكم البدل مثل
حكم الاول واذا اتوا بنوع الجريمة ثم عادوا الى ما نهوا عنه
فعليك بتشديد العقوبة ولا تيأس عن الصلاح واذا
اصر على الفواحش والقبائح ولم يرتدع عنها ولم يحصل له
التهذيب بالتأديب والتعذيب فابعده واخرجه من بين
العبيد لئلا يتعدى الفساد الى الآخرين والعبد بالخدمة
اولى من الحر لحصول كمال التسلط عليه ولتوطينه النفس
على ملازمة الخدمة وتأبيه عن المفارقة بخلاف الحر واصناف
العبيد بحسب الطبائع ثلاثة اما حر بالطبع فيقام مقام الاولاد
في التربية والخدمة واما عبد بالطبع فينزل منزلة الدواب
في الاعمال والرياضة واما عبد الشهوة فيقضي شهوته بقدر

الحاجة ويشغل الابوان الثقة بالامتنان والاستخفاف وبحسب المواضع
فالعرب من بينهم مخصوصة بالفصاحة والذكاء منسوبة الى القيادة و
فوق الشهوة والجفاء والعجم موصوفة بالكياسة والنظافة منسوبة الى
الاحتيال والشره والروم منسوبة بالوفاء والتودد معرفة الى اللؤم
والبخل والهند منسوبة الى الحدس والذكاء والى العجب والمكر وخبث
النية والترك منسوبة الى الشجاعة والى الغدر والفظاظة واما
الصنف الرابع فهو الولد ليحسن الوالد تسميته وليختر ما يلائمه بحسب
الحال والمصلحة لانه يبتهج بالاسم الحسن روى عن عائشة رضي الله عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يغير الاسم القبيح ويروى انه كان يتفاءل بالاسم
الحسن ثم ترضعه امراة معتدلة المزاج حسنة الاخلاق فان الرضاع
يغير الطباع حتى ان سوء المزاج وسوء الاخلاق يسريان اليه
قال النبي صلعم لا تسترضعوا اولادكم بالحمقاء فان صحبتها بلاء
وولدها ضائع وقال عليه السلام يعق عن الغلام يوم السابع ويماط عنه
الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب واذا بلغ سبع سنين عزل عنه
فراشه واذا بلغ ثلث عشر سنة ضرب على الصلوة فاذا بلغ
ستة عشر سنة زوجه ثم اخذ بيده وقال ادبتك وعلمتك
وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة
ويحفظ اخلاقه قبل ضراوته بالرذائل فان الصبي بصفاء نفسه
وجودة استعداده يعتاد بالاشياء في زمان قليل خصوصا
باللذات الطبيعية لفرط احتياجه اليه قال النبي صلعم ادبوا اولادكم
صغارا تقر عيونكم بهم كبارا وان كانت اخلاقه مذمومة يؤدى

بامر

بامر في اول المقالة الثانية عموما وخاصة استهانة امر الاكل
والملبس وتفهيمه ان استعمالها لدفع الم الجوع وتوقي الحر والبرد
وان الغرض منهما حفظ الصحة وستر العورة لا اللذة والزينة
والتنفير عن الاطعمة اللذيذة المختلفة والملابس الفاخرة وتاخير
الطعام عن وقت الاشتهاء قليلا ليقتصر على الادون ولا
يميل الى اللذة والمنع عن الطعام قبل الفراغ عن الوظائف وقبل ان
يتعب تعبا تاما معتدلا وتعويده الخبز بلا ادام وتنقيص
الغداء عن العشاء لئلا يتكاسل وتقليل اللحم للتيقظ والذكاء
والتحذير عن الحلاوى والفواكه لسرعة استحالتها وعن المسكرات
لايراثها التهور والوقاحة والزجر عن القبائح وان صدرت
عنه يؤاخذ بالتوبيخ والتهديد ولا يصرح له باقدامه عليها عمدا
بل ينسب الى الغفلة لئلا يجترى وان عاود اليه سرا يبولغ في
التوبيخ وان احتاج الى الضرب ضرب ضربا قليلا مؤلما ليتأذى
به فيحذر ولا يكثر عليه التوبيخ والضرب فيحرص على ما منع منه
ويعتاد بهما وليكن مخالطوه من اهل الخير ليرسخ الملكات
المحمودة من صحبتهم في طبعه ويمنع من مجالسة اهل اللهو و
المجون والاتراف والتنعم والنوم الكثير مطلقا والقليل نهارا
لئلا يتبلد ويبعث على التعب والرياضة وتلقي الحر والبرد
ويحث على التواضع واكرام الاقران ويزجر عن التطاول و
الطمع والكذب والاقسام صدقا وكذبا واذا صدر عنه جميل
يبولغ في التحسين والحث عليه كذا ذكر بعضهم واذا شرع في

تعليمه ابتداءً بمحاسن الاخبار والاشعار المروية في الآداب والمواعظ
ويحذر في العشقيات والغزليات ويجب ان يكون معلمه كيّساً
متديناً عالماً بترتيب التعليم وتخريج الاحداث ذا هيبة ووقار خبيراً بمعالجة
الاخلاق حاوياً للآداب لكل طبقة وصنف من الناس وخاصة
الملوك وارباب البيوتات محترزاً عن شيم الارذال والاخساء
وان يكون في مكتبه الاقران والاكفاء ومن هو في مرتبته ليغتبط
عليهم في التحصيل ولا يتضجر في التعليم وينهى عن الاستغاثة عند
ضرب المعلم اياه فانه من افعال المماليك ويرخص وقتاً بعد وقت
في اللعب الجميل لترويح النفس والا يتبلد ويحقر في عينه المتمنيات
من الذهب والفضة والشهوات ويعظم عنده الاحسان الى
الاكفاء واجلال الاستاد والوالدين ويحبب اليه الفضائل
والمكرمات والمعالي ويبغض الرذائل وسفساف الامور واذا
ارتقى من درجة الطفولية والصبى وفهم اغراض الناس فليهتم
بشانه وحاله وليشغل بصنعة يستعد لها بان يتفرس من احواله
انه يستعد اي نوع من العلوم والصناعات فيحثه عليه ويوجهه اليه
لان كل احد لا يستعد كل علم وصنعة والا لقصد الكل اشرفها
وذلك مقتضى عناية الله تعالى بنظام العالم وحكمة القدر قال الله تعالى
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم شتى وجعل لكل منهم شرعة ومنهاجاً
وكل ميسر لما خلق له والمستعد للشيء بكيفيته ايسر اسبابه و
يجد ثمرته في زمان قليل فان كان من اهل العلم علم على الترتيب المذكور

فی باب

فی باب اكتساب الفضائل وان كان من ارباب الصناعات درب
بما يوافقه وان وقف على عدم اهلية لصناعة شرع فيها نقل الى اخرى
بذل المجهود واستفراغ الوسع ولا يشوش خاطره بكثرة الانتقالات
وقلة الثبات في الصناعات وليأمر بتكميلها بان يطلب المهارة
فيما اقدم عليه ولا يرضى بتعلم البعض وترك الباقي وضبط الاصول
واهمال الدقائق بل يقصد في كل شيء بلوغ الغاية لان التمتع فيه
وليأمر الاكتساب بها لئلا يضيع ما عاناه من الجد والاجتهاد في
تحصيلها فاذا اقتدر على الاكتساب بصنعة حرفته ليحرص على
تكميلها والتمهر فيها عند وجدان لذة الانتفاع ويتيقظ لتدبير
المعاش ويتصرف في بابه واعلم ان ههنا قاعدة مطردة وفائدة
مهمة وهي انه لابد والاستاد من النظر الى استعداد كل شخص بان
يتصرف بما يميل اليه طبعه وما يقبل له شانه حتى يأمر المتعلم
والتلميذ بالاشتغال اليه ليحظى منه بطائل واليه يرمز قول افلاطون
الحكيم يؤخذ قلب آدمي معتدل المزاج وعيناه ويجعل تحت الابط
اربعين يوماً ثم يطرح على الناس يصير كيمياء والكيمياء في لغة
اليونان الحيلة في تحصيل المال ثم غلب على تحصيل النقدين ثم
على طريق مخصوص في تحصيلهما ومراد افلاطون بهذا الرمز انه
يتفحص ما يميل اليه قلبه وما ينظر اليه عينه ثم يؤمر بالاشتغال عليه فيجد فيه
ما لا يجد في غيره وهذا هو المراد بالكيمياء ههنا واما ما يفهم من ظاهره
من تجويز افلاطون القتل بغير حق في تحصيل الكيمياء فحاشاه عن ذلك
القول اذ لا يجوزه جاهل لئيم فضلاً عن عاقل حكيم واعلم ان للبنات بعد

تدبيرهن في امر المأكل والمشرب اخوالا خاصة تتعلق بتاديبهن
وهي التزام خصال النساء كالوفاء والعفة والمنع من العلم والكتابة
والتزويج عند بلوغ الحد مع الكفو ولما فرغ المص من حق الولد على الوالد
شرع في بيان حق الوالد على الولد فقال واما الولد بالنسبة الى
الى والديه فلما ان فيعلم الولد ان والداه موجداه لان الله تعالى
اوجده بسببهما فان الوالد هو السبب في دفع نطفته التي هي مخ ساقيه
ونور عينيه ومادة حيوته في رحم الام فتحمل الام بجنين بذلك تسعة اشهر
وتحفظه مثل قلبها في قالبها ثم تقاسي ثقل الحمل وتعاني الالام والاسقام
والاوجاع التي تصيبها عند الوضع ومرباه القريبان اي مرباهما
الصوريان واما الموجد الحقيقي والمربي المعنوي فهو الموجد الحق والرب
المطلق وذلك لان الاب يسعى في تحصيل غذائه ومادة نشوه ونمائه
لقوام بدنه وبعلمه الاداب والصنائع والعلوم والشرائع لكمال
نفسه ثم يستخلفه في اسبابه وماله وما يكدح لاجله ويشقى به وكذا الام
ترضعه من صفاوة دمها ومادة حيوتها وترجح بقاءه على بقائها وتدفع
عنه المكاره والمضار وتجذب اليه المنافع والمسار تحاميه عليه ذابة
عنه فبالحري ان يكون اداء حقوقهما تابعا لاداء حقوق الباري تعالى
فيجب طاعتهما والشكر لهما وتحصيل رضائهما وتحصيل اذاهما قال
الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
وقال عز من قائل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على
وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك بل رعاية حقوقهما
ومكافاة نعمهما احق واهم من عبادة الباري تعالى ولذلك قال المص

بل احتياجهما واستغناء الباري تعالى عن عباداتنا يوجب زيادة العناية
بهما في الخدمة على خدمة الله تعالى في غير الواجبات بل في بعض منها مع كون
طاعتهما طاعة له تعالى وتلك الطاعة بثلاثة اشياء فيبذل اولا
في الرضاء اي في استرضائهما قولا وفعلا والمحبة لهما بان لا يستتر
لهما البغض في قلبه والطاعة لهما بامتثال اوامرهما ونواهيهما
الا فيما يؤدي الى معصية الخالق فيخالفهما بالملاطفة لا بالمنازعة
قال الله تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا
تطعهما والثاني يبذل في الاحسان غاية الامكان بان يساعدهما
في الخيرات المالية ومساعدتهما في المقتنيات الدنياوية بلا
طلب منهما ومنة منه وههنا امر ثالث لا بد من مراعاته في حقهما
وهو ارادة الخير بهما سرا وجهرا دينا ودنيا ومحافظة وصاياهما
في حيوتهما وبعد مماتهما قال الله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
ثم ان العقوق لهما ايضا بثلاثة اشياء الاول ان يؤذيهما قولا
او نقصان المحبة قال الله تعالى فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما الثاني
مضايقتهما بالاموال والمنافع او تكدير ارفاقهما بالمن او طلب
الثناء وغيره عوضا الثالث عدم الاعتناء باوامرهما وترك الشفقة
عليهما واهمال وصاياهما وكما ان طاعتهما تتلو التوحيد والعبادة
فكذلك عقوقهما يتبع الشرك والمعصية واذا عرفت حق الوالدين
معا فاعلم ان بين حق الاب والام فرقا لا بد من معرفته لئلا تخطئ في
رعاية حق كل منهما واعلم ان حقه الطف ومن الروحانية اقرب
ولهذا لا يتنبه الا بعد التعقل وحقها اظهر والى الجسمانية اميل ولهذا

يدرك في مبداء الاحساس فميل الصغير الى الام اكثر من ميله الى الاب
فمكافاة نعمته ببذل الطاعة وذكر الخير والدعاء والثناء ومكافاة نعمتها
ببذل المال وايثار اسباب المعيشة لكل مما يناسبه كذا الحال في
جميع من ينزل منزلتهما من الاجداد والاعمام والاخوال والاكابر من
الاخوان وما يقابل هولاء من طائفة النسوان حكمهم حكمهما في التعظيم
والتوقير وسائر ما ذكر ان المعلم لما كان في التربية في حكم الوالدين
بل آكد واشد اراد ان يشير الى حاله فقال والمعلم للانسان ربه
اي مربيه والمكمل له الذي افاض عليه الصورة الانسانية من الكمالات
العلمية والحيوة الابدية المكتسبة من الملكات الفاضلة واعلم ان
المعلم احق برعاية حقه من الاب كما قال النبي صلعم الاباء ثلثة اب
ولدك واب علمك واب ربّاك وفي رواية الاباء ثلاثة اب من علمك
واب من ولدك واب من زوجك وخير الاباء من علمك وذلك
لانه هو السبب في ولادة روحك الذي هو الحقيقة الانسانية فان
المعلم بالقاء نطفة نطفة من طريق السمع الى رحم قلبك المسمى بالعقل
الهيولاني يصير سببا لولادة طفل العقل بالملكة كما قال عيسى صلوات الله عليه
لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ثم يرضعه بلبن المعارف
الحقيقية الحقة والحكمة البالغة المحضة ويربيه باغذية المعاني الحقيقية
واشربة الحقائق اليقينية الى ان يبلغ اوان حلم العقل بالفعل وهكذا
حتى يبلغ اشده الذي هو العقل المستفاد ويصل الى الاصل فيأمن
من خوف الفناء والنفاد وبعد فضيلة الروح على البدن ومزية العلم على
اللبن وزيادة عذوبة لذة الاغذية الروحانية على الاطعمة الحيوانية

ورجحان

ورجحان البقاء العقلي الدائم على الحسي الزائل يجب ترجيح طاعة المعلم على
رعاية الاب فليعبد عبادة لا يطيعها لاحد من المخلوقات والا لم
يقدر ان يعبد الله تعالى حق عبادته لان عبادته تعالى موقوفة على معرفته
ومعرفته مستفادة من المعلم فمن لم يعبده لم يعرف الله واذا لم يعرف الله
لم يمكنه ان يعبده فهو خليفة الموجد الحق ونائب الرب المطلق ثم
ان عبودية المعلم سوى خدمته اشياء ان يبذل نفسه وماله ليتصرف
فيهما كيف يشاء ويقدم خدمته على ضروريات نفسه ويواظب على
شكره عالما بقصوره عن مكافاته لينجذب خاطره اليه ويتحمل اذاه
واذى الغير لاجله بحسن التلقي والقبول وترك الاعتراض على قوله
وفعله واياه من اياه باذاه بوجه ما فانه يودي الى خسار الدنيا
والاخرة لسوء ظن الناس به وعدوله عن الحق الواجب فيقع
في معرض سخط الله تعالى نعوذ بالله منه وكذا حكم من يجري مجرى المعلم
ويتعلق به من اولاده واحفاده واصدقائه واخوانه من اهل الصدق
وارباب الحقوق في التعظيم والتكريم والله المستعان وعليه التكلان
واذا انتهى الكلام الى هذا المقام فلنختم الباب بآداب المجلس
من الكلام والحركات والطعام اما الكلام فيجب على العاقل ان
يعتاد السكوت وقد قيل اكثار الكلام من الجنون وقال النبي صلعم
من صمت نجا والا فترك الاكثار وتغليب الاستماع وان لا
تقطع كلام الناس بكلامه وان كان هو اعلم بهذا الامر منهم
ما لم ينته كلامهم وبعد ان ينتهي لا يجيب على وجه يقدح فيهم ولا يتقدم
في الجواب ولا يلتزم ما يسئل عن غيره وما لم يفهم فهما كاملا لم يشرع

في الجواب وما لم يتصوّر في نفسه لم يشرع في التعبير عنه ولا يستمع الى
مسارّة الناس ونجويهم ولا يرفع صوته بين يدي الاكابر والافاضل
ولا يغضّ ايضاً بل يراعي القصد ويجري كلامه معهم على المغايبة و
الكناية وليتوقّ عن الكنايات المستهجنة والالفاظ الوحشية والتطويل
واللجاج واللغو والفحش ولا يكرّر الا عند الاحتياج لكن بعبارة
اوضح ومن غير ضجر وليمثّل المعضلات كلامه وعويصاته بالامثلة
الواضحة مع العبارات الظاهرة وليعدل الى المجاز والتعريض
عند الاخبار عن المستقبحات والمستهجنات وليحترز عند الكلام
عن الاشارة باليد والرأس وسائر الاعضاء الا اذا اقتضى
الحال فيرمز رمزاً لطيفاً وحركة خفيفة ولا يجادل مع احد ولا يلجّ
سيّما مع السفهاء وذوي الوقاحة وليجتنب في البحث عن المعاندة
والمكابرة وليلازم الصدق والحق وان ظهر في يد حريفه ولا يتكلم
الا بقدر عقول المخاطبين ولا يحاك اقوال الناس وافعالهم
واذا دخل على الاكابر افتتح بما يتيمّن به وليهاجر الغيبة و
البهتان قولاً وسمعاً وليصغ الى حديث سيّد القوم مقبلاً عليه
لكن غير معرض عن الباقين بالكلية واما الحركات فيحترز فيها عن
الابطاء والاسراع والتبختر فعل الجبابرة والمتكبرين قال الله تعالى
ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولاً وتحريك الكتفين فعل المخانيث وارخاء اليدين وتحريكها
وكثرة النظر الى خلف والالتفات الى الجوانب والاطراف
في الطريق كالمجذوب وفي الجلوس عن مدّ الرجلين والتربّع والجثوّ

على الركبتين الا عند الاستاذ والملوك والوالدين ومن يجري
مجراهم والاعتماد على اليد والاتكاء ووضع الرأس على الركبة
واليد والاصابع وتفرقعها وادخالها الانف والفم واللعب
باللحية والتمطّي والتثاؤب والتبزّق والقاء النخامة ويحترز
عن التساعد والقدم والنعاس وان غلبه دفعه بالحديث
والتفكّر والا خرج عن المجلس واذا نام القوم وافقهم او
خرج عنهم وينبغي ان يراعي حدّه في المحفل لا ينقص عنه ولا
يتجاوز ويحفظ مرتبته الا اذا كان سيّد القوم فيجلس حيث
يشاء وان كان غريباً جلس حيث يجلس ثم ان اطّلع على
انه جلس فوق حدّه رجع الى مكانه والعمدة في الباب محافظة
الاقتصاد واما ادب الطعام فالاهم فيه تنظيف الجوارح
كاليد والوجه والانف ولا يبادر الى الطعام الا ان يكون
مضيفاً وليأكل بثلاثة اصابع ولا يلطّخ ثيابه وليصغّر اللقمة
وليأكل مما يليه وليمتنع عن التعمق وسرعة الالتهام وتواتر
الالتقام وتطويل المضغ ولعق الاصابع والتشوّق الى
اختلاف المطاعم والميل الى الالذّ والنظر الى العوين وخصوصاً
في لقمته واستشمام الطعام وليحذر مما ينفّر الطباع وان وجد
فيما يمضغ حصى او عظماً اخرجه بغفلة عن الحاضرين ولا يكفّ من
الطعام قبلهم واذا شبع وامتلأ يتعلل بالسير ويبلع
اللمظات المختلفة باللسان ويطرح المتقلة بالخلال الى حيث
لم يتنفّر عنه واذا كان في جمع فليترك الخلال واذا انتهوا الى

الى الغسل لم يسبق القوم الا اذا كان ضيفا وليبالغ فى تنظيف
الاصابع واصول الاظفار والفم وحواليه ولا يتغرغر ولا يلقى البزاق
فى الطست واذا شرب الماء فلا يعب بل ليتجرع وليحذر
عن تصويت الحنك والحلق وفى الاداب كثرة ومن لم يتنبه
بهذا القدر فاهجره وكل ميسر لما خلق له المقالة الرابعة
فى تدبير المدن ويقال له الحكمة المدنية وهى النظر فى القوانين
الكلية المقتضية لمصلحة الجمهور من جهة التعاون وموضوعه
الهيئات الاجتماعية والاجتماعات مختلفة مندرجة
بعضها تحت بعض فالاول اجتماع المنزل ثم المحلة ثم المدينة
ثم الامة ثم العالم ولكل اجتماع رئيس الى رئيس الرؤساء
اعنى رئيس العالم اعلم ان الحاجة الى التعاون اوجبت التمدن
اشتقاقا من المدينة التى هى الاجتماع وذلك لان كل واحد
منا لو تكفل بنفسه ما يحتاج اليه من الحرف والصناعات
لما تيسر له وكيف يمكن وقد قيل ان كل لقمة يحتاج الى
عمل الف صانع فلا ينتظم امرهم ولا ينضبط معاشهم اذا
تعاوضوا بينهم تلك الامور فكان مبنى تعيشهم ومدار حيوتهم
وتكملهم على التعاون والتعامل وهذا ما يقال الانسان مدنى
بالطبع ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى اختلاف الطبائع وتباين
الاراء والعزائم ليميل كل واحد الى صنعة وشان يخالف
صنعة الاخر وشانه وفرح كل حزب بما لديه ورضى بما عنده
شرعيا او دنيا لمناسبة طبيعية له وذلك رحمة من الله تعالى ومنة

منه على عباده اذ لو تساووا والقصد الكلى امرا واحدا فيفوت مصلحة
التعاون وعاد المحذور وكذا اذا تساووا فى الفقر والغنى اذ يفوت
التعاون ايضا قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده فى الارض
وكذا فى البلادة والذكاء قال الله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس
هديها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
فسبحان من خلق الاشياء بمشيته على مقدار بها وسواها بعدالته على
مدارها ثم اعلم ان اجتماعات الناس صنفان طبيعية وغير
طبيعية فالطبيعية منشاؤها المحبة وهى يقتضى اتحادا طبيعيا
ولا يحتاج الى العدالة التى هى اتحاد صناعى اذ لو ثبت المحبة بين
الاشخاص كلها لما مالوا الى الجور والاعتساف فما افتقروا الى
الانصاف والانتصاف بل ثبات كل الموجودات بالمحبة لان
بناءها على الوحدة ولا سبب للوحدة غير المحبة فافضل المحبات
واولاها اوكدها فى جانب الافاضة محبة البارى للعبد ثم المعلم
للمتعلم ثم الاب للولد ثم المحسن للمحسن اليه وكذا ينبغى ان يكون
فى جانب الاستفاضة ليحصل العدل فلا يؤثر محبة ما على محبة
الله تعالى لئلا يلزم الشرك واتخاذ الانداد ولا يكون حقيقة الا من
العلماء الربانيين وان صدرت من غيرهم فهى حالية لا اصل لها و
لا يؤثر محبة ما سوى الله تعالى على محبة المعلم لانها تشبه بالمحبة الاولى
من حيث انه تكميل الذات وسبب البقاء وتربية النفس وقد
من تفصيله ولا يؤثر محبة الكبراء والعظماء على محبة الوالد لانها
تتشبه بالثانية من حيث ان اصل وجود النفس والبدن من الله تعالى

وجعلهما سببين قريبين لوجودهما فالمعلم رب روحاني والاب رب
جسماني وبقدر فضيلة النفس على البدن تكون فضيلة محبة المعلم على
محبة الاب وعلى هذه النسبة محبة المعلم للمتعلم والاب للولد
ولا يؤثر محبة بعض الاقرباء على التلميذ والولد ومحبة الغير على حب الحق
واذا عرفت الاجتماعات الطبيعية فاعلم ان الاجتماعات الغير
الطبيعية صنفان مسبب عن الخيرات وتسمى المدينة الفاضلة وهي
اجتماع قوم لا يقصدون بافعالهم الا اكتساب الخيرات و اجتناب
الشرور وصادر عن الشرور وتسمى المدينة الغير الفاضلة والاولى
لا يكون الا واحدا لان طريق الحق واحد واهل هذه المدينة وان
كانوا متفرقين في بلاد شتى فهم مجتمعون بحسب اعتقاد العقيدة
في المبداء والمعاد واتحاد اقوالهم وافعالهم في التوجه الى الكمال
كما قال رسول الله صلعم المؤمنون كنفس واحدة وكذا اتحدت
ملوكهم فيتصرفون في ضبط نظام الكل وتحصيل سعادة الجمهور
كما ان الانبياء متفقون في الدعوة الى الحق والى كلمة سواء بينهم
ولا يقدح اختلاف الفروع في الشرائع في اتفاق الاصول
فالملوك في تلك المدينة بمنزلة الرأس والانبياء بمنزلة القلب
ثم اركان هذه المدينة خمس فرق الاولى المدبرة وهم الكمل
من العارفين بحقائق الاشياء الثانية ذو الالسنة وهم
دعاة العوام وهداتهم الى مقصد الخواص كالفقهاء والوعاظ
والخطباء والكتاب الثالثة المقدرة وهم الذين يراعون
المصالح ويحفظون العدالة في المدينة كالاطباء والحساب

الرابعة المجاهدة وهم الذابون عن الحريم بالشجاعة والحامون للحمى
عن المتغلبة من اهل المدن الثلث التي سنذكرها الخامسة الجالبة
للارزاق اما بالتجارة والصناعة واما بالجباية والحراثة واما الرياسة
العظمى لهذه المدينة فعلى اربعة انواع الاولى رياسة الحكمة وهي
رياسة الملك المطلق ان وجد علاماته ثلثة الحكمة علماً وعملاً وجودة
الاقناع والتخييل الموجبة للتكميل وقوة الجهاد والثانية رياسة
الافاضل وهو عند فقدان الملك ووجدان خصاله في ثلثة انفس
يحصل باجتماعهم وتظاهرهم التدبير التام والثالثة رياسة السنة
وهي بوجود رئيس تطلع على سير الاسلاف اي الملك المطلق
والافاضل واوضاعهم ويقتدي بسنتهم وآرائهم ويحفظ مراسمهم
ويستخرج منها المصالح الرابعة رياسة اصحاب السنة عند فقدان
هذا الرئيس ايضا واقدام جماعة متفقة الآراء على اتباع امر السلف
وانفاذ حكمهم في المدينة ويتم امر الانفاذ بتقديم المتقدم في كل صنعة
وتسويده والمنع عن الشروع في الصنائع المتفرقة لمناسبة كل طبيعة
بصنعة دون اخرى واختلال الصنعة باقسام الهمة المؤدي الى
نقصان الجميع فان كان احدهم ذا صناعات كثيرة وقف على الاشرف
ومنع من البواقي واما المدينة الغير الفاضلة فاما عدم استعمال القوة
العاقلة او يستعملها لكن يكون مغلوبة بقوة اخرى فاما ان لا يكون
محلة للاجتماع او يكون محلة الاولى المدينة الجاهلة والثانية الفاسقة
والثالثة الضالة المدينة الجاهلة ستة انواع مدينة الضرورة
واهلها يتعاونون على سعادة البدن ادا بالوجوه المحمودة كالفلاحة

او المذمومة كالسرقة ومدينة النذالة واهلها يتعاضدون على
الثروة ويصرفون المال في الغرورات ومدينة الخسة واهلها
يقتصرون على اللذات الحسية والطبيعية كالاكل والشرب واللهو
واللعب ومدينة الكرامة واهلها يتناصرون على الكرامات القولية
والفعلية واسبابها اليسار ومساعدة اسباب اللهو والنفع
ماجد بهذين الوجهين والغلبة وحب غرضهم ايقاع الهيبة في القلوب
بكثرة الحجاب وتعظيم القدر بانواع التجمل والتزين وتكثير الحواشي
والخدم واذا تقرر ملكه ورسخت رياسته رتب الناس على
حسب اختلاف درجاتهم ويقرر الملك بعدهم على اولادهم فهم
الاحباب عندهم واذا افرط اهلها في الكرامة صاروا جبابرة
وخصوصا اذا انضم اليها القهر ومدينة التغلب واهلها متعاونون
على قهر الناس واستيلائهم اما بسفك الدماء او بنهب الاموال
او بالسرقة ولذتهم في الغلبة ومدينة الحرية وتسمى مدينة الجماعة
واهلها كلهم احرار لا تفاضل بينهم الا بمزية الحرية ومقدمهم من
هو ابلغ حرية ويقتصر في معاشه على الكفاف فلا رياسة فيها
بالحقيقة ويفترق اهلها بحسب اختلاف الهمم والآراء فرقا كثيرة
ولكل فرق رئيس وهذه المدينة مرغوب في اقامتها ويعظم سوادها
في مدة قليلة واما المدينة الفاسقة فهي موافقة للفاضلة في
الاعتقاد ومخالفة لها في الاعمال وينقسم الى اقسام الجاهلة واما
المدينة فاقسامها غير متناهية اعتقادا وعملا ولكنها خمسة اصناف
الاول المراؤن وهم يفعلون افعال الافاضل لا للسعادة بل للذة

والكرامة الثاني المحرفون وهم الذين يميلون الى اغراض الجاهلية
فيأولون قوانين اهل المدينة الفاضلة ما يوافق اهواءهم لئلا يمنعهم
عن بلوغ مرادهم الثالث البغاة وهم جماعة ترغب عن طاعة الملك
الفاضل الى ملك التغلب الرابع المارقون وهم الذين يحملون قوانين
الفضلاء على معان غير مطابقة للحق من غير قصد التحريف لسوء فهمهم
فهذه اقسام المدن ورياساتها وخيرها ما كان عن محبة لدوامها
فان الاجتماع على البغضاء والشحناء يفضي الى الافتراق وهي
اي مدينة المحبة اما للخير وذلك كصداقة اهل الحكمة ولهذا لا ينقطع
محباتهم ويلزمها لذة لا يناسب اللذة البدنية اصلا ومن لم يذقها
لم يعرفها او للنفع كمحبة المحسن اليه للمحسن وكصداقة المشايخ
ومن يجري مجراهم وهذه سريعة الانقطاع والانتقال او للذة
كمحبة الزوجين وصداقة الاحداث ومن يدين بدينهم ولكون
اللذة سريع الانعقاد والانحلال يكون هذه الطائفة ربما يتواصلون
ويتقاطعون مرارا كثيرة في زمان قصير وقد يبقى ببقاء مودتهم
وذلك عند توقع بقاء اللذة معا او مركب منها اي من هذه الثلثة
فكاشتراك صحبة الزوجين في اللذة والنفع ويحصل من تركبها
اقسام كثيرة فعليك باستخراجها وقد يساوي الطرفان بان
يكون محبة كل للخير او للنفع او للذة مساويا لنظيره في الآخر وقد
يختلفان بان يكون محبة كل من هذه الامور اقوى من نظيره في الآخر
او اضعف منه فقوله وقد يختلفان مستدرك وفيه ما فيه ودوامها
اي دوام المدن والاجتماعات بحسب دوام تلك الاغراض من الخير

والتمتع واللذة فانّ اضداد هذه يؤدّي الى الافتراق واركانها اي
اركان المدن والاجتماعات ثلثة مالك ومملوك وامثال لانّ
الشخص امّا ان يكون متسلطا على الغير مطلقا فهو المالك او يتسلط
عليه الغير مطلقا فهو المملوك او لا بذا ولا ذاك فهو الامثال امّا
المالك فينبغي ان يتّسم بسبع خصال الاوّل ان يكون اصلا ليطاع بلا
انفة الثاني ان يكون عالي الهمة ليتنزه عن الامور الخسيسة المنفرة
للقلوب عن طاعته الثالث ان يكون متين الرأي لئلا ينفصم
نظام مملكته ولا ينقطع عرى دولته ولا يحصل هي الا بالفكر والنظر
الصحيح والتجارب المرضية واعتبار حال السلف الرابع ان يكون
ثابت العزم ويعبّر عن ذلك بعزم الملك وعزم الرجال ايضا
ويحصل من تركب الرأي الصحيح والثبات التام وانما وجب هذا لانّ
ملكة التردد في الامور يفضي الى التعطيل كما قال الشاعر اذا كنت
ذا رأي فكن ذا عزيمة ° فانّ فساد الرأي ان يتردّدا ° وان كنت
ذا عزم فامض ولا تقف ° فانّ فساد العزم ان يتقيّدا ° والخامس
ان يكون صبورا على الشدائد ليفوز بالمطالب فانّ التأنّي
في الامور يطلع صاحبه على الصواب كما قال النبي صلعم الاناة
من الله والعجلة من الشيطان وقال صلعم التؤدة في كل شيء
خير الّا في عمل الآخرة وانّما استثني عمل الآخرة لقوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم والسادس ان يكون موسرا لانّ اليسار سبب
لمزيد الاقتدار والغنى وسيلة المنى والسابع ان يكون ذا اعوان
متفقة ليتيسّر له دفع الخصوم ومنع الظالم عن المظلوم ولا ينطوي عليه

احد

احد من الاغيار الّا طالب دين او ثارٍ اي قصاص وذلك
لانّ ظلم الغير يؤدّي الى فساد الملك الّا عار الدين والثار
اذ في منعهما اختلال النظام ووقوع الهرج والمرج بين الانام
فعاد الملك على موضوعه بالنقض فلا يترك الكل لاجل البعض
واعلم انّ الملك لا يستحقه الّا العارف بمزاج العالم القادر
على حفظ صحته ورد مرضه امّا بالرياسة التغلبية او المحاربة
الهرجية واساس الدولة اتفاق الجماعة وثبات عزائمهم
وتزلزلها باختلاف دواعيهم وانحطاط الدولة برغبة ارباب
الدول في الترفه والتجمل حتى اختاروا العطلة على الصبر
والتحمل ووضعوا اوزار الحرب والمقاتلة ونسوا ملكات الترفع
والمغالبة وظهور نقيضه التجبر والتكبر بسبب الاموال كما هو
دين الاداني والجهال الى ان كان كل من ناقضهم مظفرا
منصورا واستاصلوا عن آخرهم كان لم يكن شيئا مذكورا
وعليه اي على المالك في حفظ النظام من تأليف الاولياء وتفريق
الاعداء ولا يتم هذين الّا بالنظر في مصالح الرعية والحذر عن
فساد العدالة وشرائط ما ذكر ثلثة امور الاوّل
تعديل الاصناف الاربعة بالتكافؤ كاعتدال المزاج بتكافؤ
العناصر الاربعة الصنف الاوّل ارباب القلم من ارباب
العلوم والمعارف والفقهاء والقضاة والاطباء والمنجمين
وارباب الكتابة والحساب وغير هؤلاء ممن هو سبب قوام
الدين والدنيا وهم بمنزلة الماء في العناصر والثاني

اصحاب السيف كاهل الشجاعة والبأس من المجاهدين
والمطوعة الذين هم سبب معيشة الناس وهؤلاء بمنزلة الهواء
والثالث اصحاب المعاملة من التجار واهل الغير الذين يجلبون
الميرة والطعام والثياب الفاخرة الى العباد الذين هم اركان النظام
وينزل التجار منزلة النار والرابع اهل المزارعة كالدهاقين والفلاحين
وسائر من يعمل في اكثر الاوقات لتحصيل مهمات الاقوات
وهؤلاء من بين الانواع بمنزلة الارض من بين الطباع ولما كانت العدالة
بتعديل هذه الاصناف الاربعة في الترتيب كما ان غلبة بعض
العناصر يؤدي الى انحراف المزاج واختلال التركيب فلا يمكن
احد منهم الغلبة على الباقي لاستلزامها اختلال النظام الاجتماع
بالطبع وانقلاع وصف الاتحاد والمساواة من النوع ومن كلام
الحكماء فضيلة الفلاحين هو التعاون بالاعمال وفضيلة التجار
هو التعاون بالاموال وفضيلة الملوك هو التعاون بالآراء
والسياسة وفضيلة الالهيين هو التعاون بالحكم الالهية قال الله تعالى
تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الشرط
الثاني تعيين مراتب الخلق بحسب استعدادهم لان الناس كلهم ثلث
فرق اخيار بالطبع واشرار بالطبع ومن ليس بخير ولا شرير طبعا
قال الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله القسم الاول اما ان يتعدى خيره الى الناس اولا وحكم
الثاني ان يعززهم ويكفي مؤنتهم وحكم الاول تعظيم الاخيار وتقويتهم
ويجعل اقرب الناس اليه ويحكمهم على الجمهور لانهم لباب الخلق

وخلاصتهم وفحص خائنهم وخاصتهم ومن ذلك رعاية اصحاب الفقهاء
وهم ركن عظيم من اركان الشريعة وعليها عمل الصحابة والتابعين
رضوان الله عليهم اجمعين الى يومنا هذا ولا بد ان يكون مجتهدا
عفيفا وتعريفه في علم الفقه ومن ذلك ارباب القضاء وهم من
اعظم الاركان نفعا وعليهم مدار صلاح العالم شرعا ويجب
ان يكون القاضي عالما عاملا وعفيفا عادلا بعيدا عن التهم
متكسبا بالشيم وسالكا مسلك الصحابة والتابعين في العمل
والاعتقاد واليقين واتفق جمهور العقلاء على ان نظام
العالم بورع العلماء وتكلمهم الحق عند الامراء كما ان فساده بحبهم
الرياسة والمال ومداهنتهم مع الملوك في الامور والاحوال ومن
ذلك الحسبة وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فينبغي للسلطان
نصب من هذه شانه ولا يدع احد عن امره وهو يحكم بما امر الله تعالى
به مثلا يمنع عن حمل الدواب فوق طاقتها وان يؤدب الموالي اذا
لم يكسوا المماليك او كلفوا عليهم فوق طاقتهم بما يرتدعون به
عن ذلك على حسب مراتب الناس وما يقتضيه مرتبتهم وشانهم
ومن ذلك اصحاب الكتابة وينبغي لهم ان يعرفوا آيات القرآن
واسباب نزولها ومعرفة الاحاديث بكنه مدلولها وفهم سنن
الملوك الماضية في اقوالهم وافعالهم ومعرفة المعاني الشعرية ما
بين مستعارها وطويلها ويختار عند انشاء الكتاب ما تحسنه
الكتاب من اختيار ما هو افصح لفظا وارجح معنى ويفصح عن المرام و
الغرض من الكلام ويستعمل في كل مقام ما هو الاليق به واحسن تعبير

عن المعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة وعن المعاني الغزيرة بالتراكيب
الواضحة الجليلة ومن ذلك الكتاب في اصحاب الدفاتر وارباب الدواوين
فانهم حراس الاموال وحفاظ الاحوال واساس الدولة وقهرمان
السلطنة والملة ويروى ان اول من دون الدواوين في الاسلام
عمر بن الخطاب وعين الارزاق للاصحاب وجعلها متفاوتة بمقدار
فضلهم وسابقتهم في الاسلام فاقتدى الناس بطريقته ثم ان السلطان
يراعي في العساكر عموما بقديم الشرف فيقدم العرب نسبا وسبقا
في الاسلام وفي الاتراك وغيرهم السبق في الاسلام ثم قربهم من ولي
الامر ثم الاعلى في طاعة الله تعالى ويقدم فيهم خصوصا الاسن ثم الاشجع
ثم يرجح بما يؤل اليه اجتهاده وللسلطان ان يزيد في ارزاقهم زيادة
عيالهم من الازواج والاولاد والمماليك والدواب على قدر كفايتهم
وله ان يزيد على قدر الكفاية اذا فاضت اموال بيت المال وهو مختار
ابي حنيفة ومنعه الشافعي وايضا يعطي ما استحقوه في الايام الماضية
الى ورثتهم ولا يجوز للسلطان قطع ارزاقهم وايضا ليس لهم
قطع الخدمة عند الحاجة ومن ذلك ضبط الاموال ولما لم يتم نظام
السلطنة الا بالامراء والعساكر لا يكونون الا باموال فيجب الاعتناء
بحفظها ولكن ينبغي سلوك سنن الحق والانصاف في اخذها
واصولها ستة جزية وخراج وعشور وغنيمة وفيء وركاز
ومصارف هذه في كتب الشريعة ومما ينبغي ان يعلم انه يجب على
السلطان من وزير يستشيره في صعاب الامور وهو قطب الدولة
ومدارها وسنن العزة ومنارها يستغني بتدبيره السلطان

ويصير ضميره في الامور البرهان وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ
الوزير قال الله تعالى حكاية عن موسى ع اجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي وقال تعالى وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا وقال النبي صلعم
من يرد الله به خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر
اعانه والوزير مشتق اما من الوزر وهو الثقل فانه يحمل عن الملك
اثقاله او من الوزر وهو الملجا ومنه قوله تعالى كلا لا وزر اذا
الملك يلجا الى رأي الوزير وتدبيره او من الازر وهو الظهر
ومنه قوله تعالى اشدد به ازري اي قو ظهري فالملك يتقوى
بالوزير ولما كان هذا المنصب جليلا كان اهله قليلا وصفته ان
يكون جامعا لخصال الخير عفيفا مستقيما امينا صادقا يسكنه
الحلم ويوقظه العلم له صولة الامراء واناءة الحكماء وتواضع العلماء
وفهم الفقهاء يسترق قلوب الناس بحلاوة لسانه وحسن بيانه
ويستحب ان يكون امينا صادقا قليل الطمع خاليا عن الاهواء و
اما القسم الثاني فاما ان يتعدى شره الى الغير اولا والاول
وهم اخس الناس وارذلهم واضداده الرئيس الاعظم
بالطبيعة كما ان الطائفة الاولى اشباهه بالغريزة ولهم مراتب
كثيرة والواجب منع الاشرار مطلقا ويجب تاديبهم بالزجر
والتاديب ومنع عن الشر والتخريب ان كان مما يرجى صلاحه
ثم الحبس اي ان لم يرج خير منه وعم شره ازيل بالحبس
ثم بالقيد ثم بالنفي عن المدينة ثم قطع آلة الشر من اعضائه ان
افرط في شره صادرا عنه بالفعل قال الله تعالى الزاني والزا

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وقال الله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما واما القتل اي قتل المفرط في الشر فلا اي لا يجوز
لانه تجاسر على الله تعالى بتخريب بنيانه الا ما امره الشرع من القصاص
وغيره قال النبي صلعم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى معان ثلث كفر
بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل امرئ مسلم بغير حق واما الثاني
وهم الاشرار الذين لا يتعدى شرهم الى الغير فلم يذكر المص حكمه ان
يحقرهم ويذلهم ويؤاخذهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمواعظ
والنصائح والوعد المرغب والوعيد المرهب فان مالوا الى الخير والصلاح
والا بقوا في الهوان والصغار واما القسم الثالث فيجب تخليصهم
عن الاذى وتحريضهم على الخيرات لينالوا الكمال بقدر الاستعداد والقاعدة
الكلية في اصلاح الشخص النظر في مصلحة الكل بالقصد الاول ثم في
مصلحته بالقصد الثاني كالطبيب في اصلاح العضو الشرط الثالث
التسوية بينهم اي بين المذكورين في تقسيم الخيرات المشتركة من الرزق
والكرامات وغيرهما عليهم بحسب الاستحقاق والاستعداد فان لكل شخص
يستحق قسطا منهما فاذا ازيد عن حقه كان جورا على اهل المدينة واذا
انتقص عنه كان جورا عليه ثم محافظة تلك الخيرات عليهم بمنع المتغلبين
عنهم لئلا تخرج عن ملكهم وان اخرجت بالغصب والسرقة عن يد
بعضهم او خرجت بالارادة كالبيع والهبة يعوضه على وجه لا يضر
بالمدينة وبمنع الجور بالعقوبة مقدرة على مقداره والا لكان جورا
عليه وعلى المظلوم والمدينة ان نقص قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها فهذه شرائط العدالة ثم ليلازم الاحسان في حقهم بايصال

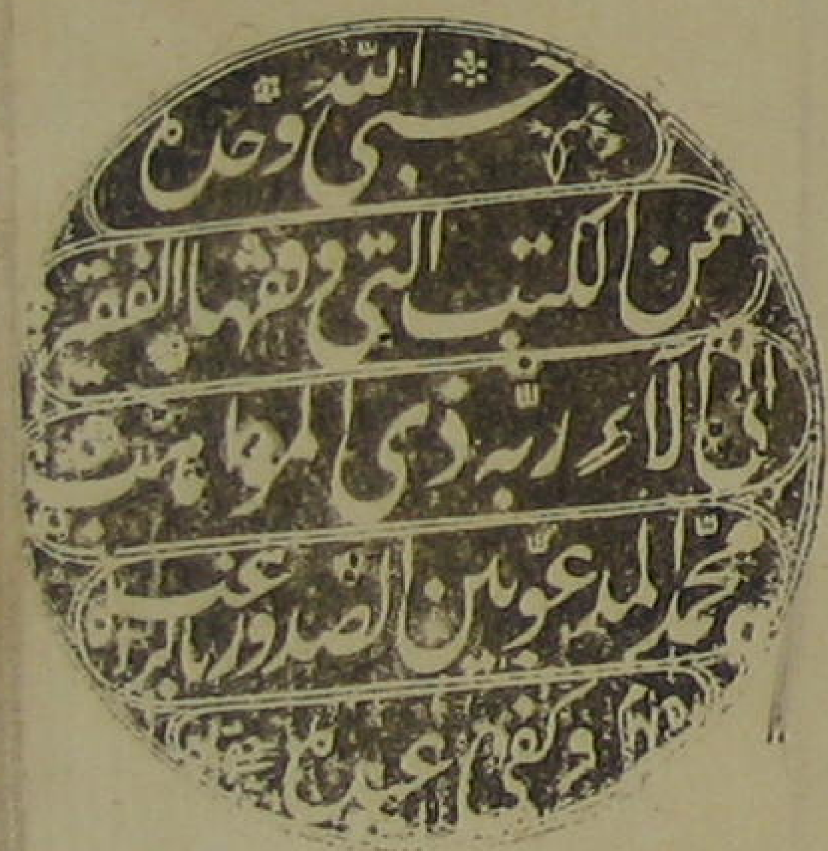
ما يمكن من الخيرات الزائدة على الواجب الى مستحقه مقرونا بالهيبة ليبقى
البقاء والا بطروا وصاروا حراصا طامعين لا يرضون ببذل
الملك كله ولما ذكر المص الشرائط الثلثة المذكورة يتسهل به تلك
الامور فقال ويتيسر ذلك اي اتيان الشرائط الثلثة المذكورة
بالتزام الشرع والقوانين الحكمية الموافقة للشرع فانه كما يتقوم
البدن بالطبيعة وهي بالنفس وهي بالعقل يتقوم المدن بالملك
وهو بالسياسة وهي بالحكمة واذا اهملت الحكمة خذل الشرع
وذهب بهاء الملك واندرست المروة وزالت النعمة ويلتزم
سهولة الحجاب بان لا يحجب اصحاب الحوائج من نفسه اذ لو كان
رفيع الجناب منيع الحجاب لم يتيسر لارباب الهوان من المتظلمين
الوصول اليهم فيختل النظام ويرتفع الامان عن استيلاء الاقوياء
على العاجزين ويبالغ في حفظ الثغور وامن الطريق ليترفه المملكة
بإياب ارباب التجارات والمعاملات ولا يقصر في اكرام اهل
الشوكة والشجاعة وليلزم مداومة الفكر في التدبير لئلا يفوت منه
ادراك المطالب وترك اللذات المخاصة به فان مباشرتها
ربما يؤدي الى المداومة عليها فتلهي صاحبها عما عليه من مهمات الخدم
والرعايا فيقع الخلل في النظام وترخصت العامة في الشهوات
وتنازعت اهواؤهم فيحدث الهرج وترتفع الاوضاع الالهية
وتحسم مادة الخير عنهم وتشتد الافتقار الى الملك العادل الخبير
والامام المحقق لاستيناف التدبير قال الشاعر اذا غدا ملك باللهو
مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والخرب اما ترى الشمس في الميزان

لما غدا يروج بحجم اللهو والطرب واعلم ان الامام اياه وان يهجس في خاطره
انه ملك رقاب الناس ونفذ تصرفه فيهم فيجب ان يكون انعم حالا و
افرغ بالا واطيب لذة واكثر راحة منهم فانه اقوى اسباب الفساد
واردا آفات البلاد بل سبيله ان ينقص من اوقات الراحة والطرب
ويزيد في ساعات الفكر والتعب بل يهاجر الامور الضرورية اكثرها
وبخارج اسباب الدعوة اهمها كالنوم وغيره الى تدبير الملك واستعمال
الراي وينبغي له مشاورة اولي العقل والنهى وذو النبل والهمة وعزة
النفس لان المستشار مؤتمن لانه يقدر اجالة الراي ويأمن المنافقة
وينبغي ان يجتهد في كتمان اسراره من ضعاف العقول ولا يطلع العدو
على تدبيره واذا صمم عزمه فليخلط الافعال التي يقتضيها هذا الراي
بنقائضها ولا يميل الى احد الطرفين بالكلية فيكون طريقا الى استنباط
فكره وليعين العيون والجواسيس لاستكشاف احوال العدو
واستخراج اراءهم عن احفالهم فانه اعظم ابواب الحزم وانفع اسباب
التطلع لاستعمالها في وقت الحاجة والاحتراز عنها وقت الاحتياط
وطريق استخراج اراء الملوك هو النظر في احوالهم من اعداد الاهبة
وتغيير الامور المعتادة فيما بينهم كجمع المتفرقات وتفريق المجتمعات
وتغييب الحاضرين واحضار الغائبين واستعلام الاخبار عن
خواصهم ومن يداخلهم خصوصا ضعاف العقول كالقبيان
والحادثة مع اختلاط الناس باب عظيم في استفشاء الاسرار
فان لكل واحد صديقا يستودعه الاسرار ويؤدي بطريق
العنعنة الى الضمائر فيمكن الاستدلال من مكنوناتها على حقيقة الامر

ومالم يتوافق

ومالم يتوافق الادلة ويتواتر الامارات لا يطمئن الى احد الطرفين لولا
لخروج عن الحزم ويجب ان يبالغ في استمالة الاعداء وطلب الموافقة
مالم يحملوا على العجز ويحتال في دفع المحاربة بكل ما يتيسر له ويجعلها آخر
التدابير كلها ولا يميل اليها الا عند الاضطرار فان اضطر فاما ان يكون
دافعا او صائلا وان كان الاول فان قدر على المقاومة احتال في
التبييت والمفاجاة على الخصم فان من اوتي في قعر داره غلب والا
فليبادر الى تدبير الحصون والخنادق ويسلط في طلب المصالحة
ببذل الاموال واصناف الحيل والالطاف وان كان الثاني ما
فليكن غرضه الخير المحض واستقامة الدين الحق ولا يقدم عليها الا
بعد الوقوف بالظفر والا كان مخاطرة بالرجال والالات ولا
يشرع فيها الا مع جماعة اتفقت كلمتهم والا لكانوا عليه لا له وليحترز
عن القتال بنفسه كما قال علي رضه حين استشاره عمر رضه في خروجه الى
قتال الفرس بنفسه كلا ما هذه بعصبة مكانك القيم بالامر مكان النظام
من الخرز يجمعه ويضمه فان انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع
بحذافيره ابدا وليجعل قائد عسكره من له الشجاعة والمعتبر شهرته بها
وشمول صيته لالقاء الرعب في القلوب والراي الصائب ليتمكن
من استعمال الخدع والحيل وان يكون معتادا على الحروب صاحب
تجارب كثيرة فيها ليقدر على استيصال الاعداء وتفريق شملهم و
استعمال المكر والحيل كالمكاتب المزورة وغيرهما مما يفرق كلمة
الاعداء جائز دون الغدر لبعده عن المروة واهم الاشياء نصب
الطلائع والتيقظ الشديد في الوقائع واما عند المقاتلة فليعبي العسكر

طلب ح



تعبية ويقيم كل احد بمقام لا يصلح الا به ولا يتخذ الخندق والحصار
الا عند الاضطرار فانه تجرى العدو وليبالغ في اكرام من خاطر بنفسه
وتصدى لمبارزة بالمدح والعطاء تحريضا للشجعان وتنشيطا
لهم على الحرب وليلازم الثبات والصبر وليجانب الطيش والتهور
ولا يستهين بامر العدو وان كان حقيرا وليتذكر قوله تعالى كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله واذا قدر على الامر فلا يأمر
بالقتل لان فيه فوائد مثل الرهينة والسبي والفداء والمن واذا
ظفر فلا يستنم ويترك الحزم ولكن ليحذر بعده العداوة والقتل فان
الاعداء بمنزلة الرعايا واعلم ان بعضا من الفضلاء ذكر للسلطان
شرائط عشرة لا علينا ان نذكرها ههنا بتمامها وان كان بعضها
راجعا الى بعض مما تقدم تبركا بترتيبه الاول ان يفرض نفسه عند
الحكم واحدا من الرعايا حتى لا يرضى لغيره ما لا يرضى لنفسه لو كان منهم
الثاني ان يعلم ان قضاء حاجات المسلمين من افضل الطاعات
وفي الخبر ادخال السرور في قلب مؤمن يوازي عمل الثقلين وينتظر
حاجتهم ولا يتركهم محتاجين في بابه وما لم يدفع حاجتهم لا يشتغل
بالعبادة ولا يترك مصالحهم لاجل راحة بدنه الثالث ان يقتدى
بسيرة الخلفاء الراشدين في الماكل والملابس ولا يعتاد
الاطعمة اللذيذة النفيسة ولا الملابس المستحسنة في الغاية الرابع
ان يداري في الكلام ولا ينظر الخشونة بلا سبب ولا يمل من اصغاء
حجة الناس ولا يضيق صدره عن التكلم مع الضعفاء والمساكين
الخامس ان لا يداهن في الحكم ولا يهمل لرضاء الناس ولا يخالف

ام

امر الشرع لرضاء احد وان نصف الخلق يتاذون من الحاكم ابدا المخالفة
الشرع هواهم فاذا حكم بالحق يرضى الله عنه ويرضى عنه الخلق ايضا
كما قال صلى الله عليه وسلم من طلب رضاء الله بسخط الناس
رضي الله عنه وارضى الناس السادس ان لا يغفل عن خطر
الولاية لانها امانة او عليه وكثير منهم خربوا بيوت دينهم بهوى الحكومة صح
انفسهم واليوم زمام الاختيار في يدك فعليك الجد بتحصيل
الدولة الباقية السابع ان يرغب في زيادة العلماء والصلحاء
ومحبتهم وان قلوا في هذا الزمان ولكن ان ساعد التوفيق فوجد
منهم احدا فليعده شرف ايام حكومته وليحذر عن الدجالين
في صورة العلماء وعن الشياطين في زي الصلحاء لانهم
يدعون له ويثنون عليه لاجل حطام الدنيا الثامن ان لا يغر
الناس بالتجبر والتكبر بل يحبب نفسه الى الله بالعدل والاحسان
والشفقة على الضعفاء والرعايا قال النبي صلعم خير ائمتكم الذين
يحبونكم وتحبونهم وشر ائمتكم الذين يبغضونكم وتبغضونهم
التاسع ان لا يغفل عن تجسس ظلم العمال وخيانة النواب
ولا يسلط على الرعايا الذئاب وان وقف منهم على ظلم فللسلطان
ان يجعله عبرة على العالمين بالعقوبة ولا يساهل في السياسة
وان يهذب ارباب الدولة بالنصيحة العاشر النظر بالفراسة
عند حدوث الوقائع وينظر بعين البصيرة في عوارضها ولو
احقرها وكانت من المفصلات لخفيفة ولا يعتمد قول الناقلين
اذ الحوادث لا تتناهى ولا يفي بضبطها المسائل فاحتيج الى الفراسة

وهي قسمان احدهما الشرعية وهي الحاصلة من نور اليقين بتزكية النفس
عن الاخلاق الردية وتصفية القلب عن الصفات الذميمة حتى ينظر
بنور الله تعالى حتى يكون الله سبحانه بصره الذي به يبصر وسمعه الذي
به يسمع ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وثانيهما
الفراسة الحكمية وهي التي وجدها الحكماء بالادلة الدالة على الاخلاق
بالتجربة وقد صنفوا فيها كتبا كثيرة ثم اعلم ان للرعايا حقوقا على
السلطان وهم ان كانوا مسلمين فحقوقهم عشرون الاول التواضع
عليهم ولا يتكبر عليهم لاجل سلطنته الثاني ان لا يسمع كلام احد
في حق احد سيما من الفاسقين قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا والحاسدين لانهم يظنون ان المحاسن عيوبا والطامعين
لانهم يؤذون الناس لاجل لقمة وارباب الاغراض لان الغرض
يؤدي الى الكذب والبهتان الثالث ان لا يؤخر العقوبة الى ثلثة
ايام الا ان يكون من الغضب للدين والعفو في امور الدنيا اولى
وفي امور الاخرة هجرته اولى الا ان يتوب الرابع ان يعم عدله
واحسانه على كافة البرايا ولا يفصل بين مسلم وكافر لان السلطان
ظل الله تعالى الخامس ان لا ينظر في حرم المسلمين ولا يدخل بيوتهم من غير
اذن ويستاذن فان اذنوا دخل والا رجع السادس يخاطب
الناس ويعاملهم على قدر مراتبهم ولا يرجو من الاجلاف والاوباش
العبارات اللطيفة ومن جهال العامة الفصاحة والبلاغة ومن القروي
والساكنين في البراري آداب مجلس الاشراف وان لا يكلف احدا
فوق قدره وان يعذرهم فيما لا يقدرون عليه ولا يستنكف من مواجهة

احد السابع ان يحترم الشيوخ سيما المتدينين وينظر الى الاطفال
بالشفقة قال النبي صلعم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا وفي الحديث
ما اكرم شاب شيخا من اجل سنه الا قيض الله عند شيبه من يكرمه
اشارة الى ان من اكرم شيخا يبلغ سن الشيخوخة الثامن ان لا يخلف
وعده التاسع ان لا يعسف في الحكم ويلقى الى كل احد وضيع وشريف
بالبشر وطلاقة الوجه ويرفق على الضعفاء العاشر ان يراعي الانصاف
ويعامل بما لو عامله به غيره لرضي الحادي عشر اصلاح ذات البين
ولا يؤخر في فصول الخصومات الثاني عشر ان لا يستكشف معائب
الناس ولا يتجسس عن ذلك منهم ولا يؤذيهم في كل ذلك وكلما عرف من مسلم
منكرا منهم يستره الثالث عشر ان لا يفعل الشبهات حتى تجاسر
الناس عن المنكرات وان يحترز عن مواضع التهم وان ابتلي بمعصية
فليستره لان الناس على دين ملوكهم وربما يقتدون به الرابع عشر
ان يقضي الحاجات ان احتاج الى شفاعة الحاكم ولا يهمل فيها وان يعلم
الغنيمة في ان المهمات العظام تتم بكلمة واحدة منه الخامس عشر ان
يكثر من مجالسة الصلحاء والفقراء واهل الله ويصقل مرآة قلبه كل
يوم بمواعظهم ونصائحهم ويرجح جانب الضعفاء والفقراء على جانب
الاقوياء والاغنياء السادس عشر ان يتفقد احوال الضعفاء
والفقراء والارامل واليتامى ويسد فاقتهم ويذكر يوما لا ينفع المال
السابع عشر ان ينصب الرقباء في المواضع الخالية عن العمارة و
يدفع استيلاء قاطع الطريق ويأخذهم وينكلهم بنكال يكون عبرة لاخرين
الثامن عشر ان لا يهمل في بناء الربط والجسور في مواضع الحاجة

التاسع عشر ان يبني مساجد ويعين نفقة ائمتها ومؤذنيها لئلا يمنع
طلب معايشهم عن الاقامة بوظائفهم العشرون ان لا يترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وينصح العالم والخاص ويامرهم بالطاعة وينهاهم عن المعاصي
بالسياسة وفي الخبر مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحفظها بنصيحة الا لم يجد
رائحة الجنة واما حقوق اهل الذمة فعشرون ايضا وقد كتبها في وصيته
عمر بن الخطاب رضه في حق اهل الذمة حتى اباح دمهم ومالهم اذا خالفوها
وهي هذه وقد نقلها السيد علي الهمداني قدس سره في كتاب ذخيرة الملوك
الاول ان لا يجددوا في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة الثاني ان لا يجددوا
ما انهدم منها الثالث ان لا يمنعوا المسافرين من المسلمين عن ان ينزلوا
فيها الرابع ان لا يقصروا في ضيافة المسلمين الى ثلثة ايام ان مكثوا
فيها بقدر ثلثة ايام الخامس ان لا يتجسسوا احوال المسلمين
ويخبروا الى اهل الكفر السادس ان لا يمنعوا من يريد الاسلام من
اقاربهم السابع ان يحترموا المسلمين الثامن ان يتركوا مجالسهم
الى اهل الاسلام اذا حضروا وهم في مجالسهم التاسع ان لا يتشبهوا
المسلمين في لباسهم وزيهم العاشر ان لا يتسموا باسماء المسلمين
الحادي عشر ان لا يركبوا على فرس مسرج وملجم الثاني عشر
ان لا يحملوا القسي والسهام والسيوف وامثال ذلك الثالث عشر
ان لا يلبسوا خاتما له فص ونقش الرابع عشر ان لا يبيعوا الخمر ولا
يشربوها علانية الخامس عشر ان لا يتركوا لباس اهل الشرك
حتى يتميزوا بها عن المسلمين السادس عشر ان لا يظهروا الرسوم
والعادات الجارية بين اهل الشرك السابع عشر ان لا يبنوا الدور

والماكن

والماكن في جوار المسلمين الثامن عشر ان لا يدفنوا امواتهم قريبا
من مقابر المسلمين التاسع عشر ان لا يصيحوا عند مصيبتهم وان لا
يبكوا صراخا عند موت اقاربهم العشرون ان لا يشتروا عبيدا
مسلمين ثم قال في آخر الوصية فان خالفوا ما شرطوه فلا ذمة لهم
وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من اهل المعاندة والشقاق وانما
اطنبنا الكلام في بيان احوال الامام لكونها مما يحق ان يصرف اليه الاهتمام
والله ولي التوفيق والالهام واما وظيفة المملوك وسياسة الخدم
وآداب الاتباع فعليه اي يجب على المملوك ممن عاشر الملوك
ان يباشر غاية التعظيم ونهاية التوقير وغاية الامتثال للاوامر
والنواهي بقدر الطاقة قال النبي صلعم من فارق الجماعة واستذل
الامارة لقي الله ولا وجه له عنده وعليه الملازمة لمجلسه بلا املال
ومن لم يسم بخدمة الملوك فليحذر عن تقربهم فان في قربهم غوائل
كثيرة وشبهوه بدخول النار تارة والبحر اخرى ه اصحاب التوح
السلطان لا تعرضنه فما هو الا في الحقيقة نار وقيل ه وما السلطان
الا البحر قربا ه وقرب البحر محذور العواقب ه واما من تورط في هذه
البلية فليوطن نفسه على الهوان والذلة وليواظب على ما امر به
والتزمه ولا يقصر طرفه عما عين له ورسم عليه متوسطا في الملازمة
المملة والمجانبة المخلة وعليه التزيين اي طلب وجه حسن افعاله
فانه لا فعل في الدنيا الا وله جهتان حسنة وقبيحة فليستخرج
جهة الحسن وعليه المدح ايضا لما صدر عنه على وجه الصواب الا
من كان ذا المنزلة عند الامير ويكون من اصحاب التدبير كالمعلم والمشير

ومن يكون فى حكم الوزير فانّه يمدح فى الخلوة دون حضوره ويستعمل
الرّفق فى تغيير رأيه الفاسد وصرفه الى الصّواب بانواع الحيل
والحكايات وامثال السّلف فى اوقات الخلوات والتّنبيه على
سوء عاقبة ما يتأدّى اليه رأيه وتقبيح صورته وتزيين نقيضه
اليه ليحصل له بالتّدريج ما لا يتهيّأ بطريق الامر والنّهي فلا يسلكها
لانّ رأي السّلطان كسيل يجري من اعلى الجبل لا يمكن صرفه عن جهة
الى اخرى الّا بالتّدريج والحيل وعليه الكتمان لاسراره بان يتعوّد
اخفاء احواله الظّاهرة حتّى يسهل عليه حفظ الاسرار فيعتمد عليه
مخدومه عند الوقوف على حاله ولا يتّهمه عند فشو اسراره فانّ
اسرارهم كثيرة الانتشار بسبب توفّر الدّواعي على نقلها وامكان
الاستدلال من الاحوال الظّاهرة عليها لاتّصال الخلايا بالخفايا
قال النّبيّ اذا خدمت الملوك فالبس من التّوقّي اجلّ ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج اذا ما خرجت اخرس وعليه
اجتناب ارباب التّهمة والشّفاعة فيهم ليتقرّب الى قلوبهم وعليه
الايثار له بكلّ حظّ امّا فى الاوصاف كما اذا وقع قبيح دار فيه بينهما
احتال فى صرفه الى نفسه وتبرئة ذمّة المخدوم عنه فاذا برئ فكر
فيما تبرّئ به نفسه ايضا من الاسباب الخارجية الموضحة عذره فيه
وامّا فى الاموال كما يترك منافع المال ويتجاوز عنه مستخلصا
حظّ السّيّد وليتلطّف فى جذب المنافع عنه بترك الطّمع والحرص
واختيار القناعة فانّ الدّنيا كالظّلّ يقبل على من اعرض عنه فيتبعه
ويبعد عمّن قصده فيحذره فليستنفع بالمخدوم لا منه وعليه الموافقة

فى كل

فى كلّ شيء فانّ الخلف فى بعض الامور يحصل ذات الصّدور ويثبت
فى القلوب عرق النّفار فينتهي الى ما يوجب العار وعليه ترك الحرص
لئلا يذلّ فيطرح عن درجة الاعتبار وليتنفع به لا منه اي يجب ان
يستحصل منه اسباب المنافع ليعزّ عنده لا النّفع نفسه فيذلّ عنده
وليظهر انّ ماله ودمه مبذولان له بادنى اشارة لانّ هذا يحرّك
سلسلة الاخلاص وايضا اذا اعتقد منه البذل لا يطمع فى ماله
فانّ الممنوع محروص عليه والمبذول مملول منه وليجعلها اي الدّم والمال
فى زينته اي زينة الملك لا لتجمّل نفسه مروّة واستبقاء ولان يتّ
فيما يختصّ بامثاله اي بامثال المخدوم من الرّؤساء لانّ ذلك
يوجب الحسد الّذي يتولّد منه كسر العرض والجاه لانّ الحسود ديدنه
من سلب المحسود منه لا يؤخّره اصلا وليحترز منه اي من مولاه عند
غضبه ويسكت عند تمهيد العذر والثّناء عليه ريثما يسكت سورة
غضبه وينطفئ نائرة لهبه لانّ نار الغضب لا تبقي ولا تذر ثمّ
ليتلطّف فيما يوضح عذره ويستعطف قلبه قال النّبيّ صلعم اذا
استشاط السّلطان تسلّط الشّيطان ولا يشتكي منه اي من المولى
ان عتب عليه لانّ الشّكوى سبب للبلوى ولا فى ضميره اي لا يستبطن
البغض بل ليحتمل فيما يرضيه لانّ الملوك محدّثون وارباب الدّول
ملهمون واكثرهم ذوو الكياسة ومتمهّرون فى الفراسة وليتحبّب اي
ليميل اليه بتواصل الخدمة بحيث يذكر آخرها اوّلها ولا يعوز حقّ خدمته
عليه فانّ السّلطان نسّاء للحقوق المنقطعة مقطوع الرّحم عن كلّ احد
وان جعله السّلطان اخا وازداده فى تقريبه فلا يغترّ بتقرّبه منه

بل جعله رتبا لیزداد الشفقة علیه واذا صار ذا منزلة عنده فلیقطع
الدعوات المتواترة والتضرعات المتوافرة لانه علامة الوحشة الا
فی الجماعة فان التقصیر فیها مضر ولیتوق عن خصومة بالاستقامة
ای لیحترز عن الاعداء ومکائدهم بالاستقامة فی امره سرا او جهرا
ولا شیء فی الخدمة اصعب من الوزارة فانه یغبط بمکانه ویکون
حساده اولیاء السلطان یعاشرونه فی الخلوات طامعین فی
منصبه منتهزی الفرص لرفعه وحطه عن محله ولا یضطرب بما یقال
فیه من الامور الموجبة للتهمة بل یتثبت ولا یلتفت مثلا اذا وقف
علی سعایة ساع او مکر ماکر فلیظهر انه غیر مبال به متجلدا متجرءا الا
یغضب علیه بحضرة الملک لئلا یتأکد تقریره وان حدث بینهم
جدال وتشاجر فلیحاججهم بالحلم والوقار لان الظفر للحلیم ولا یداخل فیما یسره
الملک منه لان ذلک سوء ادب ولا یسار بحضرته فان من یسار
عنده فیما لم یشعر به یغضب فلا سیما السلطان وان کلمه الملک
فلیقبل علیه بجوامعه وان سال غیره فلا یسرع فی الجواب لانه
یدل علی خفته واستخفافها وان اعزه الملک لا یطلب التقدم
علی الاقدمین ممن تقدمت خدمته وطالت عبودیته له فان
ذلک من اخلاق السفهاء وکیف یترفع علی من ربما یکون بینه
وبین الملک حق قدیم او سر او غیر ذلک مما لا یمکن تضییعه من
الوسائل فیتوافقان علی دفعه ویتصالحان علی قلعه ولیعلم ان
کل امرئ ملکا کان او مملوکا له الیف یؤانسه لمناسبة روحانیة
ومشاکلة جوهریة بینهما وان کان فی الظاهر بین مرتبتهما بون بعید

فلیتخذ

فلیتخذ الیف مخدومه مکرما له غایة الاکرام وان ارتای ما یکرهه
فلیوافقه ولا یطمع فی مساعدته ایاه فانه السلطان لا یهوای الی ههنا
وظیفة المملوک واعلم ان الانسان ان قاس نفسه علی اعداه فعلی
ثلثة اصناف لانه اما ان یکون فوقهم فی الکمال کالملوک وامثالهم
فیحافظ حاله معهم لئلا ینحط عنهم وقد مر هذا الصنف ایضا واما ان یکون
مساویا لهم فی الکمال وقد عبر المص عن هذا الصنف بالامثال فقال
واما الامثال فثلثة اصناف لان الاحوال الجاریة علیهم اما
بالنسبة الی الاصدقاء فهو الصنف الاول او الی الاعداء فهو
الصنف الثانی او الی من لا یکون صدیقا ولا عدوا فهم المعارف
وهو الصنف الثالث والصنف الاول الاصدقاء وهم قسمان
اما ان لا یکون صداقتهم حقیقیة بل یکون بالتصنع والتملق وهو القسم
الاول او یکون صداقتهم حقیقیة وهو القسم الثانی والاول ینبغی
ان یحسن الیهم فی الاقوال والافعال ویواسی آیاهم بقدر الوسع
والامکان ویداریهم بالملاطفة واظهار الطلاقة لان المداراة
کما قیل نصف العلم ویهادیهم الهدایا کما قال النبی صلعم تهادوا تحابوا
وعن عائشة رضه قالت اللطفة عطفة تزرع فی القلوب المحبة و
الالفة وفی الاثر الهدیة تجلب المودة الی القلب ویهش معهم
ای یعاملهم بالبشاشة وطلاقة الوجه والبشاشة ویتعهد
متعلقهم ای یقضی حوائج اقاربهم ومن یتعلق بهم ویعاونهم فی
السراء والضراء واوقات الشدائد ویکافیهم اذا احسنوا الیه بالخیر ای
ببذل المال ونحو وعفو ذنوبهم ای اذا اذنبوا الیه یقبل الصفح عن الذنوب

يغطي كل العيوب قال النبي صلعم من لم يقبل من المتعذر عذرا صادقا
او كاذبا لم يرد علي الحوض ويقل عتابهم اذا اساؤا فان من شيم اولي
الالباب ترك اللوم والعتاب الا اذا تيقن الاستصلاح اي
استصلاحهم بالعتاب والخطاب ويكتم السر والمال منهم اما المال
فكما قيل استر ذهبك وذهابك ومذهبك واما غيره من منافعه
وسائر ما يستر من احواله كما قيل سرك اسيرك فاذا تكلمت كنت
اسيره هذا ان اريد بكتمان السر ستر نفسه واما ان اريد ما يعم هذا
السر وستر غيره فذلك لما قيل ان اشاعة السر ذميمة بل قد يصير
نميمة وقد قيل من نم لك نم عليك هذا الكل في الصديق الغير الحقيقي
واما القسم الثاني الذي هو الصديق الحقيقي وهو الذي يكون بينهما مناسبة
ذاتية يقتضي مخالطة ذوقية ومعاشرة شوقية ويكون سبب صداقتهم
الخير المحض والحب الصرف والالتذاذ الحقيقي الالهي دون الطبيعي الحيواني
فيشارك معه في الخيرات بل يؤثرهم على نفسه ولعمري ان وجود هذه
الصداقة اعز من مخ البعوض وان وجد هذا الصديق فيسقط معه
التكلف لما قيل شرط الالفة ترك الكلفة واما لا يتكلف له فانه
نفسه ولا يتكلف الشخص لنفسه وذلك لان الصديق الصدوق
والشفيق الشقيق عينك عند التحقيق ونفسه نفسك فنزله
منزلة روحك واجعل لقاءه اجل فتوحك فانه عونك في احوالك
وخليفتك في رهطك واموالك واعلم ان الصداقة الحقيقية لا توجد
الا بين اثنين وان امكن فالاكتفاء بواحد اولى اذ السعي في مهم
البعض يوجب التقاعد من مصالح الباقين ولا شيء انفس واعظم

قدرا من الصداقة التامة والمحبة البالغة ولا شيء من نعيم الدنيا
طيبا تاما يوازن لذة ساعة من ملاقاة حبيب يوافقك ظاهرا
وباطنا ولا يعارض نعيم من منافع الدارين راحة لحظة من مصافاة خليل
يساعدك عاجلا وآجلا فطوبى لمن ظفر به وتخلى عن ملك العالم
وحبذا من انضم اليه وتعوذ عما يعادي ويسالم ولكن عليك بالاحتياط
والاهتمام ولا تغتر بمن يتصنع وتفتتن بمن يتملق واحترز
عن ان تستسمن ذا ورم او تنفخ في غير ضرم فان محبة شيطان
مارد ضرب في حديد بارد وجب لمن يظهر لك الصداقة بان
تتعرف اولا معاملته مع ابويه ثم اقرانه واقربائه فان من يركب
متن العقوق يرغب عن سمت الحقوق وان تمتحن سيرته في شكر
النعم وكفرانها ولا يلزم المكافاة اذ قد تفوت لعدم امكانها ثم
اختبر حرصه على المال والمقتنيات وميله الى اللذات والشهوات
اذ الشهواني يتلون في احواله ويتخلف عن احواله واقواله وكم من
اصدقاء خواص انتهت معاملتهم الى الحزبين المعلومين
فتهارشوا معاندين وتناوشوا متعاندين ثم اختبر حبه للرياسة
فانه يوجب استخفاف الاصدقاء وعدم الانصاف في معاشرة
الاوداء ثم تنظر في شغفه الى الملاهي والملاعب لعدم احتمال
اهلها المتاعب وليحترز عن تتبع صغار العيوب والا لم يجد
صديقا حميدا ويبقى فريدا وحيدا واذا وجد الصديق على المنوال
المذكور فليوافقه في السراء والضراء ويعاونهم في البلاء
ويواسيهم في النعماء ويلاقيهم بالبشر والرواء وبالتحية والثناء

ولكن لا مسرفاً فيؤذن بالملق ولا متكلفاً فيشعر بالنفاق ويجب
المقاسمة في كل ماله على التساوي بلا منّ او رجحان في طرفه ويجب
المواساة في الضراء بل هو ادل على الصداقة منها في السراء كما قيل
دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة بل في الشدائد تعرف الاخوان وان
آنس منه قصوراً نس فليمح اثره عن قلبه على طريق الملاطفة ويداوم
على مراعاة جانبه في جميع الاحوال من جميع الوجوه فان كل شيء لم يتعهد
آل امره الى الفساد وربما ينقلب والعياذ بالله صداقته عداوة
واي خسار ازداد من ذلك لان ضرر نكايته من اعظم الآفات واخوف
المخافات وليحذر المراء فانه من اضر الاشياء بين الاصدقاء واياه
والبخل في علم اختص او صنعة مهر فيها الا ان المشاركة فيما يستلزم
انتفاعهما نفاذها واجبة فضلاً عما يزيد بالانفاق ويقل بالامساك
وليحذر اصحابه وكل من يتعلق به عن ازراء ما يتعلق بالصديق فضلاً
عن نفسه بحيث لا يمكن احداً من تقبيح او يتصل به كناية وصريحاً وجداً
وهزلاً واذا اطلع على عيب من صديقه فليواقفه موافقة يرشده
لا معنفاً عليه فانه خيانة مبتدئاً بالحكايات والامثال المنبهة
ثم التعريض ثم بالتصريح مع تقديم ما يؤكد العهود واطمينان القلب
والسكينة مكتتماً عن الاحباب والاقرباء فضلاً عن الاجانب
والبعداء وليحترز في حقه عن النمام وليقابله بالتعيير والملام
والصنف الثاني الاعداء وهم صنفان قريب وبعيد وكل
منهما اما كاشح كالحسود او ظاهر كالحقود والقريب اولى [illegible]
بشدة التوقي لاطلاعه على الاسرار ووقوفه على وجوه المضار فيسعى

في

في تجسسهم وازالة عداوتهم بالمواساة والتحمل والتلطف ان
امكن والا فالحذر من الزيادة بالمجاملة والمداراة والمودة المتكلفة
فان دفع الشر بالخير خير ودفعه بالشر شر وبالجملة يجب الاغضاء
والصفح عن هفواتهم والاحتراز عن المناقشة واظهار العداوة
والمنازعة فانه يوجب تنغيص العيش بكثرة تصورها والتفكر
في تدبيرها فيؤدي الى قصر الهم على دفع السوء والشر فيكون
ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين واما
البعيد فينبغي ان يعفو عنهم ان امكن وقال تعالى فمن عفى واصلح
فاجره على الله وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال النبي صلعم
ان العفو لا يزيد العبد الا عزاً ويداريهم بالمودة واللطف
المتكلف ويشكوهم الى الرؤساء ويوقع شكاياتهم في
مسامع الناس ليعرفوا عداوتهم حتى لا يصغي احد منهم
الى مزخرفات كلامهم في حقه فلا ينجح مساعيهم في السعاية و
غيرها ولا يقبلون قولهم في حقه ويحسن ان يتجسس عن آرائهم
ليطلع على ضمائرهم بالنقير والقطمير ويشتغل بالدفع والتدبير
ويحسن ايضاً ان يتجسس معايبهم ويخفيها ليوم ينفع اظهارها
فان افشاءها يوجب زيادة العداوة واعتياده به بحيث
لا ينفعل منه بل الاحسن ان يحسن الاظهار بتنبيهه على وقوفه منها
تخويفاً وايعاداً ليضعف رأيه ويجبن عن مقاومته خوف الفضيحة
وعند الاظهار في وقته يلازم الصدق فان الكذب يحول دون
كلامه عن القبول فيكون سبباً لغلبة الخصم وقوته ويلازم العدل

معهم فان الظلم قبيح وعاقبته وخيمة وفي الطف خلطائهم فانه مما يطلع على
عثراتهم ومزال اقدامهم وايضا مما يعين على الظفر تعرف عادات الاعداء
ومعارفاتهم وما هو سبب ضجرهم ولا بد في دفعهم كالسبق عليهم في فضيلة
مشتركة بينهم واحراز الكمال الحقيقي لينحطوا عن درجته فيفوز بسعادة
نفسه ودفع اعاديه كما سئل عن افلاطون بم ينتقم المرء عن عدوه قال
بان يزداد فضيلة في نفسه يريد ان هذه احسن الطرق في دفع العداة
واما الغلبة والسبق عليهم بارتكاب الطعن في اعراضهم والشماتة
بما ينوبهم من مكروه يمكن وقوعه به والشتم واللعن عليهم فحاشا وكلا
من ان يكسر عداوتهم بل يغير فاعل هذه اما الطعن والشتم فانهما
لا تضرهم وتبكي في نفسه لتشبهه بالسفهاء وتسليطهم على نفسه بامثالهما
واما الشماتة فانها دليل البطر وسعود اليه قال النبي صلعم لا تظهر الشماتة
لاخيك فيعافيه الله ويبتليك ولقد احسن من قال فقل للشامتين
بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا واذا اعتمد العدو عليه
والتجا اليه فلا يخونهم البتة اذ ربما يغلب عليه العدو الضعيف بسبب
الخيانة منه وقد ذم الله تعالى الخيانة في كتابه الكريم قال الله تعالى وان احد
من المشركين استجارك فاجره وقال النبي صلعم من استعاذكم بالله
فاعيذوه وقال النبي لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له
وبالجملة يعاملهم بالسيرة المحمودة من المروة وحسن العهد وليكن محمدة
الناس مخصوصة به دون نقائضها باعدائه وما دفع ضررهم فله ثلث
مراتب مرتبة ويدفع ضررهم اولا بالاستصلاح ان امكن والا
اصلاح ذات البين ثم الاجتناب عنهم ثانيا ببعد الجوار ان لم يندفع

ضررهم

ضررهم على طريق الشرع ثم القهر والقمع ثالثا لكن بشرائط هي ان يكون
بلا ظلم منه وذلك بان يكون شرارتهم طبعا بحيث لا يرجى صلاحهم
ويأس عن الخلاص منهم بطريق آخر وعلم بانهم لو ظفروا به لقهروا به اشد
من قهره لهم ومعاينة سعيهم في ازالة الخير منه ولا رذيلة اي بشرط
ان يكون الدفع بلا ارتكاب رذيلة في قهرهم كالغدر مثلا وان
لا يكون قهره وخيمة في الدنيا والآخرة ولو امكن مع حصول هذه الشرائط
قهرهم بعد واحد فليفوض اليه قال علي بن ابي طالب الخير بالخير والبادي
اكرم والشر بالشر والبادي اظلم وقال مالك مقابلة الفاسد
بالفاسد من تمام النظر قال الشاعر ٥ اذا انت اكرمت الكريم ملكته ٥
وان انت اكرمت اللئيم تمردا ٥ فوضع الندى في موضع السيف بالعلى
قبيح كوضع السيف في موضع الندى ٥ ويجب ان يعلم ان المحسود
من بين الاعادي ينبغي ان يكيد رغبته باظهار النعم والفضائل والمراء
فيما يوجب غبطته ما لم يستلزم رذيلة وليكن محترزا عن شره فانه لا ينقطع
ابدا واما الصنف الثالث وهم الذين ليسوا بصديق ولا عدو ويعبر
عنه المحض بقوله والمعارف ويختلف معاملتهم بحسب اختلاف اصنافهم
فيجب الرفد اي العطاء وحسن المحضر مع الكل اي مع كل من اصناف
المعارف ويجب التكبر مع المتكبر من المعارف لان التكبر على المتكبر
صدقة اذ لولاه لازدادوا كبرا وغرورا او توهموا اصابتهم في طريقهم
وحسبوا تعظيم الناس اياهم واجبا وعند الترفع عليهم انزجروا
عن فعلهم ووجدوا قبحه وربما امتنعوا منه وقال رسول الله صلعم تيه
على التائه حتى ينسى التائه تيهه ويجب اكرام النصحاء ومخالطتهم

بالبشاشة وحسن اللقاء واستماع كلامهم ويجب اكرام اهل الصلاح
واراد بهم الذين يتبرعون باصلاح ذات البين فليعظمهم بالثناء
والكرامات متدينا بدينهم متشبها بهم فاحمد سيرتهم بخلاف السفهاء
فليترك مجاورتهم ومخالطتهم وليعرض عن شتمهم ومعاملتهم غير
متوجع ولا متألم ولا مكترث بسفههم واذاهم قال الشاعر
وللكف عن شتم اللئيم تكرما ۝ اضر به من شتمه حين يشتم ۝ وقال آخر
واغفر عوراء الكريم ادخاره ۝ واعرض عن شتم اللئيم تكرما ويجب
الاستفادة من الفضلاء فليشتغل بالاستفادة منهم منخرطا في
سلكهم مجتهدا في الاتصال بهم مغتنما صحبتهم ويجب المساعدة
بالمال والخدمة لهم اي للفضلاء وليعد القدرة على معاونتهم
بكل ما امكن له ومساعدتهم بالاموال توفيقا عظيما ويجب تهذيب
اخلاق المتعلمين ان كانوا ذوي الطبائع الردية والشيم
الغير المرضية ودعاهم الى التحصيل نوع من الشره والجاه ويهذب
اخلاقهم بتنبيههم على معايبهم ومنعهم عما يتوسلون به من العلوم الى
مطالبهم الفاسدة ومقاصدهم الباطلة ۝ قال الشاعر فمن منح الجهال
علما اضاعه ۝ ومن منع المستوجبين فقد ظلم ۝ ويجب الشفقة عليهم
ان كانوا مستعدين راشدين متعينين ما بعثهم على طلب العلم
الا شوق الكمال فليختبر احوال استعداداتهم وطبائعهم واخلاقهم
فاذا وجدهم مستعدين لطلب الكمال فلا يمنعن العلم عنهم قطعا
بلا حمل منة ومؤنة ساعيا في فراغ خاطرهم ورفاغ معايشهم جادا
في اطعمتهم وازاحة عللهم بقدر الوسع ومن كان تلميذا فليجره (اجلبتهم)

عما لا يهم لكيلا يضيع عمره ويحرضه على ما يفيده ويجب اعطاء السائل
ومواساته بل يؤثره على نفسه ما لم يخل به وبعياله الا اذا الح (السائل فان رده اصلاح الا اذا كان شديد الشوق وطمع في غير محله صح)
فانه يمنعه عن طمعه لان ذلك خير له ويجب رحم الضعفاء والمظلومين
والاحسان اليهم بان يعين على مقاصدهم ومراداتهم ويظاهرهم
في مراماتهم ومآربهم وليعتده افاضة الخيرات في النية والقول
والفعل متشبها بالاول تعالى فانه منبع الخيرات ومفيض الجود والبركات
ويجب قضاء حوايج الناس ما امكن قال النبي صلعم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وضيفه قال علي رضي الله عنه
من لم يرض منه جاره ارتفعت بركة داره وقال الحسن البصري
ليس حسن الجوار كف الاذى بل صبر على الاذى قال الشاعر وكن
على الدهر معوانا لذي امل يرجو نداك فان الحر معوان ۝
واحسن اذا كان امكان ومقدرة ولن يدوم على الاحسان انسان
ويجب لزوم العادات الجارية بين المسلمين من التعازي و
التهاني والعيادات لانها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن الامور المعروفة في الدين والمستحسنة بين المسلمين ويجب
اظهار الفرح لفرحهم واظهار الغم لغمهم لان هذا من قبيل النصح للمسلمين
الذي هو من حقوق المسلم على المسلم لكن بحيث لا يخرج هذا الفرح
والغم الى حد النفاق فان ذلك مذموم بالاتفاق واذا وقع الفراغ
عن شرح هذه الاوراق ۝ بعون الله الملك الخلاق فلنختم الكلام
بوصية نافعة في تكميل الاخلاق ۝ وهي هذه واعلم ايها الاخ
الفاضل الكريم آتاك من اتاك ان تتخلق بهذه الاخلاق و

والفضائل وتستطيع بهذه الخصال والشمائل ثم تغتر وتعد نفسك
من جماهير الفضلاء وتحسب نفسك من دهماء الحكماء فتستلقي
على كتفيك وتمد قدميك وتظن انك احرزت الفضائل
بشطريها وملكت الكمالات بقطريها وفزت من مادية بقوطيها
وحصلت لنفسك الاوصاف الجميلة واعددت لحضرة
الحق الوسيلة وتقول ها انا قد برزت على لذاتي وتفرغت
عن تكميل ذاتي فيهب في دماغك اعاصير حب الرياسة
وتهتاج الى تكميل الخلق وتتقلد السياسة متكفلا لارشاد البرايا
وانت من غوايتك في بلايا تتذبذب الاحداث تحس بخلوه ونفسك
ممنوة بقبح الخرق هيهات هيهات ما خطر ببالك وهجس في
خيالك فانها همهمة الحسبان ووسوسة الشيطان يتلالؤ
منها مخايل الزور وينكشف عنها دلائل الغرور فلا يغرنك بالله
الغرور اين انت من سبحات انوار الجمال وسطوات بروق
العزة والجلال اجب داعي واصغ مناديه وتوجه الى نور حظيرة
القدس بعد احكام مباديه واستضئ بنور الله المبين واعتصم
بحبل الله المتين ليصير روحك روضة قدسية وقلبك
كعبة عرشية ويكون مظهر الحق الاعظم ومتجلى الملك الاكرم
وما الاول الذي انت فيه الا الجلية البرهان وما الثاني الذي
اشرت اليه الا بعزيمة الايمان فعليك بالتحقق بحقائق
الايمان للملك الديان والتعرض لنسائم فواتح الاحسان
فانه اساس الدين القويم ومنار المنهج المستقيم قال الله تعالى الذين

امنوا

امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
وهكذا الى ان تنزل منزلة الفناء وتصل الى قدس اللاهوت
والبقاء ولما فنيت الاثنينية وانتفت الانية حصلت
الوحدة الحقيقية ابدا وبطلت الكثرة الاعتبارية سرمدا شعر
اذا ما تجلى الحق والخلق طاغوت وباد الجن والنفس لم يبق
ناسوت وقام مقام الروح وجه منور تنور منه الكل فانهق
لاهوت وهنالك يقول الله سبحانه بلسان البقاء والدوام
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم
لك الحمد على ما هديتنا بالكتاب المبين ورزقتنا التمسك
بحبلك المتين ونسألك اللهم ان توفقنا للوصول
الى مراتب اصفيائك والنزول على بساط اوليائك
وان ترفع عنا حجب البشرية لنصير من الموحدين ونستريح
في سرادقات عزتك يوم الدين اللهم انا نبتهل اليك في ان
تصلي على زمرة اصفيائك خصوصا على رسولك محمد سيد
انبيائك وعلى آله واصحابه وذريته واحبابه افضل صلوة
وسلام وعلى من تبعهم باحسان الى يوم القيام قد وقع الفراغ
من تحريره وتصنيفه وترتيبه وترصيفه يوم الخميس السابع والعشرين
من شهر رمضان عمت ميامنه بالفضل والاحسان من شهور سنة ست
واربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية المصطفوية ووقع تحريره وتبييضه بمحروسة
قسطنطينية المحمية وانا الفقير احمد بن مصطفى بن خليل عفى عنهم الملك الجليل الشهير بطاشكبري
زاده جعل الله الهدى والتقى زاده واوفر كل يوم علمه وزاده

٩٢

وختم هذه في اليوم الحادي عشر في شهر ربيع الاول لسنة احدى وتسعين
والف على يد الفقير المذنب محمد بن مصطفى عفى الله عنهما وعن اسلافه
بدار الحديث سنو اغا الحرموم

م م م

طالعه وصححه قدر ما ادى اليه الفهم السقيم العبد الحقير عفت
عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه خلال سنة احدى وسبعين ومائة
بعد الالف في الهجرة النبوية بمدينة قسطنطينية المحمية
والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا
والصلوة على نبيه محمد واله
وعترته الطاهرين
والسلام

[illegible] ١١٩٥ [illegible]

رسالة مسماة بفاضحة الملحدين وناصحة الموحدين
للشيخ علاء الدين على بن محمد بن محمد البخارى الحنفى رحمه الله

الشيخ علاء الدّين البخارى على بن محمد بن محمد البخارى الحنفى
علامة الوقت ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة واخذ
عن ابيه وعمّه والشيخ سعد الدّين التفتازانى ورحل الى الاقطار
واخذ عن علماء عصره حتى برع فى المعقول وصار امام عصره
قدم القاهرة وتصدر للاقراء بها واخذ عنه غالب اهلها
وكان مع ما اشتمل عليه من العلم غاية فى الورع والزهد
والتحرى وعدم التردد الى بنى الدنيا مات فى رمضان
سنة احدى واربعين وثمانمائة من حسن المحاضرة
فى اخبار مصر والقاهرة
للامام السيوطى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتعال عما يقول الظالمون علوا كبيرا والصلوة والسلام
على نبينا الصادع بشيرا ونذيرا وعلى آله وعترته الحافظين للشريعة
وصحابته الناصرين لدينه وملته وبعد فيقول الفقير الى الله الغني مسعود
بن عمر المدعو بسعد التفتازاني هداه الله الى سواء الطريق واذاقه
حلاوة التحقيق لما رأيت اباطيل كتاب الفصوص انطلقت الحجج
على هذا النسق شعر كتاب الفصوص ضلال الامم ورين القلوب
لنقض الحكم كتاب اذا رضت ذاله وقد كان لحم طمى والنسج
وكان نبات الثرى يابس ورطب جميعا لديك العلم وعمت
ما عم الاولون والآخرون وهزت المهم بجزت عن العشر من دمنه
وعشر عشير وما ذاك دم اعلم ان الله تعالى برحمته خلق العباد
وبين لهم سبيل الرشاد وزينهم بالعقل نورا يهتدون به
الى معرفته وحجة توصلهم الى الجنة بالاستدلال على وجود الصانع
بالمصنوعات والنظر فيما يجوز ويستحيل عليه من الافعال والصفات
وفي ان ارسال الرسل من افعاله الجائزة وانه قادر على تعريف
صدقهم بالمعجزة وعند ذلك ينتهي تصرف العقل لعدم استقلاله
بمعرفة المعاد وما يحصل به السعادة والشقاوة هنالك للعباد
وانما يستقل بمعرفة الله تعالى وصدق الرسول ثم ينزل النفس
ويتلقى من النبي ما يقوله في احكام الدنيا والآخرة بالقبول
اذ لا ينطبق بما يحيله العقل بالبديهة والبرهان لامتناع ثبوت

ما حكم

ما تحكم حجة الله عليه بالبطلان فلا مجال في مورد الشرع ولا في طور الولاية
والكشف لما يحكم العقل عليه بانه محال بل يجب ان يكون كل منهما في
حيز الامكان والاحتمال غير ان الشرع يرد بما لا يدركه العقل بالاستقلال
وبالكشف يظهر ما ليس للعقل ينال لان الطريق اليه الكشف والعيان
دون بديهة العقل والبرهان لكن اذا عرض عليه لا يحكم عليه بالبطلان
لكونه في حيز الامكان وذلك كاضمحلال وجود ما سوى الله تعالى في الكائنات
في نظر العارفين الواصلين الى درجة الفناء في الفناء في التوحيد
عند تجليات انوار الواحد القهار اضمحلال نور الكواكب مع
وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار فلا يشاهدون في تلك الحال
غير وجود الله من الاشياء كما لا يشاهد في النهار غير الشمس من
الكواكب السماء ويسمون انفراد ذات الله تعالى من بين الموجودات
للذهول عنها بالوحدة المطلقة التي هي نهاية درجات اهل المعرفة
فالوحدة المطلقة عند اهل المعرفة اسم لما ذكرنا لا ما يزعمه الملحدة الكفرة
الوجودية من انها عبارة عن اعتقاد ان وجود الكائنات حتى وجود
الخبائث والقاذورات هو الله تعالى تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وان ذوات الممكنات من الارض والسموات و
ما بينهما من الكائنات على ما ذهب اليه السوفسطائية سراب
خيال لا حقيقة لها ويتزندقون بتلك السفسطة النافية لدين الاسلام
ولزوم الامكان باحالته على الكشف ويتفوهون بان درجة
الكشف وراء طور العقل وانت خبير بان مرتبة الكشف نيل
ما ليس للعقل ينال لا نيل ما هو بديهة العقل محال ولا ينبغي ان

انفراد

ان يتوهم ان ذلك من قبيل ما ليس للعقل ينال بل هو مستحيل و
للعقل في ابطاله ممكن و مجال اذا الطريق اليه التصور ثم التصديق
بالبطلان و ذلك وظيفة العقل بالبديهة او البرهان واما
الامور الممكنة الكسبية فيجعلها العقل في حظيرة الامكان ولا يحكم
عليها بالبطلان ثم ان ما يناله الكشف ولا يناله العقل عبارة عندهم
عن الممكن الذي الطريق اليه العيان دون البرهان لا المحال الممتنع
الوجود في الاعيان اذ الكشف لا يجعل الممتنع متصفا بالامكان
موجودا في الاعيان لان قلب الحقائق بين الامتناع والبطلان
فلو تخايل حصول المحال بالكشف والعيان ككون الوجود المطلق
واحدا شخصيا وموجودا خارجيا وكونه الواحد الشخصي منبسطا
في المظاهر متكررا عليها بلا مخالطة متكثرا في النواظر بلا انفصام
فذلك شعوذة الخيال وخديعة الشيطان ومنشأ الغلط عدم
التفرقة بين ما احاله العقل كهذه المذكورات وبين ما لا يناله
العقل كاضمحلال وجود الكائنات عند سطوع التجليات وانما ينال
ذلك اما بجذبة الهية او برياضة في متابعة لحضرة النبوة في
الوظائف العلمية والعملية والنيل هو الحصول الاتصالي
والعلم هو الحصول الادراكي ثم ان كلا مما لا يدركه العقل بالاستقلال
وما ليس له العقل ينال لما كان متوقفا على الاعلام والارشاد
من رب العالمين بعث الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين لبيان الاول وهو علم الشريعة صريحا وهو
للاشارة الى الثاني وهو علم الحقيقة رمزا وتلويحا كما يلوح
من القران المجيد كل شيء هالك الا وجهه الى درجة الفناء في الفناء

سطوع انوار التجليات

في التوحيد

في التوحيد ثم اكمل دين الاسلام بخاتم النبيين واتم نعمه على الانام
بمن ارسله رحمة للعالمين وبين ذلك عز سلطانه بيانا مبينا
بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا فمن يتبع هداه وشيع رضاه وامتنع عن الالحاد
في ايات الله تعالى وارتدع عن التزيغ في الاعتقاد كما اثبته
العقل وبينه رسول الله فقد استمسك بالعروة الوثقى و
تسنم ذروة الدرجات العلى وليس بان لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وفاز بالجنة التي وعد المتقون ومن رغب عن الرسل
والانبياء وحاد عن الامم المبتاء وحرم عن سعادة التوفيق
وركب ثنيات الطريق اقتفاء للفلاسفة السفهاء
واتباعا لهؤلاء الكفرة الاشقياء المنكرين للشرائع والملل
المجاهرين لتفاصيل الاديان والملل القائلين بانها نواميس
مؤلفة لانتظام امور الورى وحيل مزخرفة لا حقيقة
عليهم لعنة الله والملائكة والناس تترى فقد ضل وغوى
واستحب العمى على الهدى اثر الظلمات على الانوار واحل نفسه
دار البوار وخلع ربقة الدين بعنقه في الظنون وتبع رهطا
يصدون عن سبيل الله يبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون
ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم
الشيطان ووسوس اليهم بان ائمة الاسلام وعلماء الشرائع
والاحكام الذين هم اتباع الانبياء والرسل ظاهريون وعن
الوصول الى اسرار الشريعة قاصرون وعن معرفة زندقتهم التي سموها

علم الحقيقة عاطلون والواصل الى سر الشريعة انما هو الفلاسفة
لانهم الحكماء المحققون والاذكياء المدققون فيعرفهم بدقة نظرهم و
عقولهم وحسن تمهيد اصولهم في علومهم المنطقية والهندسية واستعدادهم وهم
باستخراج هذه الامور الخفية على ان اتباع اولئك الاذكياء والترفع
عن موافقة الجماهير والدهماء وعن القناعة بالمعتقد مسائل بالمعتقد
المتلقف عن الانبياء بالتقليد ونحو تقليد ائمة الاسلام والعلماء
والشروع في تقليد اولئك الكفرة السفهاء الحيارى الى اغمار اهل
التحقيق والانخراط في سلك ارباب السداد فيجانبها يصرف
عقولهم في المعالم الدينية والعقائد الاخروية التي لا يهتدي اليها
العقل الا باعلام النبي صلى الله عليه وسلم من الحضرة الالهية على ما
يشهد بذلك من القرآن قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان على يصرف
عقولهم في علومهم العقلية التي الطريق اليه البديهة والبرهان
ولا يخفى على معاشر العقلاء ان ذلك قياس بين البطلان
فالمعتدون المعولون على مجرد عقولهم في العقائد الدينية هم
السفهاء الجاهلون اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
واتباعهم في ذلك هو العمه والعمى والحماقة العظمى لا سيما
اتباع اضلهم واشقاهم وتقليد اجهلهم واغباهم كما هو دأب
الزنادقة المتصوفة المقلدين الكفرة الوجودية المتفلسفة
الذين لا يعتد بهم لا في الاسلام ولا في الفلسفة والملاحدة و
السوفسطائية المكابرين لبديهة العقول المتجاهرين بالتخيل

قواطع

قواطع المعقول والمنقول القائلين بالوهية جميع الكائنات النافين
في الحقيقة وجود رب خالق الارض والسموات المكذبين لجميع ما نطق
به الكتب المنزلة من السماء المشركين في ادعاء التوحيد جميع الاشياء
الهادمين لملة الرسل من لدن آدم الى خاتم الانبياء زعماء اولئك
الجهلة المتصوفة ان زندقة المتفلسفة الوجودية الباطلة
ببديهة العلوم الضرورية هي الوسيلة الى معرفة الوحدة المطلقة
التي هي نهاية درجات اهل المعرفة هيهات انهم لفي ضلال مبين
وفي جهال قوم عمين حيث زعموا ان الوحدة المطلقة هي الشرك
والزندقة وانه مما خفي على الملة ورؤساء الاسلام من الائمة
الاعلام وقادة الانام لم يصلوا اليها لانهم ظاهريون وعن معرفة
زندقتهم التي سموها علم الحقيقة عاطلون وانما وصل اليها المحققون
الذين هم بزعمهم الكفرة المتفلسفة الاقدمون واتباعهم الزنادقة
الملحدون الذين يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون لانهم في الظاهر
بالله مشركون وفي الحقيقة لوجود الله في الخارج منكرون وفي آيات
الله يلحدون وبملة الاسلام بل لملل جميع الانبياء مبطلون وهم
بذلك التوحيد اكفر الكافرين وبذلك التقليد اخسر الخاسرين
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين
ولا يصدنك عن آيات الله ودين الاسلام ولا يصرفنك عن اتباع
هدى الانبياء خوض بعض المتفلسفين في ذلك التعمق في هذه
الزندقة الهادمة لدين الاسلام وملة الانبياء فانه قد انسلخ من
الدين فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين وصار ائمة الكفرة

الالحاد

فى صور العلماء المسلمين فاضل فئة من الجاهلين وطائفة من طلبة
العلم المذبذبين واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه
الشيطان فكان من الغاوين فقلده تقليده الاتحاد قلادة من
باء بغرور اداً عماه دجى سوء الاعتقاد عن هدى الكتب المنزلة من
السماء والبله من العوام بمعزل عن فضيحة هذه المهواة اذ ليس
فى سجيتهم حب التكايس بالتشبه بذوى الضلالة فالبلاهة
ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء والعمى اقرب الى السلامة من حولاء
ثم اعلم ان صاحب الفصوص لقد تجاهر بالوقاحة العظمى و
جاوز بالمجازفة بالامد الاقصى حيث فضل نفسه الدنية بفرط
شقاوته على الذى آدم ومن دونه تحت لوائه بان جعل تكميل
الدين لبنة الذهب نفسه الغوى المبين ولبنة الفضة خاتم
النبيين بل كذب هذا رب العالمين حيث زعم ان الدين لم يكمل
بسيد المبعوث الى كافة العجم والعرب بل كان بقى فيه موضع لبنتين
لبنتان فضة وذهب فلبنة الفضة النبى الذى ختم به النبوة
ولبنة الذهب الولى الذى ختم به الولاية نفسه المبطل المرتاب الا
الاوقح من مسيلمة الكذاب حيث لم يرض ذلك الوقح الغادى
بما رضى به مسيلمة من ادعاء رتبة التنادى ولذا اسمته
الملاحدة من الاشقياء بخاتم الاولياء ويفضلونه لعنهم الله
على خاتم الرسل والانبياء ثم ان خيال الحشيش وخباط السوداء
حمله على ترويج الزندقة الشنعاء باختلاق رؤيا لا يصدقها الا
الاغبياء من الاغوياء وهى ما اودعها فى ديباجة الفصوص انه رأى النبى

صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد اعطاه الفصوص وامره باشاعته
بين الانام وهل سمعت عاقلاً يروج الزندقة المخالفة للعقل
والشرع الباطلة باسرها من الاصل والفرع بان النبى صلى الله عليه وسلم
بعد مضى ستمائة عام من وفاته صلى الله عليه وسلم امر فى المنام بما يهدم
ملته التى مهدها مدة ثلث وعشرين سنة الى آخر حياته ويجعل
الكتب المنزلة من السماء تدليساً لامر المبدإ والمعاد على
العالمين والرسل والانبياء مع الصادقين فى دعوى الالوهية
معاندين مجادلين ومسميين للعارفين بالله سفهاء جاهلين و
للعابدين لله اغوياء مشركين ولامر المبدإ والمعاد مدة
حياتهم على العباد مدلسين الى ان ازال ذلك التدليس
والتلبيس بعد انقضاء عهد الانبياء والمرسلين ذلك الحشاش
الغوى المبين ولا يخفى على معاشر العقلاء ان اختلاق
مثل هذه الرؤيا لنفسه وبث مثل تلك الدعوى شهادة صادقة
على الحكم عليه انه قد كان كذاباً حشاشاً كما وقع للاوباش
فقد صح عن صاحب المواقف عضد الملة والدين اعلى الله
درجته فى عليين انه لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب
الفصوص حين وصل هناك قال اتطمعون من صوفى يابس
المزاج تحرك فكه ويأكل الحشيش شيئاً غير الكفر وقد تبعه
فى ذلك ابن الفارض من حيث يقول امرنى النبى صلى الله عليه وسلم
فى المنام بتسمية التائية نظم السلوك ولا يخفى على العاقل
ان ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش اذ عندهم

ان وجود الكائنات هو الله فاذن الكل هو الله لا غير فلا نبي
ولا رسول ولا مرسل اليه ولا خفاء في امتناع النوم على الواجب
وفي امتناع افتقار الواجب الى ان يأمره النبي شيئاً في المنام لكن
لما كان لكل ساقط لاقطة ترى طائفة من الجهال ذلت لهم اعناقهم
خاضعين افراداً وازواجاً وشرذمة من الضلال يدخلون في خوف
فسوق الكفر بعد الايمان زمراً وافواجاً مع انهم يرون انه اتخذ
آيات الله وما انذروا به هزواً واشرك جميع الممكنات حتى الخبائث
والقاذورات بمن لم يكن له كفواً احد لانهم يزعمون ان ما اشتمل عليه
كتاب الفصوص من الزندقة الهادمة لبنيان الدين المرصوص
اعاظم للكفرة المتفلسفة ولاتباعهم الزنادقة المتصوفة بالكشف
والعيان ولا يهتدون ان الكشف الذي يرده الشرع شعوذة الخيال
وفرقعة الشيطان ثم انهم اذا تتلى عليهم آيات الله البينات القاطعة
بانهم في ضلال مبين وعن صراط السوي من الناكبين الناطقة
بانهم يمرقون من دين الاسلام كما يمرق السهم من الرمية مارقون
ولاجماع الرسل والانبياء على ما تطابق به الكتب المنزلة من السماء
خارقون يلوون السنتهم في تأويلها لحناً في لحن وطعناً في الدين
ويخوضون في تفسيرها بما يطابق نحلة الملحدين ويخالف قواعد الاسلام
واجماع المفسرين فهم بذلك الذين في آيات الله يلحدون وبذلك
التفسير هم بانه كافرون اذ قد صح عن سيد البشر ان من فسر القرآن
برأيه فقد كفر وانعقد اجماع اهل العلم والاجتهاد بان صرف النصوص
عن ظواهرها الى معان يدعيها الباطنية زندقة والحاد واذا قيل لهم

ان الله

ان الله تعالى قد اكمل الدين بخاتم النبيين وجعل شريعته مؤبدة الى
يوم الدين والزيادة على الكمال نقص واختلال فضلاً عن هدم الشريعة
المؤبدة فانه ذلك كفر وضلال يخدعون الجهلة بتشبيه الالحاد في
آيات الله بما يهدم دين الاسلام باجتهاد المجتهدين في تقييد
الاطلاق وتعميم خصوص الاحكام وشتان ما بين الاجتهاد لتقييد
الاطلاق وتعميم الخصوص وبين الالحاد والهادم لبنيان الدين المرصوص
جعل بضاعتهم المكابرة لبديهة العقول وكل صناعتهم الالحاد في قول
الله وقول الرسول لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وفي الضلال
البعيد تائهون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله
قلوبهم الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ثم ان عامة اولئك
الملاحدة المتصوفة المقلدين للكفرة الوجودية المتفلسفة يجا
هرون بالوهية جميع الممكنات حتى الخبائث والقاذورات
وباباحة جميع المحرمات وباضاعة الصوم والصلوة ويتسترها منهم
باظهار شعار الاسلام واقام الصلوة والصوم وتمويه الالحاد بزي
النسك والتقشف وترويج الزندقة بتسميتها بعلم التصوف
وهم الذين وصفهم سيد البشر وخير البرية انهم قوم في الصورة
في الدين يحقر احدكم صلاته وصومه عند صلاتهم وصيامهم ثم
يمرقون كما يمرق السهم من الرمية فتستميل بتسويل ذلك الاثم
الجليل وتدليس الكفر باظهار الفعل الجميل كثيراً من اهل الاسلام
ويضلهم عن سواء السبيل لاسيما اذا استدرج الله تعالى منهم
طائفة من حيث لا يعلمون وادرج الكتاب على انهم لا يموتون

الا وهم كافرون فاظهر شيئاً من خوارق العادات على بعض اولئك
الملاحدة الضلال كما يظهرها على الكفرة من الرهابين والدجال فهنالك
الجهال يعتقدون ذلك الزنديق صدّيقا بل يتخذون ذلك الدجال
الها بالخضوع له حقيقة كما كان من قبلهم من المشركين على ما اخبر به رب العزة
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
وقد اتخذ الجلال الرومي من هولاء شمس التبريزي الها حيث
قال بالفارسية شمس من خداى من عمر من وبقاى من از تو بجوى
رسيده، اى حق حق گذار، من ترجمة شمسي والهي عمري وبقائي
منك وصلت الى الحق يا صاحب المؤدي للحق فاطلق اسم الاله والحق
على التبريزي وحاصل كلامه انه يقول للتبريزي انت الهي الذي
اوصلتني الى الحق وانت الحق الذي اديت حقي حيث علمتني
مذهب الوجودية وعرفتني انك وجميع الكائنات اله ولولا
انت لكنت اعتقد كما يعتقد اتباع الرسل والانبياء من الائمة
والعلماء والجماهير والدهماء ان الله تعالى هو غير وجود الكائنات
خالق للمخلوقات موجد للموجودات الحادثة على ما ثبت بقواطع
العقل والآراء ونطق به الكتب المنزلة من السماء واجمع عليه
جميع الرسل والانبياء وحينئذ كنت من القاصرين الاباطيل
لا من المحققين الواصلين ولا يخفى على احاد معاشر المسلمين
فضلا عن ائمة الدين ورؤساء الحق واليقين ان من تدين
بهذا الضلال المبين وتبجح بهذا المذهب الباطل اللعين فقد

سجل

سجّل على نفسه وان عبد عبادة اهل الارض والسموات
وظهر عليه خوارق العادات بانه اكفر الكافرين واخسر الخاسرين
واياك ان تصغى الى ما يقوله اتباع الزنادقة بحثه من ان
صدور هذا الكلام وامثاله عنه انما كان حال غليان الوجد
والسكولات السكر والوجد الرباني انما يكون في حال الفناء
في الفناء في التوحيد وهي عبارة عن حال العارف يضمحل عندها
في نظره وجود ما سوى الله تعالى من الموجودات ويحصل الذهول
عن جميع الممكنات حتى عن نفسه وعن احواله الظاهرة والباطنة
فكيف يتصور خطور الغير بالبال فضلا عن اتخاذه الها متوددا
بالايصال نعم يصدر امثال هذه المقالات عن المتبطلين لتلك الزنادقة
المتستر باظهار التدين بالدين الرباني حال السكر الحاصل
من غليان الشيطان ثم ان الزنادقة يتمسكون بهذا البيت
وامثاله التي هي هذيان الحلوليين وهذيانات الملحدين في اتخاذ
شياطين الانس الها ويذرون وراء ظهورهم قوله تعالى
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون ولا يلتفتون الى قوله تعالى ولا يتخذ بعضنا
بعضا من دون الله فلا ينفع مع هولاء الجهلة السفلة الكلام
وانما النافع معهم العصا والضرب بالحسام المشرفي الصمصام
وسببا انخداع الجهال بخوارق العادات وانخلاعهم عن
دين الاسلام جهلهم بان لا عبرة بخوارق العادات وان كانت
ملء الارض والسموات اذا لم تكن العقيدة معقودة على ما

الحلوليين

اربابا صح

ما ورد به الكتاب والسنة والمطوية منطوية على ما انعقد عليه
اجماع الامة اذ الخوارق كما تظهر على النبي عم وهو معجزة وعلى الولي
وهي كرامات كذلك قد تظهر على الكافر كالرهابين والدجال وهي استدراج
يغتر به الجهال فيصبحون كفارا مرتدين وزنادقة ملحدين بعد
ان كانوا حنفاء لله مسلمين وحينئذ تصير راية الغواية خافقة
مرفوعة والوية الهداية خافضة موضوعة ويظهر بسببهم الملحدين
ويعبدون في دار الاسلام بالاصيل والعشار كعبدة الاصنام
والمشركون واعلم ان للمحققين العارفين من ائمة الدين على ما
ذكره الامام حجة الاسلام في افاضة وجود الممكنات من رب العالمين
كلاما ربما يتوهم القاصرون في العلوم العقلية انه كلام الوجودية
وليس كذلك وهو ان افاضة الوجود من الجود الالهي بالاختيار
لا بالايجاب على الماهيات القابلة للوجود وانبساطه فيها ليس
كفيضان الماء من الاناء على اليد فان ذلك بانفصاله عن الاناء
واتصاله باليد وانما هو كفيضان نور الشمس على بسيط الارض
من غير انفصال شعاع من جرم الشمس واتصال ببسيط الارض
لا على ما توهم البعض من ان ذلك ايضا باتصال وانفصال
بل نور الشمس سبب لحدوث شيء على بسيط الارض يناسبه في النورية
وان كان النور المنبسط على البسيط اضعف من نورها فليس هنا
الا مجرد سببية من غير انفصال واتصال كذلك الوجود الالهي سبب لحدوث
الوجود في قوابل الوجود ويعبر عن ذلك بالفيض فهؤلاء العارفون
جعلوا وجودات القوابل حادثة حاصلة من الوجود الالهي

الجود

مسببة

مسببة عنه لا انهم جعلوا الوجود المطلق الذي هو الواجب عند
الوجودية عين وجود القوابل منبسطا فيها بمعنى تكثره بالاضافات
لا من حيث الذات على ما ذهب اليه الوجودية ولما كان الكلامان
المتشابهين من حيث الظاهر عند الضعفاء حمل بعض المتعصبين
لزنادقة الوجودية المتحلين باظهار التدين بالملة الحنيفية اقاويل
الملاحدة على ما ذهب اليه العارفون ليتستر بذلك اقاويلهم ويتوسل
الى استنزال القلوب الى قبول اباطيلهم فقال المراد من انبساط
الوجود المطلق في المظاهر انبساط فيضه على القوابل وانت
خبير بان تصريحهم بان معنى انبساطه في المظاهر اضافته اليها
وبان عبدة الاصنام ما عبدوا الا اياه وان كل من ادعى
الالوهية فهو صادق في دعواه وان التكثر في الموجودات
ليس بتكثر وجوداتها بل بتكثر الاضافات والتعينات الى
غير ذلك من هذياناتهم ينادي بان مرادهم ما ليس ما ذكر بل مرادهم
ان الوجود المطلق الذي هو عين ذات الله عندهم هو وجود
الممكنات والا لما صح لهم قولهم كل من عبد شيئا من الممكنات
فقد عبد الله تعالى اذ من البين ان فيض المعبود لا يكون الها
معبودا ولما صح لهم ايضا قولهم التكثر في الموجودات ليس بتكثر
الوجودات بل بتكثر الاضافات اذ لا امتناع بل لا نزاع في
تكثر الفيض بالذات على القوابل فلا حاجة في تكثير الاضافات
وانما الممتنع هو تكثر الواجب بالذات وهو المفتقر في التكثر
بالاعتبار الى تكثر الاضافات ثم ان اخواني في الدين واعواني

على نفرة الاسلام والمسلمين كثيرا ما يلتمسون منى ان يردوا اباطيل الفصوص
بالبراهين العقلية لا بقواطع النصوص لرد هولاء الملاحدة بالايمان و
كل حكم منصوص وكانوا يعدون ذلك فتحا فى الاسلام واعظم من الجهاد
مع عبدة الجبت والاصنام وكان يعوقنى عن الشروع فى ذلك المحرر
بعض العوايق والمعاذير الى ان وفقنى الله لما تحرر رسالة
مترجمة بفاضحة الملحدين وناصحة الموحدين كاشفة عن عوار
اباطيل المبطلين كافلة بابطال اقاويل المتزندقين ناعية عليهم
بانهم اكفر الكافرين بذلك الضلال المبين عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين وانا لا اناظر مع هولاء الذنادقة الوجودية
بالادلة السمعية ولا بروايات الكتب الفقهية ولا بفتاوى
الملة الحنفية اذ المناظر مع اهل هذه الاباطيل بتلك الدلائل والا
قاويل لا تجدى نفعا ولا تفيد ردا ولا دفعا لانهم فى آيات الله
يلحدون ولاحكامها يجحدون وبتفسيرها برأيهم يكفرون وفى
ائمة الاسلام يطعنون بانهم ظاهريون وعن معرفة حقيقة التوحيد
وسر الشريعة قاصرون وانما اكون انا ناظر معهم بالدلائل العقلية
القطعية التى تطابق الملية والمتفلسفة وتوافق ارباب الملل
والنحل على ان انكارها سفسطة وان كانوا لذلك ايضا منكرين
وببديهة العقول مكابرين لكنى قصدت بذلك ان يظهر على جميع
الانام من الخاص والعام ان اولئك الزنادقة المتصوفة
المتلقبين للكفرة الوجودية المتفلسفة يتيهون فى اودية
الضلال ويبهتون بالاباطيل المحال لا بآيات الله يهتدون

ولا بائمة الاسلام

وهو الامام الهمام علامة الانام صدر الشريعة والاحكام منهم

ولائمة الاسلام يقتدون ولا لبديهة العقل يتبعون فهم فى سكرتهم
يعمهون وفى رأيهم يترددون فلا ينفع ضرارهم غير العضب الحسام
ولا يقطع دابرهم سوى سيف ملوك الاسلام ولا يغرنك اشتمال
كتبهم ورسائلهم على المبالغة فى التوحيد بتقوى الله وبتصفية
القلوب عما سوى الله فانهم يذوقون بذلك التلبيس قلوبهم
ويدسون فى خلال ذلك زندقتهم واباطيلهم كدس الفلسفة
فلسفتها الباطلة فى خلال الحكمة المأخوذة من صحف الرسل
والانبياء المنزلة عليهم من السماء لينخدع بذلك سليم القلب
ويزعم ان الداعى الى هذا الطريق ليس هو الملحد الزنديق وانما
هو الموحد الصديق فيعتقد الالحاد ارشادا والزندقة رشادا
وسدادا والا فعند من يعتقد ان لا تحقق فى الخارج سوى
الوجود المطلق من الاشياء بل كلها خيال وسراب فلا حقيقة
عنده لا للحلال ولا للحرام ولا لغيرهما من الاحكام ولا للعذاب
ولا للعقاب ولا للكتاب ولا للحساب بل الكل عندهم خيال
وسراب ثم انهم يناقضون انفسهم فيثبتون العذاب حقيقة
لكن على خلاف ما هو فى اللغة والشرع فيجعلونه مشتقا من
العذوبة فلا مشقة فيه ولا عقوبة ويقولون ان اهل النار
فى الجحيم كالسمك فى الماء من اهل النعيم فظهر بذلك انهم يتجلون
بنواميس الشريعة تسترا او يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ترؤسا وتصدرا او انى يهتدى بالحكمة وفصل الخطاب
من سبق عليه الكتاب واغلق عليه الباب وحقت عليه كلمة العذاب

ولا ائمة ع

[illegible]

مطلب العذاب مشتق من العذوبة

ركيس روالشيخ مغلوبا فبابه نصر ... / تمدد قدره تعالى والله ارحم ... / اى ... وحم ...

واركسه رب الارباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة انك انت الوهاب وقبل الشروع في تفصيل
طاماتهم وابطال شكوكهم وشبهاتهم نمهد مقدمة ترشد الى بطلان
اوهامهم وزعماتهم فنقول وبالله التوفيق سائلا منه الهداية الى سواء
الطريق اعلم ان اساس دين الاسلام وهو معرفة الله بالاستدلال
على وجوده بوجود مصنوعاته انما يتوقف على ثبوت حقايق الاشياء
ثم عليه يبتني ايضا ثبوت ذوات الانبياء وشرايعهم المنزلة
عليهم من السماء وثبوت الجنة والنار والثواب والعقاب
في دار الجزاء ولذلك ترى ائمة الاسلام يصدرون كتب علم الكلام
ببيان ثبوت حقايق الاشياء ردا على السوفسطائية المكابرين
في نفيها للحس وبديهة الاراء اذ كل من الحس والعقل والشرع
يشهد بان حقايق الاشياء ثابتة والعلم بها متحقق فلا ينبغي
ان يتوهم من سبق العدم ولحوق الفناء للممكنات في دار التكليف
ولا من اضمحلالها في نظر العارفين حال الفناء في التوحيد كاضمحلال
نور الكواكب عند ظهور الشمس ان لا حقيقة للاشياء وانها كالسراب
والخيال فان من حكم على الكواكب بناء على اضمحلال نورها عند طلوع
الشمس لا حقيقة لها فانها كالخيال والسراب فقد سجل على غباوة
[illegible] وسخافة عقله عند اولي الالباب لان معتقدهم ان
اعيان الاكوان اي الموجودات الخارجية من الارض والسموات
وما بينهما من الكائنات اعيان ثابتة في علم الله تعالى الذي هو الوجود
المطلق عندهم لا في الخارج بل هي في الخارج خيال وسراب وكذلك تعيناتها

مطلب: اساس دين الاسلام معرفة الله تعالى بالاستدلال

تعين

تعين علمي لا تعين عيني وانت خبير بان ذلك مع انه سفسطة
سوفسطائية ومكابرة بحكم الحس وبديهة العقل مستلزم لاحد
المحالين الباطلين وذلك لانهم ان ارادوا بالاعيان
الثابتة في علم الله تعالى ان علم الله تعالى ظرف لثبوت ذوات
الاعيان من الاجسام فذلك بين البطلان لاستحالة كون الصفة
وهي العلم ظرفا لتحقق الاعيان وان ارادوا بذلك تعلق علم الله تعالى
بثبوت الاعيان من غير ان يكون للاعيان ثبوت في الخارج فيلزم
ان يكون الله تعالى قد علم شيئا على خلاف ما هو في الخارج فذلك هو
الضلال البعيد والكفر الذي ليس عليه مزيد لان ذلك يكون جهلا
لا علما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا على ان انكار تحقق الكائنات
في الخارج كما انه مكابرة للامر المحسوس كذلك انكار للحكم المنصوص
فان قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه يدل على تحققها قبل هلاكها فان
الهلاك لا يكون الا بعد التحقق والثبوت في الخارج وبهذا يظهر
انه يجب ان يكون المراد من الباطل في قول لبيد الا كل شيء ما خلا
الله باطل هو الهلاك بعد الوجود والثبوت ثم انه قد اطبق العقلاء
من المليين المسلمين والفلاسفة المسمين بالحكماء على ان التعين من صفات
هوية الموجودات الخارجية وانهم اختلفوا في انه من صفاتها من
حيث انه موجودة في الخارج فيكون التعين ايضا موجودا
خارجيا او من حيث ان تلك الموجودات الخارجية موجودة
في الذهن فيكون التعين تعينا موجودا ذهنيا وعلميا لا خارجيا
لكنه من لوازم الموجودات الخارجية وبالجملة فالتعين سواء كان

وبهذا

موجوداً خارجياً وموجوداً علمياً من صفات الموجودات الخارجية
فإذن القول بتحقق تعين الأعيان في الخارج قول بتعين الأعيان
فلو كان التعين علمياً لا عينياً مع القول بعدم تحقق تعين الأعيان
في الخارج كان جمعاً بين المتنافيين وهو محال لزم ما يفضي إلى المحال
محال فالقول بعدم تحقق تعين الأعيان في الخارج مح ولما كان مذهب
الوجودية لا يتم إلا بالتزام المحالات ومكابرات كادعاء بثبوت بالحكم
بديهة العقل بانتفائه وكانكار ما يحكم بديهة العقل بثبوته وكالتزام
مذهب السوفسطائية وكالالحاد في آيات الله وانكار ما اطبق عليه
العقلاء ارتكبوا جميع ذلك وجعلوا حصنهم المنيع أولاً في ترويج
ذلك الباطل الشنيع لما عجزوا عن إقامة البرهان ادعاء الكشف
والعيان وثانياً التعبير عن طاماتهم الباطلة بالعبارات
الهائلات والترهات المدهشات التي لم يعهد مثلها لا في السنة
ولا في الكتاب ولم يصدر عن أحد من الناطقين بفصل الخطاب الناطقة
ستراً لعوار زندقتهم وصوناً عن أن يقف على بطلانها بديهة
الآراء لكن بعد الوقوف على معانيها والاطلاع على اساسها و
مبانيها ترى أنها خارجة عن طريق العقل والشرع باطلة بأسرها من
الأصل والفرع وإن شئت أن تعاين ذلك التهويل الخالي عن
التحصيل فعليك بتفسير الفاتحة للصدر القونوي أما ادعاؤهم
بثبوت ما يحكم بديهة العقل بانتفائه فكادعائهم أن الوجود المطلق
واحد شخصي وموجود خارجي مع أنه من المبين المعلوم أنه من
الاعتبارات العقلية والمعقولات الثانية التي لا وجود لها

في الخارج

في الخارج أي الواقع في الدرجة الثانية من التعقل فإنا ما لم نتعقل
الماهيات كالإنسان والفرس والشجر والحجر لا يمكن أن نتعقل
أن لها وجوداً وأنها كلية أو جزئية ذاتية أو عرضية ولا وجود للمعقولات
الثانية لكونها كليات إلا في الذهن فادعاء كون الوجود المطلق مع أنه
من المعقولات الثانية واحداً شخصياً وموجوداً خارجياً مكابرة
لبديهة العقل الحاكم بانتفائه في الخارج وكادعائهم أن الوجود المطلق
مع أنهم جعلوه واحداً شخصياً منبسط في المظاهر متكثر عليها
بلا مخالطة متكثر في النواظر بلا انقسام فإن ذلك أيضاً
باطل ببديهة الأفهام لأن انبساط الشيء من حيث الذات
في الأشياء لا يكون إلا بانقسامه إليها انقسام الكلي إلى الجزئيات
فلو كان الوجود المطلق واحداً شخصياً وواجباً لامتنع أن ينقسم
ويمتنع انبساطه وأما انبساط فيضه على الأشياء فليس انبساط
الواجب إذ فيض الواجب ليس ذات الواجب كذلك تكرر
الواحد بالتشخص على الأشياء إنما يكون بحصولاته المتعاقبة
عليها وذلك لا يمكن إلا بتميز آناتها المتعاقبة وذلك هو المخالطة
فتكرر الواحد بالتشخص على الأشياء من غير مخالطة لها باطل أيضاً
ببديهة الأفهام وكذلك تكثر الشيء في النواظر لا يكون إلا
بانقسامه إلى الأجزاء أو الجزئيات فالتكثر في النواظر بدون
الانقسام باطل أيضاً ببديهة الأفهام على أن الوجود المطلق
لو كان واحداً شخصياً وهو وجود الكائنات لزم أن لا يكون
للواجب تأثير في الممكنات أصلاً فلا يكون خالق الأرض والسموات

وما بينهما من الكائنات اذ لا تأثير له حينئذ في وجودها لانه عين الواجب
عندهم ومن البين امتناع تأثير الشيء في نفسه ولانه ماهياتها
ايضا لان الماهيات عند الفلاسفة والمتفلسفة الوجودية غير
مجعولة بجعل الجاعل وذلك باطل قطعا لكونه تعطيلا للصانع ولزم
ايضا امتناع الاشتقاق الموجود من الموجود ايضا لان الصفة
انما تشتق من المعاني القائمة بالذات لا من الذات فلو كان
الوجود هو الواجب لكان ذاتا قائما بنفسه لا معنى قائما بالغير
صفة له ولزم ايضا امتناع تثنية الوجود وجمعه لانه حينئذ يكون
لفظ الوجود علما لذات الواجب ككلمة الجلالة ولا خفاء في امتناع
تثنية الجلالة وجمعها ولما صح اشتقاق الموجود والتثنية والجمع
للوجود لغة وعرفا وشرعا علم ان القول بان الله تعالى هو الوجود
باطل قطعا ولزم ايضا اتحاد الواجب بالممكنات من حيث الذات
اي من حيث الوجود الخارجي لما تقرر من ان الوجود متحد بالماهية
من حيث الذات مغاير لها من حيث المفهوم بمعنى ان المفهوم من
احدهما غير المفهوم من الآخر ولا خفاء في ان اتحاد الواجب بالممكن
وكونهما واحدا محال وكفر وضلال كما ان القول باتحاده بجميع
الكائنات ولزم ايضا ارتفاع التعدد المحسوس عن ذوات الممكنات
وعن صفاتها المتماثلة والمتضادة لان وحدة الوجود بالشخص
تستلزم وحدة ما يتحد به بالشخص والا يلزم اتحاد الواجب بالشخص
بامور متعددة فانه محال ولا يخفى ان القول بارتفاع التعدد
المحسوس عن ذوات الموجودات وصفاتها سفسطة يشهد

ببطلانها

ببطلانها كائنات الارض والسموات واما ادعاؤهم انتفاء ما يحكم
الحس وضرورة العقل بثبوته فكادعائهم انتفاء تكثر الوجودات
بالذات وانتفاء تحقق الوجودات بادعائهم ان اعيان الاكوان
يعنون بها الموجودات الخارجية اعيان ثابتة في علم الله تعالى لا
في الخارج وفي الخارج خيال وسراب فان ذلك مع انه سفسطة
باطلة الكل مذهب السوفسطائية مستلزم لهدم دين الاسلام
وبطلان الشرائع والاحكام على ما سنبينه في اثناء الكلام وما
الحادهم في آيات الله فلانه يلزم من القول بان الله تعالى هو وجود
الكائنات ان يكون خالق الارض والسموات وما بينهما من الكائنات لما مر
ويلزم من القول بكون اعيان الاكوان خيالا وسرابا لا حقيقة
لها في الخارج ان لا يكون للملائكة ورسلهم ولا للانبياء واممهم
ولا لشرائعهم وملتهم ولا للجنة والنار ولا للابشار
والانذار وللكتاب والحساب ولا للثواب والعقاب
تحقق في الخارج بل كلهم خيال وسراب قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب واما انكارهم لما اطبق
عليه العقلاء فلان العقلاء قد اطبقوا على ان حقيقة الله
غير مدرك بالعقول كيف وقد روي عن الاصفياء انهم
قالوا ما عرفناك حق معرفتك وليس ذلك الا للاستحالة عند
المحققين ولعدم الوقوع مع الامكان عند الآخرين وعلى انه
تعالى موجود في الخارج مبدأ للممكنات مؤثر في وجوداتها الحادثة
واحد حقيقي لا تكثر فيه اصلا لا بحسب الاجزاء الذهنية ولا الخارجية

والسموات صح

قال الجنيد رحمه الله اشرف كلمة في التوحيد ما قال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه سبحان من لم يجعل
لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن
معرفته
قاله الكرماني في رسالته

بطبعها ايضا

ولا بالجزئيات وثانيًا ان الوجود المطلق اعرف الاشياء معدودة
في ثواني المعقولات لا وجود له في الخارج مشترك بين الموجودات
مقول عليها بالتشكيك وله جزئيات كثيرة لا تكاد تتناهى و
هي وجودات الاشياء ولا خفاء في ان الاعتبار العقلي المعدوم في الخارج
المتكثر المنقسم الى الجزئيات يمتنع ان يكون واجب الوجود واله العالم
اذا تمهدت هذه المقدمات فنقول ذهب جمع من المتفلسفة
الذين لا يعتد بهم لا في الملة ولا في الفلسفة وقوم من المتصوفة
الى ان الله تعالى هو الوجود المطلق المنبسط في المظاهر اي الوجود
لا بشرط شيء اي غير مشروط بان يكون كوجود الانسان ووجود الفرس
متمسكين بالعقل والسمع اما العقل فلانه لا يجوز ان يكون
الواجب عدمًا ولا معدومًا وهو ظاهر ولا الوجود البحت الخاص
المخالف لوجود الممكن على ما ذهب اليه الفلاسفة من ان حقيقته
وجود خاص قائم بذاته عينًا وذهنًا من غير افتقار الى فاعل
يوجده او محل يقوم به في العقل وهو مخالف بالحقيقة للوجودات
الخاصة المختلفة بالحقائق للممكنات مشارك لها في كونه
معروضًا للوجود المطلق الذي هو الكون لا في الاعيان يعبر
عنه بالوجود البحت وبشرط لا بمعنى انه لا يقوم بحقيقة
ولو في العقل كما في وجود الممكنات لان الوجود الخاص ان
اخذ مع الوجود المطلق فمركب او المجرد المعروض فمحتاج
ضرورة احتياج المقيد الى المطلق وكذا لا يجوز الواجب
حقيقة موجودة على ما ذهب اليه المتكلمون من ان حقيقة الواجب

غير مدركة

غير مدركة للعقول مقتضية بذاتها الوجود الخاص المغاير لها بحسب
المفهوم دون الهوية كما في الممكنات لان الواجب ان كان
هو المجموع من الماهية والوجود لزم تركبه ولو في العقل وان كان
احدهما لزم احتياجه ضرورة احتياج الماهية في تحققها الى
الوجود واحتياج الوجود بعروضه الى الماهية واذا امتنع كون
الواجب العدم والمعدوم والوجود الخاص والحقيقة الموجودة
تعين انه الوجود المطلق وجوابه اما من جهة المتكلمين القائلين
بان الواجب الذات المعروض اي المقتضية للوجود فهي ان
الوجود هو الذات دون الذات والوجود فلا يلزم التركب
وان القادح في وجوب الوجود افتقار الذات الى غيره
في اعطاء الوجود له وافتقار الوجود الى غير الذات في حصوله
للذات لا افتقار الوجود الى تلك الذات لان معنى واجب
الوجود هو الذي ذاته وجوده واما من جهة الفلاسفة القائلين
بان الواجب هو الوجود الخاص المعروض للوجود المطلق
فان الواجب هو المعروض والمطلق هو المفتقر الى الغير
في الوجود دون العكس نعم اذا كان العام ذاتيًا للخاص
يفتقر الخاص اليه في تعقله اما اذا كان عارضًا للوجودات
الخاصة للواجب والممكنات فلا وقد صرحوا بان الوجودات
الخاصة كلها خصص مختلفة وحقائق متكثرة بانفسها لا بمجرد
عارض الاضافة كما في الوجود المطلق لتكون متماثلة متفقة الحقيقة
ولا بالفصول ليكون الوجود المطلق جنسًا لها بل هو عارض لها لازم

الهوية

بنفسه

كنور الشمس ونور السراج فانهما مختلفان بالحقيقة واللوازم مع انهما
مشتركان في عارض النور الا انه لما لم يكن لكل وجود خاص كما في اقسام
الممكن واقسام العرض ونحو ذلك توهم ان كثرة الوجودات وكونها
حصة انما هو بمجرد الاضافة الى الماهية المعروضة لها كبياض هذا الثلج
وذاك ونور هذا السراج وذاك وليس كذلك فاشتراك الوجودات
الخاصة للواجب والممكنات في مفهوم الكون اي الوجود المطلق
اشتراك المعروضات في امر خارجي غير مقوم فلا يكون الوجود الخاص
مفتقرا اليه لا في الخارج ولا في العقل ورد المتكلمون ما ذهب اليه الفلاسفة
بانا بعد ما نتصور الوجود الخاص المعروض المجرد نطلب وجوده في الاعيان
فيكون وجوده مجازا زائدا على حقيقته واما استدلالهم بالسمع فبقوله تعالى
وهو معكم اينما كنتم وقوله تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم
وجوابه ان المراد بالمعية هنا على ما اجمع عليه المفسرون المعية بالعلم
لا بنفس الذات لاستحالة كون الذات الواحدة في آن في كل مكان
ويلزم على هذا التقدير ان يكون قوله تعالى لموسى انني معكما اسمع وارى
وقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقوله تعالى ان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون منافيا لقوله تعالى وهو معكم
اينما كنتم وقوله تعالى الا هو معهم اينما كانوا لان معنى الاية
الاولى على ما يقتضي المقام انه تعالى مع موسى وهارون لا مع فرعون
وملائه وانه مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه لا مع ابي جهل
وغيره من اعدائه وانه تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
دون الظالمين المفسدين فلو كان معنى الاية انه بذاته في كل مكان

مكان

لسنا

لسنا فقس وقد اجمع المتكلمون والفلاسفة على بطلان ما ذهب اليه
الوجودية من ان الله تعالى هو الوجود المطلق لكن الوجودية يكذبون
على الفلاسفة ويقولون الفلاسفة يرمزون في عدة مواضع من
كلامهم الى ان الله تعالى هو الوجود المطلق منها قولهم الواجب هو الوجود
البحت والوجود بشرط لا اي الوجود الصرف الكلي لا يتقيد فيه اصلا وجوابه
ان تصريحهم بان الواجب هو الوجود الخاص المخالف بالحقيقة
لوجود الممكنات ينادي بان مرادهم من الوجود البحت وبشرط
لا هو الوجود القائم بذاته الغير المفتقر الى حقيقة تقوم بها كا
فتقار وجود الممكنات اليها دون الوجود المطلق ومنها قولهم
الوجود خير محض لان الشر ماهيته عدم وجود كالعمى والجهل
او عدم كمال موجود كفقدان الثمار كمالاتها اللائقة بها بواسطة
البرد وجوابه انه لا يلزم من كون الوجود خيرا محضا ان يكون واجبا
اذ ليس ذلك من اللوازم المساوية للواجب ومنها قولهم الوجود
لا يعقل له ضد ولا مثل اما الضد فلانه يقال عند الجمهور
لموجود مساو في القوة لموجود آخر ممانع له والوجود ذاتي من فرض
موجودا بمعنى المعروضية للوجود فلا يتصور ان يمانعه شيء من
الموجودات وعند الخاصة لا يشارك شيئا آخر في الموضوع مع امتناع
اجتماعهما فيه والموضوع هو المحل المستغني في قوامه عن الحال
ولا يتصور امتناع ذلك للوجود وانه لا يتقوم الشيء بدونه و
اما المثل فلانه الذات المشاركة غيره في تمام الحقيقة والوجود
ليس بذات اذ الذات ما يتصف بالوجود والعدم والوجود

حيث انه وجود لا يتصف باحدهما فلا يرد ان يعرض له الوجود
في العقل فيكون ثابتا لانه حينئذ يكون بثبوته بهذا الاعتبار موجودا الا وجودا
وهو لا ينافي كونه ليس بذاته من حيث انه وجود وجوابه انه لا يلزم
من عدم الضد والمثل للوجود ان يكون الوجود واجبا فان كثيرا من الممكنات
لا ضد لها وذلك ظ ولا مثل لها بالمعنى المذكور فان كل جنس من الاجناس
لا يشاركه شيء آخر في تمام حقيقته فلا مثل له مع انه ممكن قطعا على
ان ما ذكروه في بيان امتناع انتفاء المثل ممنوع اذ لا يلزم من
عدم اتصاف الوجود من حيث انه وجود بالعدم ان لا يكون ذاتيا
والا لوجب ان لا يكون شيء من الاشياء ذاتيا فان جميع الماهيات من حيث
انها ماهيات لا يتصف بالوجود والعدم ومنها قولهم الوجود ليس
جنسا اذ لا مفهوم اعم منه فيكون جنسا له ولا فصل لانه بسيط و
الا فاجزاؤه ان كان وجودا او موجودا لزم تقدم الشيء على نفسه
ضرورة تقدم وجود الجزء على الكل في الخارج ان كان التركب
خارجيا وفي الذهن ان كان ذهنيا وان كان عدما او معدوما
لزم تقوم الشيء بنقيضه وكلاهما محالان فثبت ان ما لا جزء له
عينا وذهنا يكون واجبا وجوابه انه لا يلزم من كون الشيء بسيطا
لا جزء له ان يكون واجبا على ان ما ذكروه في بيان بساطته
من ان اجزاءه لو كانت وجودات لزم تقدم الشيء على نفسه ممنوع
وانما يلزم ان لو كان الوجود المطلق الذي فرض فيه التركب
نفس ماهية الاجزاء او مقوما لها وهو ممنوع لجواز ان يكون اجزاؤه
وجودات خاصة متخالفة بالحقيقة للوجود المطلق على ما صرحوا به كما

في الوجودات الخاصة للموجودات ويحصل من مجموعها الوجود كما ان اجزاء
الانسان امور متخالفة بالماهية بالحقيقة للانسان ويحصل من
مجموعها الانسان على ان اللازم من الوجوه المذكورة بعد تقدير
تسليم مقدماتها انما هو اتصاف كل من الواجب والوجود من
بهذه المعاني فيكون الحاصل ان الوجود متصف بهذه المعاني و
والواجب متصف بهذه المعاني ولا انتاج من الموجبتين في
الشكل الثاني فانه لو انتج قولنا كل انسان حيوان وكل فرس
حيوان لزم ان يكون الانسان فرسا وهو باطل والتحقيق ان
لزوم الامور للوجود المطلق لا يوجب كونه الواجب ما لم يتبين
مساواتها للواجب وما ذكروه من انه لو ارتفع الوجود حتى
الواجب فيمتنع ارتفاعه فيكون واجبا مغالطة من باب اشتباه
ما بالغير بما بالذات اذ الوجوب للشيء انما يلزم لو كان امتناع
العدم لذاته وهو ممنوع بل لان ارتفاعه بالكلية يستلزم ارتفاع
بعض افراده الذي هو الواجب كسائر لوازم الواجب من العلمية
والعالمية وغير ذلك فان قيل يمتنع لذاته لامتناع اتصاف الشيء
بنقيضه قلنا الممتنع اتصاف الشيء بنقيضه بمعنى حمل عليه
بالمواطاة مثل قولنا الوجود عدم لا بالاشتقاق مثل قولنا الوجود
معدوم كيف وقد اتفق الفلاسفة على ان الوجود من الاعتبارات
العقلية التي لا وجود لها في الخارج فكيف يتوهم ان الفلاسفة
يرمزون في كلامهم الى ان الواجب هو الوجود او الوجود المطلق
مع انهم مصرحون اولا بان الواجب هو الوجود البحت الخاص

والوجود المطلق اعتبار عقلي لا وجود له في الخارج صح

المعروض كالوجودات الخاصة للممكنات للوجود المطلق وثانياً
بان الواجب متحقق في الخارج لانه من المعقولات الثانية التي
لا يحاذى بها امر في الخارج والوجود المطلق اعتبار عقلي لا وجود له
في الخارج كالكلية والجزئية والذاتية والعرضية لانها امور
تلحق حقايق الاشياء بعد حصولها في الذهن وليس في الخارج
شيء هو الوجود والكلية والجزئية والذاتية والعرضية مثلا
وانما الموجود في الخارج الانسان والسواد مثلا وثالثاً بان
الوجود ينقسم الى الواجب والممكن لانه ان كان مفتقرا الى السبب
فممكن والا فواجب والى القديم والحادث لانه ان كان
مسبوقا بالغير او بالعدم فحادث والا فقديم ومن البين امتناع
انقسام الواجب الى الواجب والممكن والى القديم والحادث
ورابعا بانه يتكثر بالموضوعات الشخصية كوجود زيد وعمرو
والنوعية كوجود الانسان والفرس والجنسية كوجود
الحيوان وخامسا بانه مقول على الموجودات بالتشكيك
وجميع ذلك مستحيل في حق الواجب تعالى وتقدس وحين
اعترض على الوجودية بان الوجود المطلق مفهوم كلي لا تحقق له
في الخارج وانما وجوده في الذهن وقبل الاذهان معدوم
محض وله افراد كثيرة لا تكاد تتناهى وهو اعرف الاشياء
والواجب موجود في الخارج غير معلوم بالكنه باعتراف
الاصفياء ولا مسبوق بالعدم واحد لا تكثر فيه اصلا
لا بالافراد ولا بالجزئيات غير مفتقر في الوجود الى شيء من الكليات

فلو كان

فلو كان الواجب هو الوجود المطلق لزم ان يكون الواجب
كليا مشتركا بين الموجودات مقولا عليها بالتشكيك معدودا
في ثواني المعقولات ويكون حقيقة الواجب من اجلى الضروريات
لكون الوجود المطلق اظهر الاشياء باجماع العقلاء وان يكون
الواجب موجودا في الذهن لا في الخارج مفتقرا في الوجود
الذهني الى الاذهان ولا الوجود الخارجي الى الاعيان
وان يكون له جزئيات كثيرة لا تكاد تتناهى ويكون معدوما
محضا قبل وجود الاذهان اذ لا وجود للمطلق الا فيها
فاذا ليس للواجب عند الوجودية في الخارج سوى الوجود
اللفظي والذهني لامتناع ان يكون للمطلق وجود عيني
وهم مصرحون بذلك ويقولون لا تعين لوجود الله تعالى
في الخارج بل وجوده هو وجود للممكنات على مثال الكلي
الطبيعي الذي لا تحقق له في الخارج الا في ضمن الجزئيات
ولهذا يقولون ان كل من عبد شيئا من الممكنات فقد عبد الله
وكل من ادعى الالوهية فهو صادق في دعواه فاولئك
الذين لعنهم الله تعالى ويزعمون ان اعيان الاكوان اعيان
ثابتة في علم الله تعالى لا في الخارج وان تعينها علمي لا تعين
عيني وينزهون الوجود المطلق عن الاطلاق وايضا
بناء على انه نوع قيد ولا يشعرون انهم بذلك يجعلونه
ابعد في التحقق الخارجي عن المطلق ايضا ولما راى ان جعل
الواجب كليا طبيعيا غير موجود في الخارج مفتقرا في الوجود

اشتغل الفقير [illegible]

الخارجي الى الجزئيات شنيع جدا او المتخذ لعقولنا من شياطينهم
ان يشيروا ابهذه الشناعة الظاهرة بالمكابرة فكابروا
وقالوا الوجود المطلق واحد شخصي وموجود في الخارج فاعترض عليهم
اولا بان الوجود المطلق لو كان واحدا شخصيا هو الواجب لكان
لفظ الوجود كالكلمة الجلالة اسما لذات الله تعالى لا كالاله اسما
للمعبود وحينئذ يمكن تثنيته وجمعه لغة وان كان يمتنع ذلك عقلا وشرعا
وحينئذ يجب ان يمتنع تثنية الوجود وجمعه لغة وشرعا كما يمتنع
تثنية كلمة الجلالة وجمعها ويمتنع اشتقاق اسم المفعول من كلمة الجلالة
لان اشتقاق الصفات انما يكون من الالفاظ الدالة على المعاني
لا من الالفاظ الدالة على الذوات بناء على وجوب كون المشتق منه
صفة للذات على ما يشير الى ذلك تعريفهم الصفة المشتقة
بما دل على ذات مبهمة باعتبار معنى هو المقصود ولا خفاء في
استحالة كون الذات واجبا كان او ممكنا صفة لشيء فح
يمتنع اشتقاق الموجود وانما جاز تثنية الاله وجمعه كما في قوله تعالى
الهين وقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لان
الاله اسم للمعبود لا للذات الواجب الوجود وانت خبير بان
اجماع العلماء بل اطباق جميع العقلاء على صحة اشتقاق الموجود
من الوجود وعلى صحة تثنية الوجود وجمعه دليل قاطع على ان الوجود
ليس بالواجب بل هو معنى كلي يقع صفة للموجودات ويتكثر بتكثر
ذوات الموصوفات على ما ثبت ذلك بالبراهين العقلية وشهد

الدلائل

111

الدلائل السمعية فهنالك بهت الوجودية وحاروا وبهت
شقة في جواب ما حاروا به سوى انهم غيروا معنى الموجود عما هو
بشهادة اللغة والعرف والشرع مردود فقالوا معنى قولنا الواجب
موجود انه وجود ومعنى قولنا الانسان والفرس موجود انه
ذو وجود بمعنى ان له نسبة الى الوجود لا انه متصف بالوجود على
ما هو معنى الوجود لغة وعرفا احترازا عن شناعة التصريح بكون
الواجب صفة للممكن وانت خبير بان جواب الاطلاق فرع
صحة الاشتقاق ولو سلم فما ذكروا في بيان معناه في الواجب
والممكن ليس معناه لا عرفا ولا شرعا فان معنى الموجود باجماع
اهل العربية بناء على انه اسم مفعول هو الذات المتصف بالوجود
لا الوجود ولا الذات المنسوبة الى ذات هو الوجود اذ نسبة
الذات الى الذات انما هو معنى المنسوب كبصري او اضافة
الذات الى الذات نحو غلام زيد وذو مال لا بمعنى اسم مفعول
كالمضروب والمقتول والمعلوم والمفهوم ومع ذلك مستلزم لبطلان
اجماع العلماء على عدم اختلاف الواجب والممكن في مفهوم الصفات المشتقة وان
اختلفا في حقايقهما فانهم اجمعوا على معنى العالم والقادر والمتكلم
والموجود في الواجب والممكن هو الذات المتصف بالعلم والقدرة
والكلام والوجود غير انهما متخالفان في حقايقهما ومستلزم ايضا
لبطلان اطباق العقلاء من المليين والفلاسفة المسمين
بالحكماء على ان لفظ الموجود حقيقة في الموجودات لان لفظ الموجود
حينئذ لا يكون مستعملا اصلا في معناه الموضوع له وهو الذات

المتصف بالوجود لا في الواجب ولا في الممكن فلا يكون حقيقة في شيء
اصلا وبطلان اللوازم باسرها دليل على بطلان الملزوم وهو
كون الوجود المطلق هو الواجب وبهذا يظهر فساد قولهم غير مقتصرة
على الالحاد في العقائد الدينية بل متعدية الى ابدال القواعد العربية
وتحريف الموضوعات اللغوية ثم اعترض عليهم ثانيا بان الوجود
المطلق لو كان واحدا شخصيا لما تكثر بتكثر الموجودات وانتم
قد اعترفتم بذلك حيث قد جعلتموه منبسطا في المظاهر بل اذا
خلوتم الى شياطينكم تفصحون بافصح من ذلك وتقولون
لا تحقق للواجب في الخارج كالكلي الطبيعي الا في ضمن الجزئيات
غير انكم اذا لقيتم الذين امنوا تغيرون العبارة وتعبرون عن التحقق
في ضمن الجزئيات بالانبساط وعن الجزئيات بالمظاهر
احترازا عن شناعة التصريح بان الواجب كالطبيعي متحقق
في الوجود الخارجي الى الجزئيات كما هو شان الكليات كما
انكم كابرتم بان الوجود المطلق واحد شخصي موجود خارجي
مع ان بديهة العقل حاكمة بان المطلق يمتنع ان يكون واحدا
شخصيا وموجودا خارجيا احترازا عن شناعة التصريح بان
الواجب ليس بموجود في الخارج وانه وجود كل شيء حتى وجود
الخبائث والقاذورات واجب سبحانه وتعالى عن ذلك علوا
كبيرا والا فتكثر الوجودات بتكثر الموجودات وكون الوجود
المطلق لا وجود له في الخارج لكونه من ثواني المعقولات ضروري
وكون انبساط نفس الشيء في الاشياء بالتكثر والانفعام الذي

يكون

يكون للكلي بالنسبة الى الجزئيات ضروري وامتناع تكثر الواحد
الشخصي ايضا ضروري فلو كان الوجود المطلق واحدا
شخصيا لامتنع ان يكون متكثرا منبسطا فاجابوا عن ذلك
بما هو مكابرة لبديهة العقول وهو ان الوجود المطلق واحد شخصي
لكنه يتكرر على المظاهر فيتوهم الناظر تكثرا والواحد الشخصي
لا يمتنع ان يكون متكررا اذ التكرر هو حصول الشيء مرة بعد
اخرى فاعترض عليهم ثالثا بانه قد يسلم ان تكثر الشيء
على الاشياء انما يكون بتجزيه فيها على سبيل التعاقب
لا على سبيل الاجتماع دفعة واحدة والوجود ليس بتجزئة لكونه
ليس بجسم ولا جوهر فرد وحصوله في الاشياء الموجودة في
آن واحد متحققة دفعة واحدة لا على سبيل التعاقب وذلك
تكثر لا تكرر والمتكثر يمتنع ان يكون واحدا شخصيا وواجبا
فاجابوا عن ذلك بمكابرة اخرى افحش من الاولى وهو انه
يتكرر على الاشياء بلا مخالطة ويتكثر في النواظر بلا انقسام
وحيث لا مخالطة فلا حاجة الى التجزي وحيث لا تكثر ايضا
في الحقيقة وانما هو في النواظر فقط فلا حاجة الى الانقسام
لكن لما كان حصول الوجود في الموجودات دفعة واحدة
شبيها بالتكثر توهم الناظر تكثرا اذن ليس معنى انبساط
الوجود في المظاهر انقسامه فيها بل اضافته اليها فاذا
نسب الى الانسان حصل موجود والى الفرس فموجود اخر
بمعنى ان له نسبة الى الوجود لا بمعنى انه متصف بالوجود على

ما هو معنى اسم المفعول لامتناع كون الواجب صفة للممكن وحينئذ يكون
اضافة الوجود الى الكائنات كوجود زيد وجود عمرو وكاضافة الآلة الى
المصنوعات كآلة زيد وآلة عمرو وكاضافة زيد الى امواله كزيد الذهب
وزيد الخيل وزيد الشاة لا كاضافة العلم الى متعلقاته كعلم النحو
وعلم الفقه وعلم الاصول فكما لا تكثر في الآلة وفي زيد بتكثر الاضافات
لا تكثر في الوجود بتكثر الاضافات فانما التكثر في الاضافات والتعينات
التي اضيف اليها الوجود والآلة وزيد واعترض عليهم رابعا
بوجهين اما اولا فبانكم في هذه المكابرة منتهيا جنون وذلك
لان ماهية تكرر الشيء على الشيء حصول الشيء الاول مرة بعد اخرى
في الثاني بتحيزه فيه ومخالطته به فالمخالطة بالتحيز جزء مفهوم
التكرر فينتفي التكرر بانتفاء المخالطة بالتحيز لان الكل ينتفي
بانتفاء الجزء فالقول بوجود التكرر مع القول بانتفاء المخالطة
جمع بين المتنافيين وكذا ماهية التكثر هي حصولات الشيء
دفعة او على سبيل التدريج في الاشياء وذلك لا يمكن بدون
الانقسام والمنقسم يكون متكثرا حقيقة لا متكثرا شبيها
بالمتكثر فالقول بحصولات الوجود دفعة مع القول بان ذلك
بلا انقسام وانه ليس بمتكثر بل تكثر شبيه بالتكثر جمع بين المتنافيين
واما ثانيا فلانه لو كان معنى انبساط الوجود في المظاهر اضافته
اليها لا الانقسام فيها وكانت اضافته اليها كاضافة الاله
الى الآلة كآلة زيد وآلة عمرو وكاضافة زيد الى امواله كزيد الذهب الكليات
وزيد الخيل وزيد الشاة لامتنع حصول الموجود من نسبة الوجود

الى

اضافته اليها لا انقسامه فيها واذا بطل ذلك ثبت
تعين ان يكون انبساطه في المظاهر

الى الانسان او الفرس مثلا ولامتنع اشتقاق الموجود منه كما
امتنع حصول المألوه من نسبة الاله الى زيد وحصول المزيود
من نسبة زيد الى الذهب وبطلان اللازم اعني امتناع حصول
الموجود من نسبة الموجود الى زيد وامتناع اشتقاق الموجود
يدل على بطلان الملزوم وهو كون انبساط الوجود في المظاهر
انقسامه فيها والمنقسم يمتنع ان يكون واجبا وبهذا ظهر فساد
ما زعموه من ان قولنا وجود زيد ووجود عمرو مثل قولنا آلة زيد
وآلة عمرو اذ لا مماثلة بينهما فان الاول من قبيل اضافة الصفة
الى الذات المتصفة بها ولا خفاء في ان تكثر ذوات الموصوفات
يستلزم تكثر الصفات من حيث الذات لا بمجرد التغاير بالاضافات
والا يلزم قيام الصفة الواحدة بالشخص بذوات كثيرة وانه
محال والثاني من قبيل اضافة المؤثر الى آثاره وتكثر الآثار
لا يستلزم تكثر المؤثر لجواز تأثير الواحد بالشخص في امور كثيرة
وحينئذ يجب ان يكون الوجود المطلق كليا حتى يتكثر بتكثر
الموصوفات في نفس الامر كما هو متكثر في النواظر ويمتنع ان
يكون واحدا متشخصا فيمتنع ان يكون واجبا على انه لو كان
واجبا لزم ان يكون جائز العدم لانه عين وجود الممكن بزعمكم الواجب
ووجود الممكن جائز العدم وان يكون عين وجود الممكن واجب
الوجود ممتنع العدم وكلاهما محالان وان يكون الواجب وكلاهما
متحدا بالممكن من حيث الذات لما تقرر ان الوجود متحد

بالماهية من حيث الذات اى من الوجود الخارجى وان لا يكون
للواجب تأثير فى الممكنات اصلاً لا فى وجودها لانها عندهم نفس
الواجب من البين امتناع تأثير الشئ فى نفسه ولا فى ماهياتها
لانها عند الفلاسفة والمتفلسفة الوجودية غير مجعول بجعل الجاعل
ولا يخفى ان ذلك تعطيل للصانع تعالى وتقدس وتكذيب لجميع الرسل
والانبياء ولجميع الكتب المنزلة من السماء ولجماهير العقلاء ولا
طباق الكل على ان الله تعالى موجد الموجودات خالق الارض
والسموات وما بينهما من الكائنات مؤثر فى وجوداتها الحادثة
وانت خبير بان ذلك الانكار اغلظ من كفر المجوس والمشركين
ولذلك اسميهم اكفر الكافرين ويلزم ارتفاع التعدد المحسوس عن
ذوات الموجودات من الجواهر والاعراض ويستلزم ان يكون ذاتاً
واحدة لان وحدة الوجود بالشخص يستلزم اتحاد ما تحد به من حيث
الذات والا يلزم اتحاد الوجود الواحد بالشخص بذات كثيرة
وانه محال وح يلزم ان يكون الارض عين السماء والسماء عين الماء
والماء عين النار والنار عين الهواء والهواء عين الشجر والبشر
عين الشجر والشجر عين الحمار والحمار عين الانسان والانسان عين
الملك والملك عين الابليس بل الواجب عين الممكن واللوازم
باسرها باطلة ببديهة العقل وكذلك الملزوم وهو كون الموجود
المطلق واحداً شخصياً واجباً وحاراً وان لا مخلص لهم عن غيرة
الورطة الا بسفسطة السوفسطائية ارتكبوا تفصياً عن الاشكالات

سوى لزوم امتناع اشتقاق الموجود من الوجود ولزوم امتناع تثنية
الموجود وجمعه فانهما لازمان عليهم ولا مخلص لهم عنهما وقالوا انما
تلزم هذه المحالات اذا كان لاعيان الاكوان وجود عينى وليس
كذلك اذ هى اعيان ثابتة فى علم الله تعالى لا فى الخارج فانها فى الخارج
خيال وسراب على ما هو مذهب السوفسطائية فى انكار ثبوت
حقايق الاشياء اذ لا تحقق لاعيان الاكوان فى الخارج فلا يلزم
من كون الوجود المطلق هو الواجب اتحاد الواجب بالممكن
من حيث الذات اى فى وجودات الخارجى لامتناع الاتحاد فى الخارج
بما لا خارج له ولا من كونه وجود اعيان الاكوان من حيث الظاهر
ان يكون الواجب جائز العدم بناء على انه وجود الممكن ولا ان
يكون وجود الممكن واجباً ممتنع العدم وانما يلزم ان لو كان لاعيان
الاكوان تحقق فى الخارج وليس كذلك بل هى فى الخارج خيال
وسراب واذا كان كذلك فاين الممكن فى الخارج حتى يكون هو وجود
ويلزم المحالات ويلزم تعطيل الصانع او معناه نفى تأثير الصانع
فى الاشياء مع تحققها لا عدم تأثيره فيما لا تحقق له وكذا لا يلزم من كونه
واحداً شخصياً ارتفاع التعدد المحسوس عن الممكنات لان الارتفاع
فرع ثبوت التعدد وفرع لزوم اتحاد الوجود الواحد بالشخص
بالماهية من حيث الذات وحيث لا تعدد ولا اتحاد للوجود
بشئ من حيث الذات فلا ارتفاع وكذا لا يلزم من انبساطه
فى المظاهر بحسب الظاهر نفس الام حقيقة التكثر ليلزمه المحالات
ولا حقيقة التكثر ليلزمه الانقسام اذ لا تحقق فى الاولى والاخرى

لا للوجود ولم يتحقق سواه حتى يتكثر عليه او يتكثر به فهو العابد
والمعبود والساجد والمسجود والذاكر والمذكور والغافر والمغفور
وذلك هو الوحدة المطلقة وما سوى ذلك فهو قول بالكثرة
والتفرقة وستعرف ان معنى الكثرة والتفرقة عند اهل المعرفة
شيء آخر بغير هذه الزندقة فاعترض عليهم خاصة بوجهين اما
الاول فبان هذه سفسطة سوفسطائية باطلة بضرورة العقل
والشرع ومكابرة نافية لما علم ثبوته بالحس جاعلة لموجودات
عالم الغيب والشهادة خيالات لا حقيقة لها كتماثيل المشعوذين
وخيالات المتوسمين نادمة لشرايع الرسل والانبياء مكذبة لجميع
ما نطق به الكتب المنزلة من السماء ومع هذا ما يلزم من صحة اشتقاق
الموجود ومن صحة التثنية والجمع للوجود مستلزمة لكون الواجب
هو الخالق والمخلوق والرازق والمرزوق والولي والعدو والسعيد
والشقي والمشرك والموحد والمومن والملحد والصديق والحر
والوضيع والخاذل والمخذول والقاتل والمقتول والآكل والمأكول
والمرقي والمردود والمقبول والمطرود والعالم والجاهل والمسؤول
والسائل والاتقى والاشقى والذكر والانثى والحي والميت والصحيح
والمريض والشيخ والرضيع والمواطئ والموطوءة والوائد والموؤدة
والجنب والحائض والمنفوط والبائل والمنعم في دار النعيم و
المعذب في نار الجحيم الى غير ذلك من شنيع المحالات وقبيح الضلالات
التي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال سبحانه
وتعالى عن جميع ذلك علوا كبيرا ومع ذلك مستلزمة ايضا لان لا يكون

تحقق

تحقق في نفس الامر لما سوى الوجود المطلق من الاشياء لا للملائكة
ورسلهم ولا للانبياء واممهم ولا لشرايعهم وتكاليفهم ولا للكفر والايمان
ولا للطاعة والعصيان ولا للحلال والحرام ولا لغيرهما من الاحكام و
لا للابشار والانذار ولا للجنة والنار ولا للثواب والعقاب
ولا للكتاب والحساب وبالجملة لا للدنيا والآخرة بل كلها خيال
وسراب واما ثانيا فلانه يلزم مما ذكرتم ان لا يكون للواجب تحقق
في الخارج فلا تحقق للواجب لانكم جعلتموه متحققا في ضمن المظاهر وحيث
لا تحقق في المظاهر في الخارج فلا تحقق للواجب ايضا في الخارج بل يكون
تحققه في الخارج ايضا كتحقق المظاهر خيالا وسرابا وذلك هو المذهب
الدهرية النافين لوجود الصانع فقد جمعتم في زندقتكم من مذهب
الدهرية والمعطلة والسوفسطائية ولان ما ذكرتم في نفي ثبوت
الاشياء معارض بالمثل اذ لا خفاء انه ايضا من اعيان الاكوان
غير انه من الاعراض فيكون ما ذكرتم ايضا خيالا وسرابا لا حقيقة له
فلا يمكن اثبات مذهبكم الباطل واذا لم يبق لهم في قوس المكابرة
منزع ولا الى لزومهم من شنيع المحالات والضلالات مدفع التجاوا
الى دعوى الكشف على ما هو داب قدماء الفلاسفة حين عجزوا
عن اقامة البرهان وقالوا انظهر بهذه الامور عليهم بالمكاشفة
وانت خبير بان الكشف انما يظهر الحقايق لا انه يهدم الشرايع
وينفي الحقايق فان ذلك زندقة وضلال وباطل من القول ومحال وقد
غلط هولاء كغلط النصارى لما راوا اشراق نور الله تعالى قد تلالا
في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وهولاء ايضا لما راوا الوجود

ايضا فايضتا من الحضرة الالهية على الموجودات فلم يفرقوا بين الفائض
والمفيض فقالوا الوجود هو الله تعالى قال الامام حجة الاسلام رحمه الله
المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كالصورة الملونة المرائية في المرآت فيظن
الناظر في المرآة ان تلك الصورة صورة المرآة وان ذلك اللون
لون المرآة هيهات ان المرآة لا لون لها وهو كغلط من رأى كوكبا
في المرآة فيظن ان الكوكب في المرآة فيمد يده اليه ليأخذه وهو مغرور
وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله في مجلدات واصناف غرور
اهل الاباحة لا تحصى في مجلدات كل ذلك بناء على اغاليط ووساوس
اغواء الشيطان بهم لاشتغالهم بالمجاهدة قبل استكمال العلم ومن غير
اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم واحصاء غرور اصنافهم يطول
ذكره وبالجملة فالقول بان الله تعالى هو الوجود المطلق مبني على اصول
باطلة ببديهة العقل مثل كون الوجود المطلق واحدا شخصيا
وموجودا خارجيا ومستلزم لبطلان امور اتفق عليها العقلاء
مثل كون الوجود المطلق اعرف الاشياء مشتركا بين الموجودات
مقولا عليها بالتشكيك معدودا في ثواني المعقولات وكثبوت
حقائق الاشياء وكون الواجب مبدأ الوجود والممكنات مؤثرا
في وجوداتها الحادثة متصفا بالعلم والقدرة والارادة والحيوة
وارسال الرسل وانزال الكتب الى غير ذلك مما وردت
به الشريعة لامتناع ان يكون الامر الاعتباري الذي لا تحقق له
في الخارج متصفا بالعلم والقدرة والارادة والحيوة وايجاد
الموجودات وكونها من الصفات المتحققة في الخارج والقول بالوحدة

المطلقة

المطلقة مثل كون اعيان الاكوان في الخارج خيالا وسرابا
مستلزم لجعل السموات والارضين وما بينهما من الملائكة والانبياء
والمرسلين ولأعمهم من الجنة والناس جميعا تماثيل المشعوذين
ولشرايعهم وملكهم خزعبلات اللاعبين وذلك عين مذهب
السوفسطائية اللاعبين فقد ظهر على كل من لم يختم الله على قلبه
وسمعه ولم يجعل على بصره غشاوة ان لا ايمان لهؤلاء الملاحدة
لا بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر اذ
الايمان بالشيء على خلاف ما هو عليه ليس بايمان ولهذا نفى الله تعالى
الايمان بالله وباليوم الآخر عن اليهود بقوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين لان
ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك
ايمانهم باليوم الآخر ليس بايمان لانهم يعتقدونه على خلاف
صفته حيث قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى كذلك ايمان
الملاحدة بالله ليس بايمان لانهم يعتقدون ان الله هو الوجود
المطلق الذي لا وجود له في الخارج وكذلك ايمانهم بالملائكة
والكتب والرسل واليوم الآخر فليس بايمان لانهم يعتقدون
ان الكل خيال وسراب وتارة يعتقدون العذاب عذوبة
لا شدة ولا عقوبة وذلك ليس بايمان باليوم الآخر لانهم
اعتقدوا على خلاف صفته فكيف يحل للمسلم ان يسمي بالفسوق
هذه الزندقة ولاولئك الكفرة الزنادقة بالمتصوفة بل

باخلاق النبوة

بل التصوف في لسان القوم عبارة عن التخلق باخلاق النبوة والتمسك
بجملة بقوائم الشريعة المطهرة المحمدية في العلمية والعملية لا عن عقيدة
المعطلة والسوفسطائية والدهرية ومما يزيد لضلال اولئك
الملحدين كشفا وايضاحا ولي اولئك المبطلين هتكا وافتضاحا
انهم يجمعون في اثبات تلك الزندقة الملعونة بين اقامة الحجة
وبين ادعاء ظهورها عليهم بالكشف والعيان مع انه من المعلوم
عند اهل العرفان ان التعبير عن المعلوم بالكشف والعيان ليس في حيز
الامكان لقصور العبارة عن بيان هذه الحالة وتعذر الكشف
عنها بالمقال فلا يمكن ايداعه في الكتب والرسائل فضلا عن اثباته
بالحجج والدلائل وناهيك ببديهة العقل حاكمة على بطلان زندقتهم
واصولها المكابرات وفروعها الضلالات والمحالات التي لم تسمع
بمثلها من الكفرة الاقدمين لا من المجوس ولا المشركين والحق انه
لا ينفع معهم مع السوفسطائية المناظرة لا بالمعقول ولا بالمنقول
وانما الحاسم لمادة فساد الحادم سيف اهل الاسلام كبرت كلمة
تخرج من افواههم ان كل من ادعى الالوهية فهو صادق في دعواه
اذ يكذب ذلك اللعين قواعد البراهين العقلية ومحكمات الادلة
السمعية الناطقة بان كل مخلوق ادعى الالوهية فهو من الكاذ
بين وهو في الآخرة من الخاسرين لقوله تعالى ومن يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقوله تعالى
حكاية عن فرعون اللعين فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة
والاولى والصادق في الدعوى لا يكون جهنميا مذللا ولا ظالما منكلا

وكفرت

وكفرت طائفة يصدر عن اشباههم ان كل من عبد الاصنام فقد
عبد الله تعالى لكنه اخطاء في طريق العبادة وان موسى عم انما انكر
على هارون عليهما السلام الانكار على عبدة العجل وعدم اتباعه لهم
في ذلك الفعل وكان موسى اعرف بالله تعالى من هارون فجعل ذلك
الغوي المبين هارون عليه السلام اقل من عبدة العجل معرفة برب
العالمين فجعلهم في اتخاذ العجل الها مصيبين لكن في عبادته مخطئين
ولا يخفى على علماء الاسلام والمسلمين ان الله تعالى يكذب في عدة ايات
الله تعالى من الكتاب المبين منها في سورة الاعراف واتخذ قوم موسى
من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ومنها ان الذين اتخذوا العجل
سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين
وفي سورة طه فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري
فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا وفيها فاخرج لهم عجلا جسدا
له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع
اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومنها ولقد قال لهم هارون
من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا
امري ومنها قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا
تتبعن افعصيت امري وفيها فانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ومنها انما الهكم الله
الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما فلو كان ان من عبد شيئا
من الممكنات فقد عبد الله بناء على ما زعموا ان وجود جميع الممكنات

هو الله تعالى لكان وجود العجل مع هو الله تعالى المتكلم الباري المالك
للضر والنفع ورجع القول وح لانكون عبدة العجل في اتخاذه الها
ضالين ولا مفترين ولا مفتونين ولا ظالمين ولا عابدين لمن لا
يتكلم ولا يهدي السبيل ولالمن لا يرجع اليهم القول ولالمن لا يملك
الضر والنفع ولكان عباد العجل في قولهم هذا الهكم واله موسى
صادقين وح كانوا في طريق عبادته مخطئين من حيث اقتصروا
عليه ولم يعبدوا جميع الاشياء واللوازم باسرها باطلة مستلزمة
لتكذيب رب العالمين سبحانه وتعالى عن زعمات شواجل الملحدين و
خطرات وساوس الشياطين ثم اولئك الملاحدة الذين هم
اخوان الشياطين يخدعون الجاهلين بتمسكهم في ذلك الضلال
المبين بقوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله
وبقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ويلحدون في الآية
الاولى بتفسيرهم وجه الله فيها بذات الله موافقا لمراتبهم لا بالجهة
التي امر بها ورضيها على ما هو الحق المبين والمطابق لقواعد الدين
ولاجماع علماء الاسلام والمسلمين ولما يدل عليه صدر هذه الآية
ايضا وهو قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فانه يدل على ان جهات
المشرق والمغرب لله تعالى لا انها هو الله والا لوجب ان يكون
النظم والله المشرق والمغرب وانت خبير بانه ثم للمكان وان
الله منزه عن الجهة والمكان وان كون الشيء الواحد في آن
واحد في امكنة مختلفة بديهي البطلان وان تفسير هذه الآية
بما فسره الملاحدة مستلزم لكون الله تعالى في مكان وجهة بل كونه

في ان

في ان واحد في امكنة الجهات المختلفة عند اختلاف اماكن
المتوجهين وذلك محال على محال ومع ذلك كفر صريح وضلال ويلحدون
في الآية الثانية حيث يفسرون وقضى بحكم وقدر مخالفا لقواعد
الدين ولاجماع المفسرين لا بأوجب وامر على ما هو مطابق
لقواعد الاسلام ولاجماع المرسلين والانبياء عليهم السلام ثم انه اي
على اعتقاد معاشر المسلمين فضلا عن ائمة الاسلام واعلام الدين ان
عبدة الاصنام والمشركين لو كان بعبادة الاصنام لله عابدين
وفي طريق العبادة مخطئين على ما زعم ذلك في الفتوحات ابن عربي
محيي الدين لما اخبر الله عنهم في كتابه المبين بانهم مشركون
ولما كانوا في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين كاذبين اذ المخطئ
في طريق العبادة لا يكون مشركا باطباق عقلاء العالمين ولما ذكر
انهم يتخذون آلهة ليس لها من الالوهية الا مجرد الاسم وعابدون
للجبت والطاغوت والرجس والاوثان والشيطان المريد
والمخلوق العاجز عن النصر والتأييد وبانهم جعلوا لله اندادا
وعابدون لامثالهم عبادا وقد اخبر الله بجميع ذلك تحذيرا للعباد
وارشادا فقال عز وجل من قائل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم
ما كانوا يفترون وقال عز من قائل ما تعبدون من دونه الا
اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالوهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها
فكانكم عبدتم اسماء فارغة لا مسميات لها اذ ليس لها من الالوهية

جاعلوا لله

طفقتم

حظ من الالوهية

الا مجرد الاسم فلو كان عبدة الاصنام عابدين لله مخطئين فی طريق العبادة
لما كانوا الكاذبين فی قولهم ما كنا مشركين ولا مسمين الهة ما ليس لها
من الالوهية الا مجرد الاسم ولا مفترين فی التسمية لها وقال عز
من قائل ولقد بعثنا فی كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وفی سورة التنزيل والذين اجتنبوا الطاغوت
ان اعبدوها وانابوا الی الله لهم البشری وفی المائدة قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وفی النساء الم تر
الی الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدی من الذين امنوا سبيلا
روی ان حيی بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا
الی مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا علی محاربة رسول الله
فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الی محمد منا فلا نامن من مكركم
فاسجدوا لالهتنا حتی نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت
والطاغوت وفی سورة الحج فاجتنبوا الرجس من الاوثان
ای الرجس الذی هو الاوثان لان من جهتها جناية وفی سورة
النساء ايضا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون
الا شيطانا مريدا لعنه الله الاناث هی اللات والعزی او
الملائكة بزعم المشركين لانهم يسمونهم بنات الله تعالی الله عن ذلك
علوا كبيرا والملائكة منزهون عن صفة الذكورة والانوثة
وفی سورة الاعراف ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون

ولا يسـ

ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وفی سورة ابراهيم
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم
الی النار وفی سورة الاعراف ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم فلو كان عبدة الاصنام عابدين لله مخطئين فی طريق
عبادة لله لما كان معبودهم جبتا ولا طاغوتا ولا رجسا ولا اناثا
ولا شيطانا مريدا ولا مخلوقا عاجزا عن النصر والتاييد ولم
يكونوا جاعلين لله اندادا ولا عابدين لغير رب العالمين وان كانوا
مخطئين فی طريق العبادة فظهر ان اولئك الملحدين القائلين
بان عبدة الاصنام عابدون لله مكذبون لرب العالمين
فيما اخبر بحكم كتابه المبين واعلم ان ههنا مزلة قدم للذاهلين
عن مصطلحات العارفين الغافلين عن مزيد الالطاف من رب العالمين
كالوحدة المطلقة والفناء والبقاء والجمع والتفرقة فان
اولئك الملاحدة ايضا يستعملون هذه العبارات فی تقرير
زندقتهم وطاماتهم ويحملونها علی غير ما قصده العارفون
من مصطلحاتهم فيريدون بها ما هو زندقة والحاد وخروج من
دين الاسلام وسبيل الرشاد فيتوهم الذاهل عن مقاصد
العارفين من هذه العبارات ان ما يقصده الزنادقة من
هذه المصطلحات التی هی مصيبة فی الدين وجهل بمقاصد
اولئك السادات السالكين هی مراد العارفين فيقع
اما فی الزندقة والالحاد لحسن ظنه بالعارفين واما فی نسبة
العارفين الی سوء الاعتقاد وهاانا انبهك علی مراد العارفين

[illegible]

من هذه العبارات وعلى تبديل الملحدين معاني هذه الكلمات لتبين
لك الرشد من الغي والسداد من الغي ولا تسيء الظن بالعارفين
الذين هم اولياء الله بتحريف الملحدين والذين هم اعداء الله
ولنمهد قبل الشروع في تفسير كلامهم مقدمة ترشدك الى مراتب مقاماتهم ثم
وهي ان للسالكين في طريق السلوك الى الله مراتب ودرجات يتوقف
الوصول الى الدرجة التالية على قطع الدرجة السابقة الاولى
التخلية وهي تصفية القلب عن الاخلاق الذميمة التي رأسها
حب الدنيا الثانية التحلية وهي التحلي بالاخلاق المرضية
عند الله تعالى وهي اخلاق الحضرة النبوية ومن اراد الوقوف
على تفاصيلها فعليه بربع المهلكات وربع المنجيات من احياء
علوم الدين الثالثة التجلية وهي استنارة القلب
بانوار الالهية وعند ذلك يحصل الكشف وله ايضا مراتب الاولى
كشف الكائنات وهي مسمات بكشف الملكوت السفلي الثانية
كشف الافعال الالهية الثالثة كشف الصفات الالهية
والرابعة وهي نهاية الدرجات كشف تجلي انوار الذات و
والسالكون في الوصول الى هذه المراتب متفاوتة الدرجات
بحسب تفاوت الاستعدادات ثم اعلم ان نهاية مراتب الاولياء
المسمين في القرآن بالصالحين ادنى درجات الشهداء واعلى
درجات الشهداء ادنى مراتب درجات الصديقين واعلى
درجات الصديقين ادنى مراتب الانبياء واعلى درجات الانبياء
ادنى مراتب المرسلين ودرجة نبينا سيد المرسلين فوق اعلى درجات

مطلب طريق السلوك الى الله

غيره

غيره من المرسلين وبالجملة لكل درجة ومرتبة للاولياء فكمالها للانبياء
لا كما تزعم الجهلة من المتصوفة ان الولي افضل من النبي والمحققون
من اصحاب الطريقة على ان العلم اشرف من الحال وهي عندهم عبارة
عن كيفية تعرض لنفس السالك عند تجليات الانوار ويقول
الجهلاء من اهل طريقتها يزعمون ان الحال اشرف من العلم بناء
على عجزهم عن العلم وجهلهم بالحال وعدم معرفتهم بانها في دار
التكليف من اعظم الحجب وذلك لان الحال هي القوة للامر
المترتب والعلم المقرون بالعمل انما هو المثمر والا فكمثل
الحمار يحمل اسفارا والدنيا هي دار مكاسب والآخرة هي دار
مواهب فمن نال في الدنيا موهبة هي ثمرة العمل فقد انتقص
من ثمرته في الآخرة ولذلك ترى صاحب الحال عند الموت يتمنى
ان لم يكن صاحب حال وهذا هو السر في عدم ظهور كثرة الاحوال ل
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين مع انهم في درجة العالية
من الولاية اذ فخامة الكمال درجاتهم في الآخرة وناهيك دليلا
بان العلم اشرف من الحال ان الله تعالى لم يأمر نبيه عليه السلام
بطلب ازدياد الحال وانما امر بطلب ازدياد العلم بقوله
عز اسمه وقل رب زدني علما والانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين جامعون بين كمال العلم وكمال الحال لكن
يضمحل بنور نبوتهم الالتفات الى وجود الحال فيصير وجودها
وعدمها سواء فلذلك لا ينقص من درجاتهم في الآخرة
مع كمال الحال في الدنيا ومما يرشدك ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

مطلب وان العلم اشرف من الحال

الكمل الانبياء في الاستغراق والفناء في الفناء في التوحيد قطع
النظر عن الالتفات الى ما سوى الملك المجيد ان الله تعالى اضاف
فعله عليه الصلوة والسلام يوم بدر الى ذاته وقال وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى اشارة الى كماله ولم يضف فعل
داود عليه السلام فقال وقتل داود جالوت ثم ان للعارفين
عند تجليات الانوار الالهية على سرائرهم مقامين على ما ذكره
حجة الاسلام الاول اضمحلال جميع الكائنات في نظرهم سوى نفسهم
وتلك الحال عندهم مشوبة بكدورة وقصور ويسمونه تلك الحال
الفناء في الفناء في التوحيد وهم الخواص والثاني الترقي عن ذلك
بحيث يغيب عن مشاهدة نفسه وعن احواله الظاهرة والباطنة
وعن ذلك الفناء ويسمون في تلك الحال الفناء في الفناء في التوحيد
وهم اخص الخواص فيصير لهم معنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
ذوقا وحالا كما ان حظ غيرهم من المؤمنين منه يكون علما وايمانا
فالذوق نيل عين تلك الحال بالحصول الاتصافي والعلم معرفة ذلك
بالبرهان ومأخذه القياس بان ينظر الى اضمحلال نور الكواكب
عند اشراق الشمس فيقيس به اضمحلال الكائنات عند اشراق
انوار التجليات والايمان قبوله بالسمع والاذعان له ولا يتوهم
ان ذلك مخالف لما سبق من ان الطريق الى المعلوم بالكشف
انما هو العيان دون البرهان لان المذكور هنا اقامة البرهان
على تحقق الكشف لا على اثبات المعلوم بالكشف والممتنع انما هو
الثاني دون الاول وثمرة الفناء في الفناء في التوحيد ان تصير

افعال

مطلب ان للعارفين مقامين عند تجليات الانوار

افعال العبد مستغرقة في افعال الله تعالى وتصريفه وتحريكه
ويغيب عن نسبة افعاله الى نفسه على ما يشير الى تلك الحالة
قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وتشير اليه الحديث
الالهي ايضا لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببت كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
وانما سميت هذه الحالة فناء وان كان الظل والشخص باقيين
باقيين للذهول والغيبة عنهما وعدم شاهدتهما كما ان
الكواكب لا يشاهد مع وجودها عند ظهور نور الشمس واشراقها
وربما يسمع هذا الكلام الفقيه الرسمي فيظن انه طامات غير
معقولة وليس كذلك واذا لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم ليس ما يخلو عنه مخادع العجائب حتى يلزم ان يخلو عنه
خزاين الملوك فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة
والقلوب معادن لجواهر المعارف فبعضها معادن النبوة
والرسالة والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها معادن الشهوات
البهيمية والاخلاق الشيطانية قال حجة الاسلام ينبغي ان يكون
العبد مشتوقا الى ان يصير من اهل الذوق لتلك الحالة
فان لم يكن من اهل العلم بها فان لم يكن من اهل الايمان بها
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
ونحن كما قلنا في شرح المقاصد ونحن على ساحل التمني نغترف
من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعترف بان الطريق اليه
العيان دون البرهان فالفناء عند العارفين عبارة

مطلب كما قلنا في شرح المقاصد

عن اضمحلال الكائنات في نظرهم مع وجودها وعن الغيبة عن نسبة
افعالهم اليهم والبقاء عندهم عبارة عن التحقق بالاخلاق الالهية و
والتنصل عن كدورات البشرية والوحدة المطلقة عندهم كما مر
عبارة عن انفراد مشاهدة الله لا غير من بين الموجودات لاضمحلال
نور الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار والجمع عندهم
عبارة عن قصر النظر على الله تعالى من غير التفات الى ملاحظة العبادة
مع الاقبال عليها باتم الوجوه لا الى نيل الثواب ولا الى شيء من
الاشياء سوى الله تعالى وذكر الامام ابو القاسم القشيري في رسالته
المسماة بنحو القرب في اشارات مسائل النحو الى معارف العارفين
الجمع ما اضر بين جمع سلامة وجمع تكسير كذلك ما سمته القوم الجمع على
قسمين جمع سليم صاحبه وحفظ عليه اداب الشرع مع غلبات
الوجد بزينة الله تعالى باجراء اوامره عليه من الصلوة والصيام
وغيرهما من الاحكام وهو امام زمانه وقدوة عصره كابي يزيد
البسطامي وابي حفص الحداد النيسابوري وسهل بن عبد الله
التستري فانهم قد كانوا في جميع الاحوال مغلوبين غائبين عن عالم
الشهود الا في اوقات الصلوة فاذا قضوا الصلوة عادوا
الى ما كانوا عليه من الغيبة عن الشهود عما سوى الله تعالى في كل موجود
وجمع صاحبه مكسور الصحة لم يحفظ عليه اداب الشرع فصاحبه
باستغراق الوله في جميع الاوقات في حكم المجانين لا يشعر باوقات
الصلوة ولا بغيرها من العبادات فاطفاء نور معرفته نور ورعه
فالاول مشكور والثاني معذور لكنه عندهم لا يعرف حاله مردود

فهو

فهو لا يصلح للاقتداء ومن اقتدى به في ترك العبادات غير معتقد
لوجوبها فهو كافر زنديق والتفرقة عندهم عبارة عن الالتفات
الى ما سوى الله تعالى ولو كان مع ملاحظة العبادات او مراقبة
الثواب ومخافة العقاب واما الملاحدة خذلهم الله
فقد نقلوا هذه الالفاظ الى معان هي ضلالة وزندقة فارادوا
بالفناء نفي حقايق الاشياء وجعلها خيالا وسرابا على ما هو
مذهب السوفسطائية وبالبقاء هي ملاحظة الوجود المطلق
فقط وبالوحدة المطلقة كون ما سوى الوجود من الاشياء
خيالا وسرابا وكون وجود جميع الاشياء حتى وجود الخبائث
والقاذورات الهة وبالجمع ملاحظة ذلك وبالتفرقة اثبات
حقايق الاشياء وجعل وجود الله تعالى هو وجود الكائنات وانت
خبير بان جميع ذلك كفر والحاد وخروج عن دين الاسلام وانها
غير ما اراده العارفون من هذه العبارات فانه كلام على قانون
السداد كما سمعت على قانون السداد لا زندقة فيه ولا الحاد
ولا حلول ولا اتحاد ولا جعل الله تعالى عين وجود الممكنات حتى وجود
القاذورات ولا جعل وجود الممكنات خيالات وتخيلات
ولا اتخاذ الشريعة مسخريا ولا نبذ العقائد الدينية ظهريا ولا جعل
حقايق الاشياء شيئا فريا ولا مكابرة لبديهة العقول ولا الحاد
في قوله تعالى وقول الرسول فانهم مصرحون بان كل حقيقة ردها الشرع
فهي زندقة وانه ليس في اسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع
بل باطن الشريعة يتم بظاهرها وسرها مكمل صريحها ولهذا اذا انكشف

على اهل الحقيقة اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى الالفاظ الواردة
في الشرع فما وافق ما شاهدوه وما خالفه فاوّلوه بما يطابق الشرع
كالآيات المتشابهة المخالفة من حيث الظاهر للمحكمات مثل قوله تعالى
يد الله فوق ايديهم والرحمن على العرش استوى فان ظاهرهما مخالف
لقوله تعالى ليس كمثله شيء ولا يستبعد وقوع المتشابه في الكشف
فانه ابتلاء لقلوب العارفين كما ان وقوع المتشابهة في الشرع
ابتلاء لقلوب الراسخين قال ابو سليمان الداراني ثم ان الواصلين
الى درجة الفنا في الفنا في التوحيد اذا احرقتهم انوار ذات
المتعال وغشيهم سلطان الجلال فانمحوا وتلاشوا في ذواتهم عما
ما يشير الى تلك الحالة قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا انتفت الكثرة عن نظرهم بالكلية وان كانت متحققة
في نفس الامر واستغرقوا بالوحدانية المحضة فصاروا كالمبهوتين
حيث فلم يكن عندهم الا الله تعالى فسكروا سكرا منع دونه سلطان
عقولهم فتصدر عنهم في حال غليان السكر الحاصل بعد الفناء في الفناء
في التوحيد عبارات تشعر بالحلول او الاتحاد لقصور العبارة
عن بيان تلك الحال فقال احدهم انا الحق وقال الآخر سبحاني
ما اعظم شاني وقال الآخر ليس في الجبة الا الله فلما خف عنهم سكرهم
وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله تعالى في ارضه انكروا
مدلول ذلك المقال بل انكروا شعورهم بصدور هذه الاقوال عنهم
واعترفوا بان حقيقتها كفر وضلال واعتذروا بان العبارة قاصرة
عن بيان هذه الحال وبينوا ان ذلك ليس حقيقة الاتحاد بل هو

مثل

مثل قول القائل في حال فرط عشقه انا من اهوى ومن اهوى انا
فكما ان الحس ههنا دليل قطعي على ان ذلك الكلام ليس على حقيقته
فكذلك الادلة القطعية من العقلية والسمعية دلت على ان كلامهم
ليس محمولا على حقيقته بل هو محمول على المجاز ولا يخفى عليك ان
هذا انما يمكن اذا لم يصرح المتكلم بان مقصوده حقيقة الكلام و
لم يتجشم على اثباتها البرهان فعند التصريح واقامة الدليل على اثبات
مفهومه الصريح محكما في افادة الحقيقة غير قابل للتأويل وحمله
على المجاز وذلك كتصريح الملاحدة الوجودية بان الله تعالى
هو الوجود المطلق المنبسط في المظاهر ثم تلفيقهم المغالطة في صورة
البرهان على اثباته ثم تفريعهم عليه بان كل من عبد الاصنام وكل
من ادعى الالوهية فهو صادق في دعواه فعند ذلك بعد ما صار
محكما بالتصريح واقامة الدليل لا يقبل التجوز والتأويل وبهذا
يظهر لك بطلان ما يقوله الذابون عن هؤلاء الملاحدة اذ ليس
مراد الوجودية ما تفهم العامة بل لهم تأويل لا يفهمه الا الخاصة
وبالجملة لا يجوز التلفظ بهذه العبارات في حال الصحو لانها
يوهم الحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان كنه تلك الحال
وتعذر الكشف عنها بالمقال على ما هو شان غالب الوجدانيات
اذ تقصر عن بيانها العبارات ولهذا قال ابو هريرة حفظت
من رسول الله عليه السلام وعائين اما احدهما فبثثته واما الآخر
فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم ويؤيد من قول ابي هريرة ما ذكرنا
زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم اجمعين وارضاهم

فقد عبد الله م

ما ذكره م

شعر فرب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمون دمي حتى يروا اقبح ما ياتونه حسنا يرون
وذلك لقصور نظر العامة عن فهم اسرار الشريعة المكملة لعلهم ههنا
فيتوهمون انها زندقة مخالفة للشريعة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ولهذا قال للجارية الخرساء
اين الله فاشارت الى السماء مع قطع النبي صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى
منزه عن الجهة والمكان لعدم اتساع فهم تلك الجارية في معرفة
الصانع ازيد من ذلك حينئذ وبه يحصل التبري عن الاصنام لكونها
في الارض الى ان تترقى بنور الايمان الى معرفة تنزهه عن الجهة
والمكان ولو صدر عنهم في حال الصحو ما يوهم الحلول او الاتحاد
فهو محمول على التوسع والتجوز في العبارات والتجوز في الكلمات وهم لا يرضون التوسع
الا في ثلثة احوال احدها حال الفنا، في الفناء، في التوحيد الثانية
حال السكر الثالثة حال الانس والكلام لمن اقامه الله تعالى
في ذلك المقام لا لكل احد يرشدك الى ما ذكرته ان الله تعالى
لما اقام موسى عليه السلام في مقام الكلام والانس لم يؤخذ بقوله
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء، ولما
اقام يونس عليه السلام في مقام الخوف والقبض سجنه في بطن
الحوت لما فرح من قوله فخرج منهم بغير اذن ومما ينبغي ان يحمل
على التوسع والتجوز قول ابي يزيد قدس سره حيث قال انسلخت
نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا انا هو ويكون
معناه انه تعالى ولا يكون حكم ولا عظمة سوى الله تعالى فاذا لم يحل في العقل

الاجلال

الا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به كانه هو حقيقة وفرق
بين قولنا هو هو وبين قولنا كانه هو كما ان الشاعر تارة يقول
كاني من اهوى وتارة يقول انا من اهوى ولا خفاء في ان الاول
تشبيه والثاني مجاز حقيقة التشبيه واما قول من قال انا الحق
فان كان في حال الصحو فاما ان يكون معناه كقول الشاعر انا من
اهوى ومن اهوى انا محمولا على المجاز واما انه يكون قد غلط في ذلك
كما غلطت النصارى القائلين بان الله تعالى جوهر واحد ثلثة
اقانيم هي الوجود والعلم والحيوة ويعبرون عنها بالاب والابن
وروح القدس ويعنون بالجوهر القائم بنفسه وبالاقنوم الصفة
ويقولون ان الكلمة وهي اقنوم العلم اتحدت بجسد المسيح و
تدرعت بناسوته بطريق الامتزاج كالخمر بالماء وقد اخبر الله تعالى
بكفرهم فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة ولا خفاء
ايضا في ان جعل الواحد ثلثة جهالة فمن قال انا الحق بناء على زعمه
الاتحاد فهو ايضا كافر مثلهم واما قول ابي يزيد سبحاني ما اعظم
شاني ان صح عنه فاما ان يكون جاريا على لسانه في معرض الحكاية
عن الله تعالى كما لو سمع وهو يقول لا اله الا انا فاعبدني واما ان يكون
قد شاهد كمال حظه من صفات التقدس في الترقي بالمعرفة عن المعرفة
عن الموهومات والمحسوسات وبالهمة عن الحظوظ والشهوات
فاخبر عن قدس نفسه فقال سبحاني ورأى عظم شانه بالاضافة
الى شان عوام الخلق فقال ما اعظم شاني وهو مع ذلك يعلم ان
قدسه وعظم شانه بالاضافة الى الخلق ولا نسبة له الى قدس

جرى

الرب وعظم شانه تعالى وتقدس واما ان يكون قد جرى هذا اللفظ على
لسانه حال السكر وغلبات الحال عند اشراق انوار الجلال فان جاوزت
هذه التأويلات الى الاتحاد وذلك محال قطعا فلا تنظر الى مناصب الرجال
حتى تصدق بالمحال بل ينبغي ان تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال
واعلم ان التوحيد عند العامة عبارة عن نفي الالوهية عما سوى
الله واثباتها لله تعالى وحده على ما هو مدلول كلمة التوحيد واما
عند الخاصة فهو عبارة عن اضمحلال وجود ما سوى الله تعالى من
الكائنات بحيث لا يشاهد الا وجود الله تعالى وحده كما لا
يشاهد في النهار من الكواكب الا الشمس وحدها وهو توحيد
العارفين الواصلين الى درجة الفناء في التوحيد فانهم
لما استولى عليهم محبة الله اعرضوا عما سوى الله تعالى وترقوا عن
المعارف الحاصلة بتعلق الصفات وعن ارتباط الكائنات
بالصفات اي ترقوا عن كشف الافعال وعن كشف الصفات
الى مشاهدة تجلي انوار الذات فانمحى ذواتهم وصفاتهم فلا
يبقى لهم شعور بالعلوم والادراكات ولا وجود الكائنات
ويظهر لهم ح معنى قولهم كان الله ولم يكن معه شيء وح لا يبقى لتوحيد
العامة اعني النفي والاثبات مجال لان نفي الغير انما يكون
عند الشعور بالغير لا عند الغيبة والذهول عنه فاذا اضمحل
وجود ما سوى الله كان الله تعالى عندهم واحدا في الوجود كما انه
واحد في الالوهية ولا توحيد الواحد لكونه تحصيلا للحاصل فكل
من وحد الواحد فهو جاحد لكونه واحدا والا لما افتقر الى توحيده

والى

يتعلق

والى هذا المعنى يشير صاحب منازل السائر حيث يقول ما وحد
الواحد من واحد اذ كل من وحده جاحد توحيد من ينطق عن
نعته عارية ابطلها الواحد توحيده اياه توحيده ونعت
من ينعته لاحد فاراد بقوله اذ كل من وحده جاحد لكونه
واحدا في الوجود ولهذا افتقر الى نفي الالوهية عن غيره فلولا
ملاحظة وجود غيره لما احتاج الى هذا النفي واشار بقوله عارية
ابطلها الواحد الى ان التوحيد الحقيقي الثابت ازلا وابدا
هو توحيد الله تعالى ذاته واما توحيد الخلق فمنزول بموتهم وفنائهم
واشار بقوله ونعت من ينعته لاحد الى ان ثناء الله بما يليق
بكماله وجلاله انما هو ثناء الله على نفسه واما ثناء الخلق
فانه قاصر عما يليق بكماله وجلاله على ما يشير بذلك قوله عليه السلام
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك يقال الحد
في دين الله اي حاد عنه وعدل عنه وعدل والحد لغة فيه فما
ذكرناه مراد صاحب منازل السائر لا ما يقوله بعض من
شرحه من الوجودية الملحدين وحمله كلامه من اوله الى آخره على
زندقة الوجودية الكافرين من انه اراد بكونه واحدا انه
الوجود المطلق المنبسط في المظاهر واعيان الاكوان خيال
وسراب وهي اعيان ثابتة في علم الله تعالى لا في الخارج في الحال
وقد عرفت ان ذلك سفسطة ليس بتوحيد بل هو في الظاهر
شرك مفرط ليس عليه مزيد وفي الحقيقة نفي في الخارج لوجود الملك
المجيد والى ذيادم لدين الاسلام ولشرائع جميع الانبياء عليهم السلام

وقد يتوهم بناءً على عدم الشعور بمعنى الحلول والاتحاد ان الوجودية
حلولية واتحادية وليس كذلك اذ الحلول والاتحاد انما يكون بين
موجودين متغايرين في الاصل والوجودية يجعلون الله تعالى عين
وجود الممكنات فلا مغايرة بينهما ولا اثنينية فلا يتصور
ههنا تحقق الاتحاد والحلول بل تلك زندقة اخرى اخبث
منهما باطلة ببديهة العقول اذ القائلون بها لا يجعلون الله امراً
اعتبارياً لا وجود له في الخارج ولا يتفوهون بها الا في بعض الافراد
وهولاء يجعلونه امراً اعتبارياً لا وجود له في الخارج ثم يجعلونه وجود
جميع الاشياء حتى وجود القاذورات سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ويعتقدون انه غير موجود
لوجود الكائنات[٧] واعلم ان الكافر اسم لمن لا ايمان له
فان اظهر الايمان مع عدم اعتراف بنبوة النبي عم خص باسم
المنافق دون الزنديق لان الله تعالى لم يسم الذين نافقوا
في عهد رسول الله عم زنادقة وانما سماهم منافقين قدر
قدره وزاد الشام على ما يشهد به كتبهم الملعونة انما يظهر الايمان
ولا يعترفون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم مباحيون
منافقون لا زنادقة على ما يتوهم ذلك لعدم التفرقة بين المنافق
والزنديق وان طرأ كفره بعد الايمان خص باسم المرتد لرجوعه
عن الايمان وان قال بالهين او اكثر خص باسم المشرك لاثباته
الشريك في الالوهية وان كان متدينا ببعض الاديان والكتب
المنسوخة خص باسم الكتابي كاليهود والنصارى وان كان

[٧] خلا خلق ولا ايجاد ولا اللاجن ولا للسموات ولا بينهما من الكائنات صح

يقول بعدم الدهر واسناد الحوادث اليه خص باسم الدهري وان كان
لا يثبت الصانع خص باسم المعطلة وان كان مع اعترافه بنبوة النبي
عليه السلام واظهار شعائر الاسلام ولكن يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق
خص باسم الزنديق وهو في الاصل منسوب الى زند اسم كتاب اظهره مزدك
في ايام قباد وزعم انه تاويل كتاب المجوس الذي جاء به زردشت
الذي يزعمون انه نبيهم وان كان مع تبطن تلك العقائد الباطلة
يحلل الفروج المحرمة وسائر المحرمات بتاويلات فاسدة كما يفعله
الباطنية والوجودية خص باسم الملحد فالزنديق في عرف الشرع
اسم لما عرفت لا لكل من صدر عنه فعل او قول يوجب الكفر على ما هو
متعارف اهل عصرنا فانهم يسمون كل من صدر عنه فعل او قول
يوجب الكفر زنديقا ويحكمون بعدم جواز استتابته ويقطعون
بوجوب قتله وعدم قبول توبته والاتفاق على انه في حكم الشرع من
المرتدين وانه ممن يجب استتابته فاذا تاب تقبل توبته في
شريعة سيد المرسلين ولا يحل سفك دمه لانه قد صار بالتوبة من
جملة المؤمنين وليت شعري لو كان كل من صدر عنه فعل او قول
يوجب الكفر زنديقا فمن الذي سماه الشرع مرتدا واوجب استتابته
وقبول توبته وحكم بانه صار بعد التوبة من المؤمنين الذين من
قتل واحدا منهم فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا اليما ثم اعلم ان صاحب الفصوص قدس سره على
ما سبق من الزندقة والضلالة ضعفا على اباطيله فقال في
فرعون من الدنيا طاهرا مطهرا وذلك انكار لما ثبت انه مات

حيطاب في ايمان فرعون [illegible] انه مات على [illegible]

على الكفر بالنصوص القاطعة المذكورة في اثنتي عشر سورة من القرآن
وباجماع الامة في كل عصر وزمان على انه في ذلك الكفر الشنيع اللاحق
منافقين لكفره القطعي اسالوا بان من ادعى الالوهية فهو صادق
في دعواه فمتى كان فرعون بزعمه كافرا حتى يقال انه تكلم بكلمة التوحيد حال
الغرق فخرج من الدنيا طاهرا ومطهرا وقد يستدل على ذلك بانه لو كان
له ادنى شعور وافهام بخواص تراكيب الكلام وتصديق بقواعد دين
الاسلام لعرف فانه حجة عليه لا له وهو قوله تعالى فلما ادركه الغرق قال
آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين
فزعم لفساد فهمه القاصر عن معنى الكلام والحاده في عقائد الاسلام
ان كون فرعون من المغرقين لا يدل على عدم قبول ايمانه وان الايمان
حال البأس وهو حال معاينة العذاب مقبول لكنه انما ينفع في دفع
عذاب الاخرة ولا ينفع في دفع عذاب الدنيا الا قوم يونس عليه السلام
متمسكا في ذلك بما لو عرف اجماع المفسرين وقواعد الدين
لعرف انه حجة عليه لا له وهو قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين فزعم بناء على جهله بتفسير القرآن
والحاده في آيات الملك الديان ان قوم يونس عليه السلام آمنوا
حال معاينة العذاب فقبل الله ايمانهم ودفع عنهم عذاب الدنيا
ايضا فيكون ايمان فرعون ايضا حال معاينة العذاب وهو الغرق
مقبولا نافعا في دفع العذاب الاخرة لا في دفع العذاب الدنيا
وهو الغرق لان كشف عذاب الدنيا مختص بقوم يونس عليه السلام

وحمل

وحمل قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا على عدم النفع
في الدنيا فقط لا على عدم النفع في الدنيا والآخرة جميعا على ما دلت
عليه النصوص القاطعة وانعقد عليه اجماع الامة وهو مذهب
اهل السنة ودل سياق هذه الآية ايضا وهو قوله تعالى سنة الله
التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون قال
صاحب الكشاف هنالك للمكان استعير للزمان اي وخسر
وقت رؤية البأس وهو شدة العذاب والمعنى ان عدم
قبول الايمان حال البأس اي معاينة العذاب سنة الله مطردة
في كل الامم ولهذا جعل المتلفظين بكلمة الايمان حال البأس
من الخاسرين وسماهم كافرين فكيف يتوهم انهم صاروا بذلك
مؤمنين ثم انه لا يخفى على الواقفين على تفسير القرآن ان معنى قوله تعالى
فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها على ما اجمع عليه المفسرون
هو انه هلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر
واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب وفوات وقت التكليف
ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان
يقبل منها لوجوده في وقت الاختيار لكن قوم يونس لما آمنوا
في حال الاختيار لانهم آمنوا عند معاينة علامات نزول العذاب
لا عند نزول العذاب كفرعون قبلنا ايمانها وكشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ولم يقبل من فرعون لان ايمانه كان حال البأس
ومعاينة العذاب ولهذا لم ينكشف عنه عذاب الدنيا ايضا
لتلازمهما في ذلك بحكم السنة الالهية ولاستمرار كفره على العناد

نزولا اذا استمر الكفرة على العناد

وانه فاغا اذا تابوا قبل فوات الاختيار واظهروا الانقياد
فالاستثناء على قوله تعالى الا قوم يونس منقطع بمعنى لكن روي
ان يونس عم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب
عنهم مغاضبا وقال لقومه ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا
ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس
وثلثون ليلة اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين النساء والصبيان وبين الدوات واولادها فحن
بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والضجيج واظهروا الايمان
والتوبة الخ وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وذلك كان
في عاشوراء يوم الجمعة وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا
قد نزل بنا العذاب فما ذا ترى فقال لهم قولوا يا حي حين
لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوا ذلك
ويا محيي الموتى
فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا
قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما
انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله فقد ظهر مما اجمع عليه
المفسرون ان قياس قبول ايمان فرعون على قبول ايمان
قوم يونس قياس باطل وكذا الاستدلال بهذه الاية على ان
الايمان حالة الباس ومعاينة العذاب مقبول قياس
باطل قطعا ايضا وكذا الاجماع على اختلاف الروايات عن الرعاء

فضلا

فضلا عن البلغاء والعلماء ان قوله تعالى فلما ادركه الغرق
قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل مسوق
لبيان عدم قبول ايمان فرعون على ما يدل عليه علاوة امور تشتمل
عليها هذه الاية الكريمة الاول الاخبار بان صدور هذا
القول عنه انما كان حال معاينة الباس والعذاب وهو
الاغراق وايمان حال الياس غير مقبول باتفاق المسلمين
لقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله وانيبوا
الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون وقوله تعالى او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين الثاني
الاخبار عنه قال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل
كما اخبر عن غيره من الكفار وعن قولهم الغير النافع معقبا
بالرد والانكار بقوله تعالى لما راوا باسنا قالوا آمنا بالله
وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم لما راوا باسنا
وقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الى قوله الله
يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون لا اخبار عنه
بانه آمن كما اخبر عن قوم يونس عم بقوله لما آمنوا اشارة
الى ان الصادر عن اللعين في هذه الحالة مجرد القول باللسان
دون الايمان واما الاخبار عن سحرة فرعون بقوله قالوا

بقوله قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وان كان
بلفظ قالوا لكنه لم يعقبه بالرد والانكار بل اثنى عليهم بقوله تعالى
قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض
ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى الثالث
تعقيب هذا القول بقوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين الداخل عليه همزة الانكار بقرينة السباق والسياق
وغيرهما من الايات الدالة على انه في الاخرة من الكافرين اي
اتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين ادركك الغرق
وآيست من نفسك الرابع تعقيب ذلك الانكار بالذم
بما سبق من عصيانه وكونه من المفسدين فلولا انه مات على الكفر
لما ذمه الله تعالى بذلك لان الله تعالى بعد الايمان يعفو ما سلف من الكفر
والعصيان الخامس تعقيب ذلك الانكار والذم بما بلغ في
تفضيحه الغاية بجعله بعد الهلاك لمن خلفه آية يعتبر بها الامم (وعبرة)
فلا يجترؤن على الله مثل ما اجترأ عليه اذا سمعوا اهلاكه وهوانه
امنه على الله تعالى قال صاحب الكشاف كرر المخذول المعنى الواحد ثلث
مرات في ثلث عبارات يعني قوله آمنت وقوله لا اله الا الذي
آمنت به بنوا اسرائيل وقوله وانا من المسلمين حرصا على القبول
فلم يقبل منه حين اخطأ وقته وقال لم يبق له اختيار قط وكانت
المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء وقت التكليف
وقد ذكر الامام الرازي في تفسير الكبير لعدم قبول ايمانه وجوها اخر
فقيل

انما يقبل ايمانه لانه انما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها الى رفع البلية
الحاضرة والمحنة الناجزة كما كانوا يقولون لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فما كان اذا مقصوده
من هذه الكلمة الاقرار بوحدانية الله تعالى لانه كان دهريا وقيل لان
ايمانه كان مبنيا على محض التقليد الا ترى انه قال لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرائيل فكانه اعترف بانه لا يعرف الله تعالى
الا انه سمع من بني اسرائيل انهم اقروا بوجوده ومثل هذا التقليد
لا ينفع في الايمان وقيل لان الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية
الله تعالى وبالاقرار بنبوة موسى وهو وان اقر بوحدانية الله تعالى
لكنه لم يقر بنبوة موسى ع فلذلك لم يقبل لان اكثر اليهود كانت
قلوبهم مائلة الى التشبيه والتجسيم ولهذا اشتغلوا بعبادة العجل
لظنهم ان الله تعالى في ذلك العجل ولما قال آمنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرائيل ولم يقل الا الذي آمن به موسى وهارون
كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فكانه
قال آمنت بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول فلذلك
لم يقبل وبالجملة لا خلاف لاحد من المسلمين في ان ايمان فرعون
حال الغرق غير مقبول وانه مات كافرا وانما الخلاف في سبب عدم
قبول ايمانه فذهب الجمهور الى ان سبب صدور الايمان عنه حال
الغرق الذي هو حال اليأس وهو شدة العذاب وايمان اليأس
غير مقبول وذهب بعضهم الى ان حال اليأس هو حال رؤية عذاب الآخرة

ومشاهدة الموت لاحال شدة عذاب الدنيا كالغرق فحينئذ لا يكون
ايمانه حال الغرق ايمان اليأس لكنه غير مقبول لوجوه اخر ذكرها
الامام الرازي في تفسير الكبير فمن اراد الاطلاع عليها فلينظر فيه
ومما يرشدك الى عدم قبول ايمانه وانه مات على الكفر وهذا لانه انه قد
تمهد من قواعد الدين ان الله تعالى بفضله العظيم اذا قبل ايمان عبد صرف
عمره في الكفر والعصيان لا ينتقم منه بالعذاب بعد قبول الايمان
بل يبشره بالعفو والغفران لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف ولقوله تعالى عفا الله عما سلف ولقوله صلى الله عليه وسلم
الاسلام يجب ما قبله ولا يذمه بمثالبه ومفاسده السالفة
بعد موته وانما يفعل ذلك بالذين ماتوا وهم كافرون كما قال اخبارا
عن حالهم القبيح انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله وهم لا يستكبرون
وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
وقوله تعالى وكنتم قوما بورا الى غير ذلك من الآيات وقد فعل الله تعالى
لفرعون اللعين كما فعل باولئك الملاعين حيث اخبر بانه انتقم
منه بالاغراق كما انتقم من قوم الكافرين فاغرقهم اجمعين واخبر بانه
حق عليه عقاب وحق عليه وعيد وننظم في سلك المكذبين الملعونين الذين
وصفهم بانهم يوم القيامة من المقبوحين ومن الداخلين في جهنم
اشد العذاب والآخذين بذنوبهم بشديد العقاب وحكم عليهم بانه
لا يؤمن كقومه حتى يروا العذاب الاليم وعدد بعد هلاكه عليه مثالبه ومخازيه
في اثنين وعشرين سورة من القرآن العظيم في عدة آيات بانه
من المفسدين وانه كان من الظالمين وانه كان من الخاطئين وانه كان

في الارض بغير الحق من المتكبرين وانه كان من المكذبين وانه كان من
المسرفين الى غير ذلك مما يدل على انه في الآخرة من الكافرين وفي
النار من الخالدين فلو كان ختمه على الايمان لما فعل بذلك لما علم
من قواعد الدين فقال في سورة آل عمران كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب والمراد
باخذ الله آل فرعون بذنوبهم هو اغراقهم في الدنيا واحراقهم في العقبى
ولا خفاء في ان فرعون من المغرقين فيكون المراد من آل فرعون
فرعون وآله كما في قوله تعالى واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون
فلو كان ختم فرعون على الايمان لما اخذه الله تعالى بذنوبه فان
من مات على الايمان لا يؤخذ بالكفر السابق كما في سورة الاعراف
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين الى قوله تعالى فانتقمنا
منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
فلو كان ختم فرعون على الايمان لما اغرقه مع قومه الكافرين ولما
نظمه بعد هلاكه في سلك المكذبين وفي سورة الانفال كدأب آل
فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم بذنوبهم ان
الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها
على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون وكل كانوا ظالمين فلو كان ختم فرعون على الايمان لما
نظمه بعد هلاكه في سلك المكذبين الظالمين ولم يجعل بذنوبه من المهلكين
كغيره من الكافرين لان الله تعالى يغفر ما قد سلف والاسلام يجب ما قبله

وفي سورة يونس عليه السلام ربنا انك اتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحيوة الدنيا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
ومن المعلوم بالنص القاطع المؤيد بالاجماع ان الايمان حال
معاينة العذاب غير مقبول وفي سورة هود عليه السلام وما امر فرعون
برشيد يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد
المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود
فلو كان ختمه على الايمان لما كانت قومه الكفرة الواردين على النار
ولا من الملعونين يوم القيامة ولا في هذه الدار وفي سورة بني اسرائيل
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له
فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض فاغرقناه ومن معه جميعا فلو كان حكمه
ختمه على الايمان لما عد عليه مثالبه السابقة ولما عاقبه بالغرق بكفره
السابق لان الاسلام يجب ما قبله ولما نظمه في سلك قوم الكافرين
المغرقين وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير ولا خفاء في ان فرعون من اعاظم
المكذبين الذين سماهم الله كافرين فمن قال بايمان فرعون فهو من
الكافرين المكذبين لرب العالمين وفي سورة المؤمنين ثم ارسلنا

موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون و
ملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين
فلو كان ختمه على الايمان لما ذمه بعد هلاكه بمثالبه السابقة
ولما جعله بسبب تكذيبه السابق لموسى من المهلكين كقوم
الكافرين وفي سورة الشعراء فاتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين الى قوله وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم
اغرقنا الآخرين فتعقيب ما صدر عنه من التكذيب والاستكبار
بالاغراق جزاء للكفرة كسائر قوم الكفار دليل على انه مثل
قومه الكافرين لان الله تعالى انما يفعل ذلك في الاخبار عن الكفار
الذين يعذبهم في الدنيا جزاء لكفرهم لا عن الذي قبل توبته
عن الكفر فانه تعالى بعد عد ذنوبه وعيوبه يبشره بالعفو كما
فعل بعبادة العجل من بني اسرائيل لما قبل توبتهم فقال الله تعالى
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده
وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون
وفي سورة النمل في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما
فاسقين الى قوله فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وجه
الاستدلال لما مر آنفا وفي القصص ان فرعون علا في الارض
الى قوله انه كان من المفسدين وفيها ايضا فالتقطه آل فرعون ل

ليكون لهم عدواً وحزناً ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين وفيها ايضا فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم الى
قوله من المقبوحين فلو كان ختم على الايمان لما ذمه الله تعالى
بمثالبه السابقة بعد هلاكه ولما اخبر عنه بانه كان من المفسدين
ولما نظمه في سلك هامان وجنودهما الكافرين ولما ذمه بعد
هلاكه انه كان مثلهم من الخاطئين ولما عاقبه بالاخذ والنبذ
في اليم كقومه الملعونين ولما جعل عاقبته كعاقبة غيره من الظالمين
ولما كان يوم القيامة مثلهم من الائمة الداعين الى النار
ولا مثلهم من الملعونين والمقبوحين ومن غير المنصورين
وفي سورة العنكبوت وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم
الى قوله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فلو كان ختم فرعون على
الايمان لما نظمه بعد هلاكه في سلك الكافرين المستكبرين الظالمين
عاد وثمود وقارون وهامان ولما اخذه بالذنب
ولما جعل كقومه من المغرقين اذ لم يكن حينئذ له ذنب وظلم
لان الاسلام يجب ما قبله وفي سورة ص كذبت قبلهم قوم نوح
الى قوله فحق عقاب فلو كان ختم فرعون على الايمان لما ذمه
بالتكذيب السابق ولما نظمه في سلك المكذبين الكافرين
ولما حق عليه العقاب كما حق على هولاء الاحزاب وفي سورة
المومن وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
وما كيد فرعون الا في تباب فلو كان ختم على الايمان لما ذمه

الله

الله تعالى بعد هلاكه بانه زين له سوء عمله وبانه صد عن السبيل
وبان كيده في تباب وفيها ايضا ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب فلو كان ختم على الايمان لما اخبره الله تعالى
عنه انه قال لموسى كما قال هامان وقارون ساحر كذاب
وفيها ايضا وحاق بآل فرعون سوء العذاب الى قوله اشد العذاب
~~واياك ان تصغي~~ فلو كان ختم على الايمان لما دخل يوم القيامة
مع قومه الكافرين اشد العذاب واياك ان تصغي الى
ما تقول الملاحدة ان الداخل في اشد العذاب انما هو آل
فرعون لا فرعون لما مر فان المراد من آل فرعون حيث
ذكر في القرآن فرعون وآله جميعا كما في قوله تعالى واغرقنا آل
فرعون وانتم تنظرون والدليل على ان المراد ههنا ذلك
ان الله تعالى قد اخبر بانه قد حق عليه العذاب وحق عليه الوعيد
فانه من المكذبين للرسل فلا محالة يكون من الداخلين
في اشد العذاب وفي سورة الزخرف فاستخف قومه فا
طاعوه الى قوله ومثلا للآخرين فلو كان ختم على الايمان
لما انتقم عنه كما انتقم بالاغراق وما جعله كقومه سلفا ومثلا
للآخرين وفي سورة الدخان ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين فلو كان ختمه
على الايمان لما ذمه بعد هلاكه بانه كان عاليا من المسرفين الذين هم
اصحاب النار وفي سورة ق كذبت قبلهم قوم نوح الى قوله فحق

محق وعيد فلو كان ختمه على الايمان لما نظم بعد هلاكه في سلك
اولئك الكفار المكذبين ولما حق عليه الوعيد كما حق على اولئك
الكافرين وفي سورة الذاريات وفي موسى اذ ارسلناه الى
فرعون بسلطان مبين الى قوله وهو مليم فلو كان ختمه على الايمان
لما عدّ الله عليه بعد هلاكه مثالبه التي كفر بالله تعالى بها وهو توليه بركنه
اي اعراضه وازوراره عن موسى ساحرا ومجنون ولما
اخذه الله تعالى بعده ولما نبذه في اليم كما اخذ قومه ونبذهم فيه
وفي سورة القمر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها
فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر والمأخوذ بالاغراق فرعون
وآله فلو كان ختمه على الايمان لما نظمه الله تعالى بعد الهلاك في
سلك المكذبين الكافرين ولما اخذه بالتكذيب السابق
كما اخذ بذلك قومه الملاعين وفي سورة الحاقة وجاء فرعون
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم
اخذة رابية المؤتفكات قرى قوم لوط والرابية هي
الشدة الزائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح فلو
كان ختم فرعون على الايمان لما نظمه بعد هلاكه في سلك المؤتفكات
المتصفة بالعصيان ولما اخذه اخذهم بعد المعصية بالكفر
وفي سورة والنازعات فاراه الآية الكبرى الى قوله نكال
الآخرة والاولى يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة
وعن ابن عباس رضه نكال كلمة الآخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى
ونكال كلمة الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وكان

بين الكلمتين اربعون سنة وعلى التفسيرين الآية دالة
على ان ختمه لم يكن على الايمان اما على التفسير الاول فظاهر
واما على الثاني فلان ختمه لو كان على الايمان لما كان
يأخذه بنكال الكلمتين لان الله تعالى يعفو عما سلف
والاسلام يجب ما قبله وفي سورة الفجر وثمود الذين
جابوا الصخر بالواد الى قوله سوط عذاب فلو كان ختم
فرعون على الايمان لما نظم بعد الهلاك في سلك عاد وثمود
لان الله تعالى يعفو عما سلف والاسلام يجب ما قبله
فتلك الآيات على كثرتها نصوص قاطعة وادلة ناطقة
بان فرعون اللعين في الدنيا والآخرة من الكافرين الملعونين
وانه في الآخرة من المقبوحين وفي اشد العذاب من الداخلين
فلا يتوهم الا زنديق من الملحدين الجاهلين بقواعد علم المعاني
وعقائد الدين ان فرعون اللعين بالكلمة الصادرة
منه حال معاينة العذاب المقرونة بدلائل الرد والانكار
عليه قد صار من المؤمنين وخرج من الدنيا طاهرا مطهرا كعباد الله
المكرمين اولا يعلم ذلك الملحد الجاهل ان هذه الآية لو
كانت تدل على ان فرعون مات على الايمان لكانت
مناقضة لما تلونا من قواطع المحكمات وسواطع الآيات
البينات الناطقات بان فرعون في الآخرة من الملعونين
المقبوحين وفي اشد العذاب من الداخلين ولا يخفى على ائمة
الاسلام وعلماء الشرائع والاحكام ان من زعم ان فرعون اللعين

مات على الايمان فقد كذب القرآن وجوّز التناقض في كلام
ملك الديان وابطل قواعد السلام المعلومة من شريعة النبي
عليه السلام وصار كفرعون وقومه من الكافرين والمكذبين
الضالين فعليه وعلى فرعون لعنة الله تعالى والملائكة والناس
اجمعين فهذه جملة ما هدم به صاحب الفصوص بنيان الدين
المرصوص وجحد لما ثبت ببديهة العقل وقواطع النصوص
وزعم ان تلك الزندقة الملعونة الباطلة ببديهة العقل
والشرع ذريعة الى التصرف ولذلك سوّل له الشيطان
ان سماها علم التصوف وصوفية في ذلك الجهلة الملحدون
وقلده الزنادقة الجاحدون وصدقه وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون فسبحان من شرح بنور الايمان
صدور المؤمنين وختم بظهور السخط والخذلان على
قلوب الملحدين ولذلك يصدفون عن آياته ولا
يفقهون لديها وينظرون بالعين العوراء اليها قد جاءكم
بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي
فعليها والله ولي الارشاد
واليه ينتهي سبيل الرشاد
ومن يضلل الله فما له
من هاد
تم الكتاب

تمت بيد الفقير محمد السالكي ... بدار الحديث ... في شوال سنة ...



